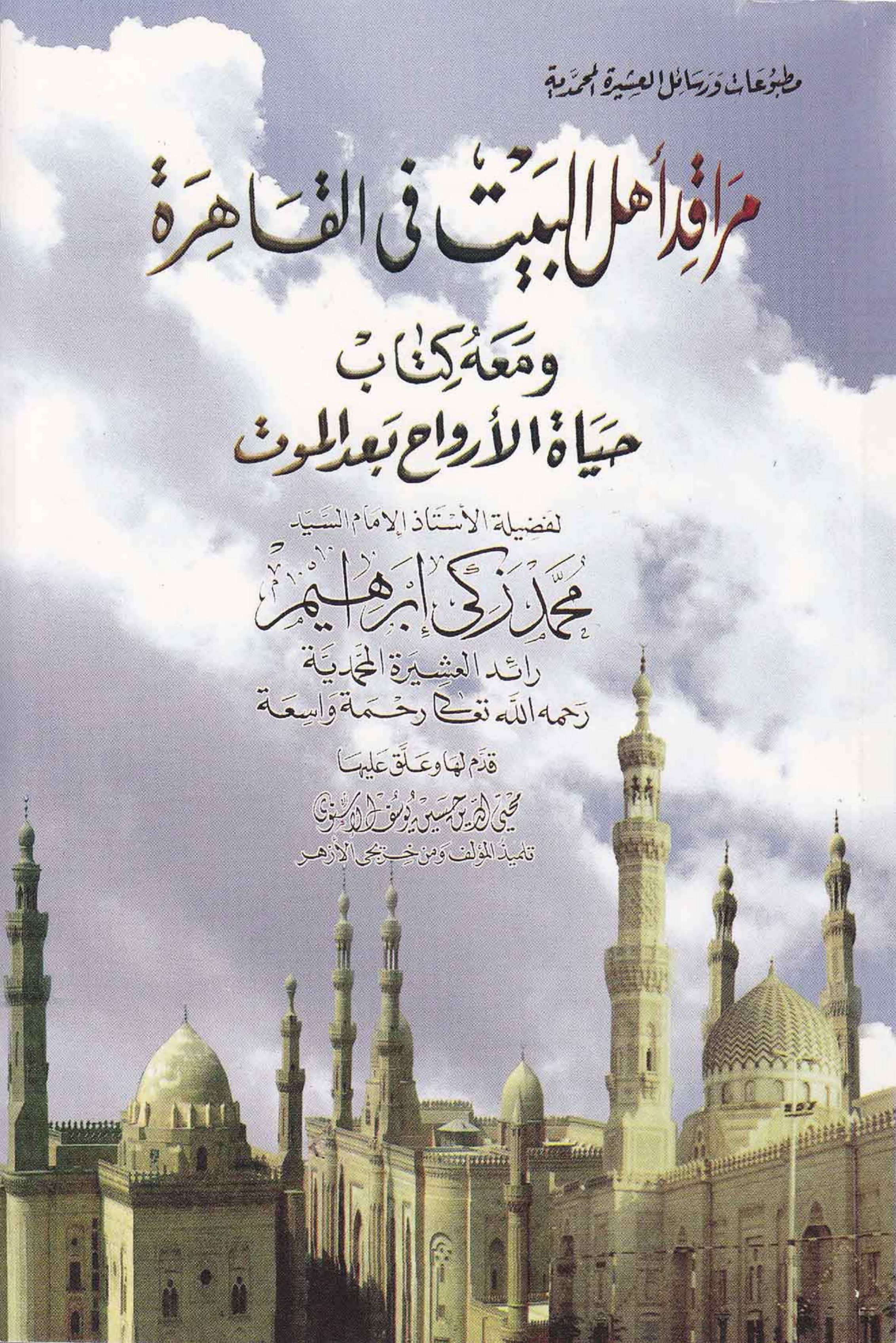

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
مراقد أهل البيت فى القاهرة
ومعه كتاب
حياة الأرواح بعد الموت
لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكى إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة
قدم لها وعلق عليها
محيى الدين حسين يوسف الأسنوى
تلميذ المؤلف ومن خريجى الأزهر

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية

مراقد أهل البيت في القاهرة

مع تحقيق أن رأس الحسين ورفاة السيدة بمصر وبحث أحاديث الثقلين في الميزان العلمي الصحيح مع تصويب بعض الأخطاء التاريخية وزيادات أخرى

ومعه كتاب

حياة الأرواح بعد الموت

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

راجعه وعلق عليه

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر الشريف

الطبعة السادسة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
تليفون
٣٤١٠٥٠٦ - ٣٤١٦٠٤٧ - ٥٨٩٦٧٩٨
٨٠ ش السلطان أحمد - بقايتباى - الدراسة

رقم الإيداع : ١٥٠١٩ / ٢٠٠٣
طبع بدار نوبار للطباعة

مؤسسة إحياء التراث الصوفي



قال الإمام الرائد :

من حق يثــرب أن تتيـــه على الورى
برفـات خيـر الخلق مـولانا النَّبيِّ
ولمصــــــر حقٌّ أن تـتـــيـــه بـدورها
برفات مـولانا (الحسين وزينب)

وقال أيضاً :

أحــب الـــنَّــبــيَّ ، وآل الـنَّــبـيِّ
وأحـــبــابـهم والذيـن مـعــهْ
ويســـعـــدني غـــضب الـناصــبي
فلـستُ بـنذلٍ ولا إمـــعـــهْ

ويقول :

لا تـطـلـبـــــــــوا آل الـنَّـبـيِّ
بشـــرق أرضٍ أو بـغـــرب
وذَرُوا الجـــمـــيع وأقـــبلـوا
نحـــوي فـمـــسكنـهم بقلـبي

وقال الإمام الشافعى :

يا آل بـيت رســول الله حــبكمــو
فـرضٌ عظيمٌ إلــه العـرش أنزله
يكفـيـكمـوا من جليل القــدر أنكمـو
من لم يصل عـليكم لا صـلاة له

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة (الطبعة الأولى)

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه ، في مبدأ الأمر ومنتهاه

توجهتُ لأتبرك بمشاركة إخواني ، في حفل العشيرة المحمدية ، لإحياء ذكرى مولاتنا السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وأنا أحمل مرضي وإرهاقي الشديد .

وكان لا بُدَّ من أن أتحدَّث رغم أن قد سبقني من المحمديين أئمة ، يؤخذ عنهم ، ويوثق بهم ، وبهم يغاث العباد .

وقبل مغادرة المسجد ، توجَّه إليَّ بعض المثقفين ، وبعض ضيوف الحفل من إخواننا الإندونسيين ، بأسئلة كثيرة ، عن الأضرحة الزينبية ، والنفيسية ، وغيرها ، واستحلفني من السَّادة الإخوة عالم عارف هو مولانا الإمام العارف الشيخ محمد أبو العيون رضي الله عنه طالباً أن أسجِّل ما أجبت به ، ففيه (كما يرى) حل لكثير من المشكلات ، وتحقيق لكثير من الواقعات حول مشاهد آل البيت رضي الله عنهم .

واستجابة لهذه الرغبة التي أتبرك بها واعتز ، أوجز هنا ما يحضرني الآن من هذه الإجابة ، إيجازاً مكتفياً بالتعرض للمسائل التاريخية دون الكرامات والمناقب ؛ فلهذه مجال آخر ، وقد تكفل بها السادة من قبل ، والحمد لله . ونستعين الله ونستهديه ونستكفيه ونستعفيه .

المفتقر إليه تعالى وحده

(محمد زكي إبراهيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة (الطبعات بعد الأولى)

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه ، في مبدأ الأمر ومنتهاه ..

وبعـــد ...

فتيمناً بذكر آل بيت سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، واستجابة لرغبات جمهور الإخوة والأخوات في الله ، نعيد هنا طباعة (رسالة التبصير بمشاهد شهيرات آل البيت بالقاهرة)[1]، استقبالاً مباركاً للقرن الهجري الخامس عشر .

وهذه الرسالة كانت قد صدرت في عدد خاص من أعداد (المسلم) عام (١٣٨٣هـ) ، وقد تقبلها النّاس بقبول حسن وثناء مستطاب ، فقد أزالت كثيراً جداً من الإبهام ، وفصلت العديد من مواضع الإجمال ، وقدمت المعلومات الصحيحة طوق الجهد .

ونحن هذه المرة نعيد الطباعة ، مع مزيد من التحقيقات المتعلقة بالموضوع ، بل المرتبطة به ارتباطاً تامّاً ، من نحو (صحة حديث الثقلين) ، مع تعريف مركّز بـ (أقطاب أهل البيت) .

---

(١) (رسالة التبصير) هي التي سميت الآن (مراقد أهل البيت) أي هذا الكتاب ، ولهذا الأمر قصة روحية ليس هنا مجال تفصيلها .

أمَّا موضوع (التوسل) فقد سبق أن أفردنا له رسالة (متكاملة) هي فيصل علمي بات في موضوعه [1] .

ونرجو أن يوفقنا الله لإصدار هذه الأعداد الخاصة التي تخدم الجوانب التي تهم خاصة الأحباب والواقفين على باب الله ، مما لا يعنى به في عصرنا إلاّ (العشيرة المحمدية) .

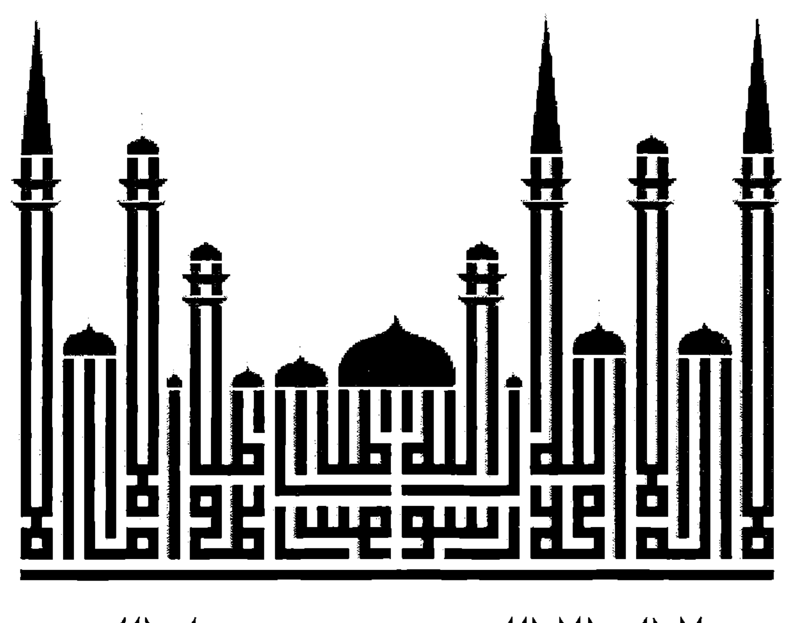
ونسأله تعالى أن يجعله عملاً خالصاً دائماً لوجهه الكريم .

ويسعدنا كثيراً - والله شهيد - أن تكون هذه الأعداد (علقماً) في بعض الأفواه ، و (حسكاً) في بعض الحلوق ، فكل ما يغضب هؤلاء يرضي الله والنّاس .

* وصَلَّى الله على سيدِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسَلَّم *

المفتقر إليه تعالى وحده
(محمد زكي إبراهيم)

(١) هي رسالة (الوسيلة والقبور) وتكررت طباعتها تبعاً لإقبال الجمهور عليها .



لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

الباب الأول

مقدمة الطبعة الخامسة

وثبوت حديث الثقلين سنداً ومتناً

مع ذكر بعض حقوق أهل البيت الأشرف

الباب الأول

مقدمة الطبعة الخامسة

وثبوت حديث الثقلين سنداً ومتناً

مع ذكر بعض حقوق أهل البيت الأشرف

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه ، في مبدأ الأمر ومنتهاه . .

وبعد ...

أولاً

لّما كثرت لجاجة (خصوم أهل البيت) المتسترين باسم (السَّلفية) المظلومة حول حديث الثقلين تجريداً منهم لكل خصيصة لـ (أهل البيت) أردت بسبق إرادة الله أن أجعل (مقدمة) هذه الطبعة الخامسة من هذا الكتاب الفريد ، هي تحقيق حديث (الثقلين) وآية (المودة) إلجاماً لتخرص هؤلاء (النواصب) ، وقطعاً لألسنتهم وألسنة الحمقى ممن يتمثلون بهم ، جهلاً من الجميع ، وسوء أدب مع الرسول الأعظم صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وحين نرى بعض الصَّالحين السابقين كبعض أئمة الأحناف - رضي الله عنهم - متحرجاً من قراءة (سورة اللهب) في الصَّلاة ، مبالغة في الأدب

مع سيد خلق الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، يشتد عجبنا من هؤلاء الذين يمعنون في تجريد أهل بيته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم من كل خصيصة غلاً وخسة نفس وحبًّا في المخالفة .

ولسوف يجد القارىء في هذا الكتاب منهجاً جديداً ، وتحقيقاً فريداً ، إن شاء الله تعالى ، وحجة بالغة في كثير من جوانب البحث الخالص لوجه الله تعالى .

ولنبدأ بتوفيقه تعالى في الكلام العلمي عن الحديث :

ثانياً

(١) حديث الثقلين :

هناك حديثان صحيحان مشهوران كادا أن يتشابها ، ولفهم النَّاس فيهما مواقف تختلف ، لأسباب شتى . .

أمَّا الأول ؛ فعن عمرو بن عوف ، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة نبيه** » رواه الإمام مالك في الموطأ (معضلاً من بلاغاته)، ووصله ابن عبد البر في التمهيد والجامع ، ورواه الشجْري في (الأمالي) ، وقد ضعفه (الحافظ) .

ولفظ رواية (الحاكم) عن أبي هريرة، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض** » .

وسكت عنه الحاكم .

وفي لفظ رواية ابن عباس رضي الله عنهما ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به ؛ فلن تضلوا أبداً : كتاب الله، وسنة نبيه** » رواه الحاكم أيضاً .

قال أبو المنذر في (الزهرة العطرة) : وعليه فلا يصح من هذه الأحاديث في الاعتصام بالسنة مع الكتاب حديث بنفسه ، ولا بغيره ، وإن ذلك غريب كما ذكر الحاكم (فتأمل !!) .

هذا بعض ما جاء في هذا الحديث .

أمَّا الثاني ؛ فما ورد في الاعتصام بالكتاب وعترة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، فقد ورد من طرق شتى عن عدد من الصحابة ، منهم :

١- زيد بن الأرقم رضي الله عنه .

٢- زيد بن ثابت رضي الله عنه .

٣- أبو سعيد الخدري رضي الله عنه .

٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٥- أبو ذر رضي الله عنه .

٦- حذيفة بن أسيد رضي الله عنه .

٧- جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٨- وغيرهم .

ومن هذه النصوص والطرق الحديثية لحديث الثقلين :

(١)

عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه حين خطب رسول الله بـ (ماء خم) بين مكة والمدينة ، فقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنما أنَا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن** ، أولهما : **كتاب الله ، فيه الهدى والنور** » فحَثَّ النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم على الأخذ بالكتاب ، ثم قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **وأهلَ بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي** » وكررها ثلاثاً (هنا وفي أحاديث أخرى) . رواه مسلم وأحمد والبَسَويّ وغيرهم .

(٢)

وعن زيد بن الأرقم رضي الله عنه ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنّي لكم فرط ، وإنكم واردون عليّ الحوض** » (ووصف الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الحوض) ، ثم قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين** » ؛ فقال رجل : يا رسول الله ! وما الثقلان ؟ فقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **الأكبر - يعني الثقل الأكبر - كتاب الله** » ووصفه « **والأصغر عترتي ، وأنهم لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، وسألت لهما ذاك ربي** » . أخرجه الطبراني في الكبير ، وذكره الهيثمي في المجمع وقال : في الصحيح طرف منه .

(٣)

وعن زيد بن الأرقم رضي الله عنه ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما** » ، وفي رواية « **فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض** » رواه الشجري في (الأمالي) ، ونحوه ابن أبي عاصم في (السنة) ، والبَسَويّ في (المعرفة) من طرق مختلفة ، ورواه الترمذي أيضاً ، ورواه الحاكم وصححه ، وابن حبان أيضاً ، كل أولئك مع اختلاف يسير جداً في بعض الألفاظ ، مع زيادة يسيرة أو نقص ، مع اتّحاد المعنى ؛ فحديث العترة بكل هذا صحيح ومشهور .

(٤)

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنّي تارك فيكم خليفتين : كتاب الله عَزَّ وجَلَّ ، وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض** » . رواه البسوي وعبد بن حُمَيْد ، ورواه الطبراني في الكبير ، وأحمد ، وابن أبي عاصم ، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ، واتّحاد الأصل والمعنى تماماً .

(٥)

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ،**

ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » . رواه أحمد في المسند ، والترمذي في سننه ، والطبراني في (الكبير) ، وأبو يعلى في (المسند) ، وابن أبي عاصم في (السنة) ، وابن الجعد في المسند، والشجري في الأمالي ، والبسوي في (المعرفة والتاريخ) ، والديلمي في الفردوس، وذكره الهيثمي في (المجمع) .

(٦)

وأخرجه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ١٧) ، عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أنَّه قال : **« إنِّي أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عَزَّ وجَلَّ وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما »** .

(٧)

وأخرج القندوزي في (ينابيع المودة) ، الباب الرابع ، ص٣٥ طبع إسلامبول ١٣٠١ ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : صَلَّى بنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الظهر ثم أقبل بوجهه الكريم إلينا ، فقال : **« معاشر أصحابي ، أوصيكم بتقوى الله ، والعمل بطاعته ، وإني أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم »** .

(٨)

وأورد أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، القرطبي في (العقد الفريد) جـ٢ ص٤٦ ، خطبة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في حجة الوداع ، وفيها : « **أيُّها النَّاس ، إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئ مال أخيه ، إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وأهل بيتي ، ألا هل بلغت . . اللهُمَّ اشهد** » .

ونكتفي بهذا القدر هنا ، ومن أراد التفصيل والزيادة فليرجع إلى كتاب (الزهرة العطرة) لحبيبنا وولدنا في الله الباحث المحقق السيد أبو المنذر رضي الله عنه ، وإلى كتاب (ينابيع المودة) .

وحسبنا أن نختم بحديث حذيفة بن أُسَيْد الغفاري رضي الله عنه قال : قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين ؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنَّه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليَّ الحوض** » . رواه الطبراني وأورده الهيثمي .

(٢) بعض من أخرج الحديث أيضاً أو نقله :

أصل حديث العترة والثقلين في صحيح مسلم ، وأكثر طرقه عند كل رواته صحيحة ، وبهذا أخذ الحديث حكم (التواتر) ، فقد ورد عن سبعة من الصحابة من نحو ثلاثين طريقاً ، وحسبنا في صحة التواتر لفظ (الكتاب والعترة) الذي هو القدر المشترك بين جميع الأحاديث ؛ فيحصل التواتر العلمي المعروف عند أهل الحديث .

والحديث أخرجه القندوزى عن : زيد بن أرقم ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبي ذرالغفاري ، وأبي سعيد الخُدْري ، وحذيفة بن أسيد الغفاري ، وجبير بن مطعم ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعامر بن أبي ليلى ، وأبي رافع مولى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وأبي هريرة، وأم هانيء بنت أبي طالب . . وغيرهم .

وقال : وفي الصواعق المحرقة : روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً ، وإن كثيراً من طريقه صحيح وحسن (انظر الينابيع ، باب ٤ ، ص ٢٨-٤١) .

قال السمهودي : وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة .

وأخرج الحديث (مع من ذكرنا) كثير من أئمة الحديث وحفاظه ، كالحاكم في (المستدرك) ، والخطيب في (تاريخ بغداد) ، كما أورده المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) هامش مسند أحمد ، وأخرجه الترمذي في (صحيحه) ، كما في (شرح الشفا) لعلي القاري ، وأخرجه محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري في (ذخائر العقبى) ، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر .

وأورده في (أسد الغابة) لابن الجزري ، و(تذكرة الخواص) لابن الجوزي ، و(إنسان العيون) لنور الدين الحلبي الشافعي ، و (السراج المنير) للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي ، وفخر الدين الرازي في تفسير آية « الاعتصام » ، والنظام النيسابوري فى تفسير آية « الاعتصام » ، والخازن في تفسير آية « الاعتصام » وتفسير « آية

المودة » ، وابن كثير الدمشقي في تفسير « آية المودة » ، وفي تفسير « آية التطهير » ، وهو في « مصابيح السنة » للإمام البغوي الشافعي ، و« الصواعق المحرقة » لابن حجر الهيتمي . . وفي هذا كفاية لمن اهتدى ، وليلهث الثرى كلّ موتور ، من متمسلفة هذه العصور .

(٣) تعقيب وبيان :

قال ابن الأثير في النهاية : « سماهما الثقلين ؛ لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ، ويقال لكل خطير ونفيس : ثِقْلٌ ، فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما ، وتفخيماً لشأنهما » ، وفي شرح القاموس : كل شيء نفيس مصون يقال له (ثِقْل) بكسر فسكون .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : آية ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ نزلت في خمسة : النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وعليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، عليهم الرضا والسلام .

والإجماع على أن نساءه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم من أهل البيت ، كما ورد في عدة أحاديث ، ونقل مُلا علي القاري : أن عترة الرجل هم أهل بيته ورَهْطه الأدْنَيْن ، والمراد : التمسك بحبهم ، وحفظ حرمتهم ، وقال ابن الملك : إن المعنى محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم . . وقال الطيبي : إن المراد بأهل البيت هنا : أهل العلم والفضل منهم (قلنا : وهذا هو المعقول طبعاً ووضعاً) .

ولعَلَّ من يدعون السلفية ويرون أن الدِّين هو الزراية بأهل البيت أحياءً وأمواتاً ، يتقون الله الذي يقول على لسان نبيه : ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ فلا يبالغون ويتكلفون أن المراد بالقربى معنى آخر غير قربى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، غفر الله لهم ، ونفعنا الله ببركة نبيه وأهل بيته الأطهار الأبرار .

(٤) منزلة أهل البيت وحقوقهم :

قال العلامة المناوي في جـ٣ ص١٤ من (فيض القدير) في شرحه لحديث العترة المذكور :

« (تنبيه) قال الشريف : هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة ، في كل زمن إلى قيام الساعة ، حتى يتوجه الحديث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك ، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض ، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض » .

وقد اتفق أهل العلم على ما يأتي :

١ - العترة وأهل البيت ، على الخصوص هم : (علي وفاطمة والحسن والحسين) ، ثم ذرياتهم ، أمَّا على العموم ، فهم هؤلاء ومعهم (آل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس) وذرياتهم .

٢ - عترة الرجل نسله ورهطه الأقربين ، وفي حديث للنبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول نصه « عترتي أهل بيتي » رضي الله عنهم ، فليلاحظ ذلك في حديث ابن عَبَّاس قبل حديث أبي سعيد فهو الأدل هنا .

وقد تواترت الأحاديث في فضل أهل البيت النبوي ، ومن ذلك :

(١)

عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قال : لما نزلت آية ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ قالوا : يا رسول الله! ومَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **عليّ وفاطمة وابناهما** » . رواه الطبراني .

(٢)

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : سمعتُ النبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « **إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل (باب حطة) في بني إسرائيل ، من دخله غفر له** » رواه الطبراني في الصغير والأوسط .

(٣)

عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه : جاء النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إلى بيت علي فقال : « **السَّلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** » رواه الطبراني في الأوسط .

(٤)

عن عليٍّ رضي الله عنه : أنَّه دخل على النبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم، وقد بسط شملة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بمجامعه ، فعقد عليهم ، ثم قال: « **اللهُمَّ ارض عنهم ، كما أنا عليهم راض** » . رواه الطبراني في الأوسط .

(٥)

عن صُبَيْح قال : كنت بباب النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فجاء عليّ وفاطمة والحسن والحسين فجلسوا ، وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فقال : « **إنكم على خير** » ، وعليه كساء خيبري فجللهم به ، وقال : « **أنا حرب لمن حاربكم ، سلم لمن سالمكم** » . رواه الطبراني في الأوسط ، ورواه أحمد كذلك . وعن أبي هريرة نحوه مختصراً .

(٦)

وعن عليٍّ رضي الله عنه : قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لفاطمة : « **إنني وإياك وهذين** - أي الحسن والحسين - **وهذا النائم الراقد** - يعني عليّاً - **في مكان واحد** » .

رواه أحمد والبزار والطبراني (بتفصيل السبب في أن قاله النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم) .

(٧)

عن جابر رضي الله عنه ، أنَّه سمع عمر بن الخطاب حين تزوج بنت الإمام علي رضي الله عنه يقول : ألا تهنئوني ، سمعتُ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « **ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي** » .

رواه الطبراني في الأوسط والكبير .

(٨)

وعن عطاء ، أن رجلاً أخبره أنه رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يضم إليه حسناً وحسيناً ويقول : « **اللهم إني أحبهما فأحب من يحبهما** » .

وفي رواية ابن مسعود زيادة : « **ومن أحبهما فقد أحبني** » . رواه أحمد والبزار .

وفي كل ذلك كفاية ، لمن وفقه الله إلى الهداية .

* . * . *

* و **مع أشد الأسف** :

في منهاج السنة (الجزء الثالث ، الصحيفة ٢٦٩) لابن تيمية : يندد باحترام المسلمين لأهل البيت ، قوله غفر الله له : « إن فكرة تقديم آل الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم هي من أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت الرؤساء » .

فما يقول في كل هذه الأدلة ؟! .

وقد سبق لابن تيمية القول بعدم الاهتمام بزيارة قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بقوله ما نصه : « ليس عن النبي في زيارة قبره ولا قبر الخليل حديث ثابت أصلاً » (كتاب الزيارة ١٢ ، ١٣) .

ويقول : « الأحاديث الكثيرة المروية في زيارة قبره صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كلها ضعيفة ، بل موضوعة » (كتاب الزيارة ٢٢-٢٨) .

مع أنها رويت عن أكابر الثقات ، وخرّجها كبار الحفاظ والمحدِّثين ، كالهيثمي في(المجمع) ، والدارقطني في (السنن) ، وابن حجر في (المطالب) ، ثم في (تلخيص الحبير) ، والسيوطي في (الدر المنثور) ، والزبيدي في (الاتحاف) ، والمتقي الهندي في (كنز العمال) ، والطبراني في (الكبير) ، والدولابي في (الكنى) ، والبيهقي في (السنن) ، والعراقي في (المغني) ، وابن عدي في (الكامل) ، والسهمي في (التاريخ) ، والمنذري في (الترغيب) ، والتبريزي في (المشكاة) . . وغيرهم .

فلا عجب أن ترى من أصحابه من يكفر بعض الصحابة ، كما جاء في الرسائل العملية (لابن عبد الوهاب) ، كما يعتقدون أن المتبرك بالمسجد النبوي وطالب الشفاعة منه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم مشرك أشد من شرك الجاهلية وعبدة الأوثان كما جاء في رسائل ابن عبد الوهاب (ص ٧٩)، وفتح المجيد (٤٠ ، ٤١) ، وكشف الشبهات له .

ومن المضحك المبكي : أن بعض أتباعهم يكسر رباعيته من فمه ، ليتشبه برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الذي كسرت رباعيته أثناء الحرب (في أُحد) .

ومن المبكي المزعج في أيامنا هذه : تلك الفتن والدماء المهرقة ومحاولة إبادة الإسلام في الجمهوريات الإسلامية المحررة من الاستعباد الشيوعي ، كالبوسنة والهرسك ، وطاجستان ، وآ ذربيجان ، والشيشان ، إلى كوسوفو ، وألبانيا ، إلى بورما ، والهند ، وكشمير ، إلى الفلبين ، وسيلان ، إلى الصومال ، ونيجيريا ، ووسط أفريقا ، إلى الأقليات الإسلامية في أوربا وأمريكا .

ومن الملاحظات الجديرة بالنظر أن النبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال في الحديث الثابت عن (نجد) : « فيها يخرج قرن الشيطان » ، فخرج منها (مسيلمة) ، وخرج (ذو الخويصرة) ، وخرج منها (القرامطة) ، ثم استمر خروج الوهابيين ، الذين يوقدون نار الفتنة الدينية في كل مكان ، وما عمارتهم للحرمين الشريفين إلا للدعاية والتجارة والربح ، ليس إلا .

ومن حواشي تعاليمهم وبسببها ظهرت العلمانية والانحلالية ، والإرهابية والتطرفية . . إلخ ، وبهذا انتقلت الحروب الصليبية إلى داخل حرم الوطن المحمدي والأمة الإسلامية ، حيث فشت الفُرقة والاختلاف والوهن ، وأصبح بأس الأمة ، وبخاصة العروبة بأساً شديداً مفزعاً .

ثـالـثاً

* نحن و الكرامات وهذا الكتاب :

نحن نشـهـد الله على أننا نؤمن بكرامـات أوليـاء الله ، ولنا في ذلك مخطوط سبق أن نشرنا بعضه ببعض المجلات المصرية ، ونسأل الله أن ييسر لنا طباعته بفضله تعالى .

فإذا كنَّا في كتابنا هذا لم نوف جانب الكرامات حقه ، فلأننا أردنا بهذا الكتاب أن يشمل واقع عصرنا في أهل البيت ، على أسلوب زماننا : منهجاً وتقسيماً وتقديماً ، وقد اكتفينا بالكلام عن مشاهير أهل البيت من السابقين ، بعد أن كتب كثير من الأخوة عن مشاهير الأولياء من أهل البيت اللاحقين ، وبخاصة أختنا في الله المؤرخة المؤمنة الدكتورة (سعاد ماهر) أثابها الله .

ولم نكتف هنا بالتحقيق ؛ بل اهتممنا بتصحيح كثير جداً مما أخطأ فيه السادة المؤرخون قبلاً ، وليس معنى هذا أننا ندعي العصمة ، فيشهد الله أننا خطاءون ، ولا مانع أبداً من أن يكون الأمر الذي ندعي أنه الصواب ، هو عين الخطأ ، فنستغفر الله ونتوب إليه .

وقد امتاز ما نكتب بفضل الله بكثير جداً من المعلومات التاريخية ، التي لم يشر إليها السابقون ، ومما استجد في عصرنا ، فكان كتابنا هذا جديداً قديماً ، حاشداً راشداً ، نافعاً ، يسد جانباً لا بد منه من شئون عصرنا ، وبالله التوفيق . وصَلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسَلَّم

المفتقر إليه تعالى وحده

(محمد زكي إبراهيم)

في الرحاب الطاهرة

للأستاذ السيد محمد وهبي إبراهيم

(شقيق السيد الرائد)

أولاً : من هم أهل البيت ؟ :

قال أبو سعيد الخُدْري وجماعة من التابعين ، منهم مجاهد وقتادة : أهل البيت هم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين . . وذهب إليه الزمخشري في بعض أقواله وتبعه بعض المفسرين .

وقال الفخر الرازي والقسطلاني وآخرون : أهل البيت أولاده وأزواجه والحسن والحسين ، وعليٌّ منهم لمعاشرته فاطمة ، وملازمته النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وقال سعيد بن مقاتل وعكرمة ومقاتل : أهل البيت نساؤه .

وقال زيد بن الأرقم : أهل البيت من تحرم عليهم الصدقة ، وهم : آل عليّ وعقيل وجعفر والعَبَّاس ، وذلك هو الراجح .

قال السيوطي : هؤلاء هم الأشراف حقيقة في سائر الأمصار ، وهو ما عليه الجمهور .

وقال الشعراني : قول زيد بن الأرقم هو معنى حديث صحيح .

قلنا : رواه مسلم والنسائي .

ثانياً : من هم أهل العباءة والرداء ؟ :

في (الخطيب) عن عائشة رضي الله عنها ، أنَّ الرسولَ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم خرج وعليه مرط مرحّل (عباءة صوف) من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ، ثُمَّ الحسين ، ثُمَّ فاطمة ، ثُمَّ عليّ ، ثم قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ ، وفي رواية أخرى قال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتي** ، (**أو أهل بيت محمد**) ، **فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد . كما جعلتها على إبراهيم** ، **إنك حميد مجيد** » ، ونحوه روايات شتى .

وفي رواية : « كان معهم جبريل وميكائيل » .

قال الطبري : وقد تكرر هذا الفعل مرات منه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وعن عليّ رضي الله عنه قال : شكوتُ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم حسد النَّاس لي ، فقال : « **أمَا ترضى أن تكون رابع أربعة هم أول من يدخل الجنة : أنا وأنت والحسن والحسين ، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا ، وذرياتنا خلف أزواجنا** » .

ومما يلحق بهذا المقام ما رواه الديلمي قال : قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة : أنا ، وحمزة ، وعليّ ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهدي** » .

ثالثًا : آية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ . . . ﴾ :

روى أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخُدْري قال : قال النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **أنزلت هذه الآية في خمسة : فيَّ وفي عليٍّ ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة** » .

وروى أحمد ، والترمذي ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم ، وصححه عن أنس ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بعد نزول هذه الآية ، كان يمر ببيت فاطمة ، إذا خرج لصلاة الفجر ، يقول : « **الصلاة أهل البيت ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾** » .

وفي رواية أبي سعيد : جاء صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أربعين صباحًا إلى دار فاطمة يقول : « **السَّلام عليكم أهل البيت ، رحمكم الله ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾** » .

وفي رواية له عن ابن عَبَّاس : « سبعة أشهر » ، وفي رواية لابن جرير ، وابن المنذر ، والطبراني : « ثمانية أشهر » .

رابعًا : آية المودة في القربى :

قال القسطلاني : المراد بالقُرْبى : مَنْ يُنْسَب إلى جده الأقرب عبد المطلب . وقال البغوي والرازي والبيضاوي ، وتابعهم أكثر المفسرين : القربى هم أهل البيت .

قال الزمخشري : روي أنَّه لما نزلت هذه الآية ، قيل : يا رسول الله !

مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **عليٌّ وفاطمة وابناهما** » .

قلنا : هذه هي رواية الطبراني ، وابن مَرْدَوَيْه ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عَبَّاس رضي الله عنها ، ويدل له سبب نزول الآية ، فإنَّه لما تفاخر الأنصار بأيديهم على الدعوة الإسلامية ، وعاتبهم الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فيما منُّوا به على الله ، أسفوا وجثوا على الركب ، وقالوا : « أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله ؟ » فنزل قوله تعالى : ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ .

هذه نصوص قطعية في أن المراد بالقربى هم أهل بيت رسول الله ، لا يشذ عن ذلك إلا المبتلون بالحقد على أهل البيت باسم العلم والسَّلفية .

خامسًا : وجوب حب أهل البيت :

(١) أخرج ابن سعد ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **استوصوا بأهل بيتي خيراً ، فإنِّي أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خَصْمُه خَصَمَه الله** » .

(٢) ونقل القرطبي ، عن ابن عَبَّاس رضى الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ قال : رضا محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النَّار .

(٣) وروى الديلمي والطبراني والبيهقي وابن حبان ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لا يؤمن عبد حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه ، وتكون عترتي أحب إليه من عترته ، وأهلي أحبَّ إليه من أهله ، وذاتي أحب إليه من ذاته** » .

(٤) وأخرج البخاري ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال أبو بكر رضي الله عنه : خطب النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فقال : « **أذكِّركُم الله في أهل بيتي** » ثلاثاً .

(٥) وروى الإمام أحمد ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنِّي أوشك أن أُدْعَى فأجيب ، وإنِّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله ، حبل ممدود من الأرض إلى السماء ، وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيا مة ، فانظروا بم تخلفوني فيهما** » ، وفي رواية « **إنَّ الله سائلكم كيف خلفتموني في كتاب الله وأهل بيتي** » .

(٦) وروى الحاكم ، والترمذي ، وصححه على شرط الشيخين ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **أَحِبُّوا الله لما يغذوكم به ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي** » . . واستقصاء هذه الأخبار يطول ، وحسبنا هذا لمن شرح الله صدره ، ورفع قدره .

سادساً : تحريم بغض أهل البيت :

(١) أخرج الطبراني ، والبيهقي ، وابن مَنْدَه ، وابن أبي عاصم ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ؟ ألا ومَنْ آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله** » .

(٢) وروى أبو الشيخ ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي ؟ والذي نفسي بيده ، لا يؤمن عبد حتى يحبني ، ولا يحبني حتى يحب ذريتي** » .

قلنا : وقد كان من أدب السلف الصالح ألا يقرءوا في الصَّلاة بسورة (اللهب) حفاظًا على قلب رسول الله ونفسه ، مع أنَّها قرآن منزل (خلافاً لأدعياء السلفية ، فهم يتعمدون القراءة بها غلاًّ) .

(٣) وروى أحمد مرفوعًا : « **من أبغض أهل البيت فهو منافق** » .

(٤) وروى الحاكم صحيحًا على شرط الشيخين : قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النَّار** » .

(٥) وروى الديلمي، عن أبي سعيد، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **اشْتَدَّ غضب الله على مَنْ آذاني في عترتي** » .

(٦) وروى الطبراني في الأوسط ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لا يبغضنا أحد إلا زِيدَ عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار** » (أي أُبْعِدَ عن حوضه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم) .

(٧) ونختم البحث بما رواه الدَّارَقُطْني مرفوعاً ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **يا أبا الحسن ! أمَّا أنت وشيعتك ففي الجنة ، وإن قومًا يزعمون أنهم يحبونك يصغّرون الإسلام ثم يلفظونه ، يمرقون منه ، كما يمرق السهم من الرَّمِيّة** » .

وهذا الحديث من أعلام النبوة في تصوير متمسلفة هذا الزمان ، ولا قوة إلاّ بالله، والحمد لله رب العالمين .

خادم العشيرة المحمدية

محمد وهبي بن إبراهيم الخليل بن عليّ الشاذلي

رحمه الله تعالى

الباب الثاني

أقطاب أهل البيت الأشراف

نبذات عن عليٍّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين
رضي الله عنهم جميعاً

أولاً : تعريف بأبي الحسن الإمام عليٍّ :

فوالده : أبو طالب عم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، شقيق عبد الله بن عبد المطلب والد النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وأمُّه هي : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يناديها بـ « يا أمي » ، ولما توفيت كفنها صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في قميصه ، واضطجع في لحدها ، ودعا لها ، وقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لقد كنت أمي بعد أمي** » .

وكُنْيَةُ الإمام عليّ رضي الله عنه : (أبو الحسن) ، وكان النبيُّ يكنيه أيضًا : (أبا تراب) ، وقد ضم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عليّاً وهو طفل فربّاه في بيته كأبنائه ، فلما بلغ عشر سنين تنزل الوحيّ ، وبُعِثَ الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ؛ فكان عليٌّ أول من آمن به من الصبيان ، وأقام عليٌّ مع النبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في مكة ثلاث عشرة سنة ، وفداه يوم الهجرة ، وكان معه بالمدينة ابنًا وأخًا مجاهدًا ، حتى تزوج عليٌّ بسيدة نساء العالمين (فاطمة) بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

ثُمَّ عاش بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم نحو ثلاثين سنة ، ومات وعمره نحو ثلاث وستين سنة ، ولم يتزوج عليٌّ على فاطمة حتَّى توفيت ، فتزوج عدة نساء ، لأنَّه كان يريد نسلاً كبيرًا ، يؤيد بيت النبوة ، وكان له سبعة وعشرون ولداً وبنتًا (على بعض الروايات) ، ولكن نسله كله كاد أو انحصر أخيراً في ذرية الحسن والحسين وزينب رضي الله عنهم ، وكان لهم شقيقان لم يعقبا هما : رقية وأم كلثوم ، من فاطمة رضي الله عنها .

هذا ، وقد تكفل أبو طالب بتربية سيِّدنا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وهو طفل ، وتكفل النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بتربية سيدنا عليّ وهو طفل ؛ فكانت تربية الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لـ « عليّ » في مقابلة تربية أبو طالب للنبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، فلم يبق لأحد على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فضل ولا مجاملة .

وأشهر زوجات الإمام عليٍّ - بعد سيدتنا فاطمة بنت الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم - : هي السيدة أم محمد (حبيبة الحنفية) ، وكان محمد ولدها إمامًا جليلاً ، له مواقف مشهودة مع أخويه الحسن والحسين .

ثُمَّ تزوج عليٌّ رضي الله عنه بعد الحنفية (أم البنين فاطمة) فأعقب منها : (العَبَّاس ، وعبد الله ، وعثمان ، وجعفر) ، وكانوا يسمون العَبَّاس بن عليّ (قمر بني هاشم) لجماله وجلالته وفضله وعلمه ، وكلُّ هؤلاء الأخوة جاهدوا مع أخيهم الحسين ، واستشهدوا معه ، ودفنوا معه في قبره بكربلاء .

ثُمَّ تزوج عليٌّ بـ (أمامة بنت زينب بنت الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم) ، وهي الأخت الكبرى ، ولكنه لم يعقب منها ذكورًا .

ومدة خلافة عليّ : خمس سنين وستة أشهر ، وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى شهيد الغدر بسيف (عبد الرحمن بن ملجم المرادي) ، وقام على تجهيزه الحسن والحسين ، وأخوهما محمد بن الحنفية ، ودفن ليلاً كما سبق أن دفنت زوجته فاطمة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ليلاً بالبقيع منعاً من الفتن ، ثم إنَّ قبر عليّ بالكوفة بـ (النجف الأشرف) بالعراق ، وهذا القبر يقع (كما يجري على الألسن هناك) بين قبري (آدم ونوح) ، وفي جوارهما قبر (هود وصالح) ، وتسمى هذه المراقد بـ (العتبات المقدسة) ، ولا تدخلها امرأة سافرة أو غير متحشمة تمامًا .

ثانيًا : تعريف بأم الحسنين فاطمة الزهراء :

ولدت بمكة يوم الجمعة الموافق العشرين من جمادى الآخرة ، بعد البعثة بعامين .

وأمها : خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

وقد كنّاها والدها المصطفي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بـ (أم أبيها) لشدة حبه لها وحبها له ، وكان يقوم لها إذا أقبلت (بعد أن تزوجت عليّاً رضي الله عنه) ويُقَبِّلُها ويجلسها في مكانه ، وجعل سكنها بجوار بيته .

ومن ألقابها : (الزهراء) ، و(البتول) ، و(النبوية) .

وتزوجت بالإمام عليّ رضي الله عنه ، فرزقها الله بـ (الحسن رضي الله عنه) بعد الهجرة بثلاث سنين ، وولدت (الحسين رضي الله عنه) بعد

نحو عام واحد من ولادة أخيه الحسن ، وتوفيت في يوم الثلاثاء ، ثالث أيام جمادى الآخرة (في مثل شهر ولادتها) سنة عشرة من الهجرة ، وكان ذلك بعد وفاة أبيها المصطفي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بخمسة وسبعين يومًا ، فقد بلّغها في مرض موته أنَّها أول أهله لحوقًا به بعد وفاته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها .

ويروى عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أنَّه قال : « **سميتها فاطمة لأنَّ الله عَزَّ وجَلَّ فطمها وفطم من أحبها عن النَّار** » ، وكانت أشبه برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم صورةً وسمتًا وكلامًا وتعبدًا وخُلُقًا عظيمًا .

وفي الحديث عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **فاطمة بضعة** (أي قطعة) **مِنِّي ، يرضيني ما يرضيها ، ويؤذيني ما يؤذيها** » .

وفي الحديث الثابت عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لكل أبناء نبيٍّ عصبة ينتمون إليها إلا ابنتي فاطمة ؛ فأنا وليها وعصبتها** » أخرجه الحاكم في المستدرك عن جابر ، وأخرجه أبو يعلى في المسند عن فاطمة ، وأخرجه آخرون .

ولهذا كان الأشراف كلهم من أبنائها رضي الله عنها ، أعني ذرية الحسن والحسين وزينب ، عند من يرى امتداد شرف النبوة إلى أبناء البنات كصاحب كتاب « إسماع الصم في إثبات الشرف من الأم » ، خلافًا لـ (ابن عبد السلام ، وابن عرفة ، والسرخسي ، والزمخشري) ، ووافقهم الكثيرون ، ومضى الحكم على هذا الاعتبار .

أمَّا المُحَسَّن أخو الحسنين فقد مات طفلاً (من فاطمة) .

ثالثًا : تعريف بالإمام الحسن :

والده : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأمّه : فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وُلِدَ بالمدينة المنورة ، ليلة النصف من رمضان ، في السنة الثالثة للهجرة ، وهو أول أبناء عليّ وفاطمة رضي الله عنها ، ولما ولد أذّن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في أذنه اليمنى ، وأقام الصلاة في أذنه اليسرى ، وفي يوم سبوعه عقّ (ذبح) عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وحلق رأسه ، وتصدق بوزن شعره فضة ، وسمَّاه النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الحسن (ولم يكن للعرب عهد بهذا الاسم) ، وكنّاه : أبا محمد ، ومن ألقابه : الزكي ، والمُجْتَبَى .

وكان جده المصطفي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « **الحسن سبط من الأسباط ، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة** » .

وأمَّا زوجاته رضي الله عنه ، فهُنَّ :

(١) أم إسحاق بنت طليحة بن عبد الله .

(٢) حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر .

(٣) هند بنت سهيل بن عمرو .

(٤) جعدة بنت الأشعث بن قيس ، وهي التي يقال أنها قتلته بالسم (في اليوم السابع من صفر عام تسع وأربعين) ، بتدبير تم بينها وبين بني أمية . . والله أعلم .

وأمَّا أولاده ، فهم : (زيد ، والحسن المُثَنَّى ، وعمرو ، والقاسم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، والحسن المثلث ، وطلحة ، وأم الحسن ، وأم الحسين ، وفاطمة) .

ولكن نسله الشريف جاء من ولده الحسن المُثَنَّى ، وولده زيد ، وإليهما ينتمي الأشراف من بني الحسن ، وقد بويع بالخلافة بعد أبيه في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، ولكنه حقنًا لدماء المسلمين ، ودفعًا لمسيرة الإسلام إلى الأمام ، عقد صلحًا مع معاوية (في جمادى الأولى عام واحد وأربعين من الهجرة) ، وبذلك حقق حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الذي بشّر بأن الله يصلح به ما بين طائفتين من هذه الأمة ، ومع أنَّ معاوية لم يوف بعهده للحسن ، فإنَّنَا نكل أمرهما إلى الله ، ولا نجدد الفتن التي قطعاً تضرُّ الآن ولا تنفع . . والله قاهر فوق عباده .

ثم انتقل الإمام الحسن إلى الرفيق الأعلى بعد تسع سنين ، ودفن بالبقيع رضي الله عنه .

رابعًا : تعريف بالإمام الحسين :

وقد ولد الإمام الحسين (أبو عبد الله) رضي الله عنه ، في ثالث أو خامس يوم من أيام شعبان سنة أربع من الهجرة ، بعد نحو عام من ولادة أخيه الحسن رضي الله عنه ؛ فعاش مع جده المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم نيفًا وست سنوات ، وقد مات الحسين وله من العمر سبعة وخمسون عامًا ، واستشهد في يوم الجمعة أو السبت الموافق العاشر من

المحرم ، في موقعة كربلاء قريبًا من (نينوى) بالعراق ، عام إحدى وستين من الهجرة .

قتله عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وخولي بن يزيد الأصبحي ، واجتز رأسه الشريف سنان بن أنس النخعي ، وشمر بن ذي الجوشن ، وسلب ما كان عليه إسحاق بن خويلد الحضرمي . وذلك بعد قتال مرير غير متكافيء بينه وبين ألوف الجنود من جيش يزيد بن معاوية التي كان قد وجهها إليه عبد الله بن زياد ، عامل يزيد بن معاوية على العراق ، حين لم يكن مع الحسين إلا قلّة من أهل بيته ، ومنهم العديد من النساء والأطفال .

ولم يكن رضي الله عنه خارجًا لحرب ، وإنَّمَا استجابة لرغبة أهل العراق في تجديد الأمر والنهي لله ، وإرجاع الدعوة الإسلامية إلى نبعها إرشادًا وهداية ومحافظة على الإسلام ، وإلاّ فهل يخرج رجل لحرب الألوف بعشرات من الأطفال والنساء والرجال العُزَّلْ ، غفر الله للجميع .

وقد شهد الحسين مع والده واقعة (الجمل) و(صفين) وحروب الخوارج وغيرها ، كما شارك بعد وفاة أبيه في فتح أفريقيا وآسيا ، كما سجَّله سادة المؤرخين .

وقد دفن جسده الطاهر بكربلاء بالعراق ، أمَّا الرأس الشريف فقد طيف بها إرهابًا للنَّاس ، حتى استقر أو حفظ بـ (عسقلان) ، من ثغور فلسطين على البحر المتوسط ، ثم لما اشتعلت الحروب الصليبية ، وخاف الخليفة الفاطمي على الرأس فأذن وزيره (الصالح طلائع بن رزيك)

فنقلها إلى مصر بالمشهد المعروف بها الآن ، بتحقيق أعلم المؤرخين وأصدقهم ، ولا اعتبار للروايات التي يتمسك بها النواصب من خصوم أهل البيت والمتمسلفة ، فهي منقوضة من كل الوجوه ، وقد حققنا ذلك فيما يأتي بما لا يدع مجالاً لأي شك أو ريبة .

وقد تزوج الحسين رضي الله عنه بعدد من النساء رجاء كثرة النسل لحفظ أثر البيت النبوي ، كما فعل أبوه من قبل ، وقد حقق الله هذا الرجاء ، فحفظ ميراث النبوّة وعصبتها في نسل الحسن والحسين وزينب أخت الحسين وفاطمة ابنته ، رضي الله عن الجميع .

أمَّا أبناؤه ، فهُمْ :

(١) عليٌّ الشهيد ، أمُّه : برة بنت عروة بن مسعود الثقفي من أشرف بيوت العرب .

(٢) عليٌّ الأوسط (أو المثنى) ، واشتهر بالإمام .

(٣) عليٌّ الأصغر (أو المثلث) ، واشتهر بزين العابدين السجَّاد ، وأمهما : (الأميرة) مشهر بانو بنت كسرى شاهنشاه ملك الفرس .

(٤) محمد ، وعبد الله ، وسكينة الكبرى ، والصغرى ، وأمهم : الرباب بنت امرىء القيس الكندية من ملوك العرب .

(٥) جعفر ، وأمه : القضاعية .

(٦) فاطمة .

(٧) وزينب ، وأمهما : أم إسحاق بنت طليحة بن عبد الله من كبار الصحابة .

ولكن نسل الحسين رضي الله عنه كله كان من عليّ الأصغر (زين العابدين السجّاد) (يعني كثير السجود والعبادة) ؛ فمن بنتيه : فاطمة وزينب (عند من يقر الشرف من طريق البنات كما قدمنا) ، وإن كانت ذرية فاطمة قليلة ونادرة .

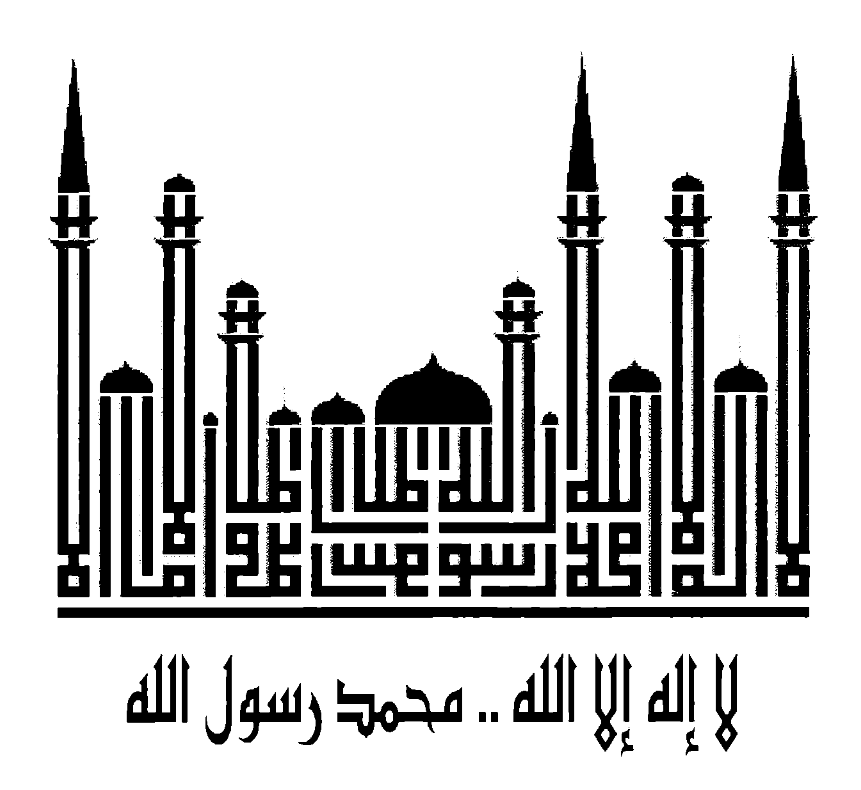
وقد روى الحاكم وصححه عن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **حسين مني وأنا من حسين . اللهُمَّ أحب من أحب حسينا . حسين سبط من الأسباط . الحسن والحسين سيدا شاب أهل الجنة** » . .

وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أنَّه قال : « **مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى سيِّد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن عليّ رضي الله عنه** » .

*. *. *

قال الشاعر المحب :

قيل : تشقى بحبٍّ (آل النَّبيِّ)
قلتُ : هذا كلامُ غاوٍ غبيّ
فاز كلبٌ بحبِّ أصحاب كهف
كيف أشقى بحبِّ (آل النَّبيِّ)



الباب الثالث

رأس الإمام الحسين
بمشهده بالقاهرة تحقيقًا مؤكداً حاسماً

الباب الثالث

رأس الإمام الحسين
بمشهده بالقاهرة تحقيقًا مؤكداً حاسماً

* آراء وأدلة وشهادة العلماء والمؤرخين المنصفين الراسخين في العلم .
* مع معالم ومعلومات هامة ...

أولاً : رأي المؤرخين وكتاب السيرة :

يجمع المؤرخون وكُتَّاب السيرة (سوى المتمسلفة) على أنَّ جسد الحسين رضي الله عنه دفن مكان مقتله في كربلاء ، أمَّا الرأس الشريف فقد طافوا به حتَّى استقر بـ (عسقلان) الميناء الفلسطيني ، على البحر الأبيض ، قريباً من مواني مصر وبيت المقدس .

وقد أيَّد وجود الرأس الشريف بـ (عسقلان) ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواد ، منهم : ابن ميسر ، والقلقشندي ، وعليّ بن أبي بكر الشهير بالسايح الهروي ، وابن إياس ، وسبط ابن الجوزي .

وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة المؤرخ العظيم عثمان مدوخ إذ قال : إنَّ الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار : مشهد بدمشق دفن به الرأس أولاً [1] . ثُمَّ مشهد بعسقلان بلد على البحر

(١) يقول أكثر المؤرخين : إنَّ مسجد الرأس بدمشق كان منزلاً من المنازل التي أقام بها حملة الرأس لتخويف النَّاس ولم يكن مدفناً للرأس أبداً .

الأبيض، نقل إليه الرأس من دمشق ، ثُمَّ نقل إلى المشهد القاهري لمصر بين خان الخليلي والجامع الأزهر .

ويقول المقريزي : إنَّ رأس الحسين رضي الله عنه نقلت من عسقلان إلى القاهرة في ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨ هـ ، وبقيت عامًا مدفونة في قصر الزمرد حتى أنشئت له خصيصًا قبة هي المشهد الحالي ، وكان ذلك عام ٥٤٩ هـ .

ثانياً : شهادة الدكتور الحسيني هاشم :

يقول فضيلة الشيخ الحسيني هاشم وكيل الأزهر وأمين عام مجمع البحوث - رحمه الله - تعليقاً على ما دسَّه النَّسَّاخون على كتاب الإمام السيوطي (حقيقة السنة والبدعة) ما ملخصه :

وقد أكَّد استقرار الرأس بمصر أكبر عدد من المؤرخين منهم (ابن إياس) في كتابه ، و(القلقشندي) في صبح الأعشى ، و(المقريزي) الذي عقد فصلاً في خططه المسمى (المواعظ والاعتبار) ص٤٢٧ ، و ص ٤٢٨ ، وص٤٣٠ يؤكد رواية (ابن ميسر) أن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي حمل الرأس الشريف على صدره من عسقلان ، وسعى به ماشياً حيث وصل مصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية ، وحلت الرأس في مثواها الحالي من القصر يوم الثلاثاء ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية عند قبة باب الديلم ، حيث الضريح المعروف الآن بمسجده المبارك . وكذا (السخاوي) - رحمه الله - قد أثبت رواية نقل رأس الحسين إلى مصر .

ثالثاً : الرأي الرسمي لمصلحة الآثار :

تقول الأستاذة (عطيات الشطوي) المفتشة الأثرية الثقة والمشرفة المقيمة على تجديد القبة الشريفة في عصرنا :

تؤكد وثائق هيئة الآثار أنَّ رأس الحسين رضي الله عنه نقل من عسقلان إلى القاهرة - كما يقول المقريزي - في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣م) ، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر ١١٥٣م) .

ويضيف المقريزي : فقدم به (الرأس) الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدم ، وأنزل به إلى الكافوري (حديقة) ، ثُمَّ حمل في السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن في قبة الديلم بباب دهليز الخدمة (المقر الحالي) .

وفي العصر الأيوبي أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) ، وهي منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهي تعلو الباب الأخضر ، وقد تهدم معظمها ، ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة ، وعليها لوحتان تأسيسيتان (وقد جددت وهي موجودة الآن) .

وقد احترق هذا المشهد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة

٦٤٠هـ ، وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، ووسعه وألحق به ساقية وميضأة ، ووقف عليه أراضي خارج الحسينية قرب الخندق (ويقول بعض بحاثة المؤرخين : إن الذي أحرق المشهد هم اليهود بمصر) .

واستمرت عمليات التوسع والإضافة حتَّى جاء الأمير كتخدا فقام بإصلاحات كثيرة ، ففي سنة ١١٧٥هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجاً وحنفية بفسحة ، وأضاف إليه إيوانين ، كما رتب للقائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولاً بها حتى سنة ١٢٠٦هـ .

ولما قدم إلى مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩هـ ، وزار المقام الحسيني الشريف ، أمر الخديوي إسماعيل بعمارته وتشييده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠هـ ، أمَّا المنارة التي في جنوب غربي المسجد فقد تمت سنة ١٢٩٥هـ ، وهي غير المنارة الأيوبية التي في جنوب شرقي المسجد .

أمَّا في عهد ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢م فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به . وقد بدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩م ، وتمت سنة ١٩٦٣م وبلغت جملة تكاليفها ٨٣ ألف جنيه .

* . * . *

رابعاً : دليلان آخران :

الدليل الأول :

لقد أراد الله أن يقطع حُجَّة القائلين بعدم وجود الرأس بالقاهرة ، وأن يسمهم على الخرطوم ، فقد عثر الباحثون بالمتحف البريطاني بلندن من سنوات [أشرنا إليها بمجلة المسلم في حينها] على نسخة خطية محفوظة من « تاريخ آمد » لابن الأورق (المتوفى عام ٥٧٢هـ) ، وهي مكتوبة عام (٥٦٠هـ) - أي قبل وفاة المؤرخ باثنتي عشرة سنة - ومسجلة بالمتحف المذكور تحت رقم (٥٨٠٣ شرقيات) ، وقد أثبت صاحب هذا التاريخ بالطريق اليقيني أن رأس الحسين قد نقل من عسقلان إلى مصر (عام ٥٤٩ هـ) ، أي في عهد المؤرخ ، وتحت سمعه وبصره ، وبوجوده ومشاركته ضمن جمهور مصر العظيم في استقبال الرأس الشريف .

ولا نظن أن مخلوقاً يتمتع بذرة من الإنصاف يماري في وجود الرأس الشريف بمصر بعد ذلك ، أو يماري في أن ظهور هذه النسخة الخطية من هذا الكتاب في هذا الوقت إنَّمَا هو كرامة لأهل البيت جميعاً ، وللحسين رضي الله عنه بخاصة ، ولو علم (ابن تيمية) وهو خصم الحسين الأخصم بذلك لتاب إلى الله من قوله (ولَعَلَّها رأس يهودي بمصر) ، سامحه الله ، وبصَّر السائرين على منهجه ، بما هو أهدى وأندى وأجدى .

الدليل الثاني :

معروف أنَّ الدولة الفاطمية بمصر كانت محل تناظر وتنافس بالغ ومخاصمة مع الدولة العَبَّاسية بالعراق ، وكانت كل دولة منها تتسقط

للأخرى مواقع الزلل ، ومواطن الأخطاء للتشهير بها ، وإضعاف مركزها، وبخاصة في مثل هذه الموضوعات التي يتأثر بها الجماهير ، مهما كان الخلاف بينهم في أبناء علي ، وأبناء العَبَّاس ، فكان صمت العباسيين وغيرهم (دولة وشعباً) على هذا الحدث الخطير أكبر دليل على صحة وجود الرأس بعسقلان ، ثُمَّ على صحة نقلها من عسقلان إلى مصر .

وقد غاب هذا الدليل عن المتحدِّثين على كثرتهم في هذا الجانب رغم أنَّه دليل قاطع حاسم .

* . * . *

خامساً : شهود عدول مع وجود الرأس الشريف بالقاهرة :

نقل في أواخر (بحر الأنساب) ما ملخصه (بتصرف) أنَّ العلامة الشبراوي (شيخ الأزهر لوقته) ألَّف كتاباً أسماه (الإتحاف) أثبت فيه وجود الرأس بمقره المعروف بالقاهرة يقيناً . . وذكر أن ممن أثبتوا ذلك السَّادة الأعلام :

(١) الإمام المحدِّث الحافظ زكي الدين المنذري .

(٢) الإمام المحدِّث الحافظ ابن دحية .

(٣) الإمام المحدث الحافظ نجم الدين الغيطي .

(٤) الإمام مجد الدين بن عثمان .

(٥) الإمام محمد بن بشير .

(٦) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر .

(٧) القاضي عبد الرحيم .

(٨) كما أكد هذا الشيخ عبد الله الرفاعي المخزومي في مؤلفه .

(٩) والشيخ ابن النحوي في مؤلفه .

(١٠) والشيخ القرشي في مؤلفه .

(١١) والشيخ الشبلنجي في مؤلفه .

(١٢) والشيخ حسن العدوي في مؤلفه .

(١٣) والشيخ الشعراني في أكثر من مؤلف .

(١٤) والشيخ المناوي في مؤلفه .

(١٥) والشيخ الصبان في مؤلفه .

(١٦) والشيخ الأجهوري في مؤلفه .

(١٧) كما أكده الشيخ أبو المواهب التونسي .

(١٨) الشيخ أبو الحسن التمار .

(١٩) الشيخ شمس الدين البكري .

(٢٠) الشيخ كريم الدين الخلوتي .

وجماهير الصوفية على اختلاف المراتب والأسماء والمشارب والأوطان ، مما يرفع الحكم إلى درجة التواتر ؛ لعدم التسليم بتواطؤ كل هؤلاء على الكذب أو على الجهل والغفلة والتعصب ، بالإضافة إلى كبار المؤرخين الذين أسلفنا ذكرهم .

وتم الإجماع على أن الرأس الطاهر وصل إلى القاهرة من عسقلان في (يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمسمائة وتسع وأربعين) فحمله الأمير (سيف المملكة مكين) والقاضي (ابن مسكين) إلى السرداب الخليفي العظيم بقصر الزمرد ، فحفظ مؤقتاً بالسرداب من عاشر جمادى الآخرة في خلافة (الفائز الفاطمي) على يد وزيره (الصالح طلائع بن رزيك) ، حتَّى بنى القبر الحالي والقبة عند باب (الديلم) ، الواقع وقتئذ في الجنوب الشرفي من القصر الكبير ، والمعروف الآن بالباب الأخضر ، فحمل الرأس الشريف من السرداب العظيم إلى هذا القبر ، ودفن به في الثلاثاء الأخير من ربيع الآخر على المشهور من العام التالي ، وهو موعد الذكرى السنوية الكبرى بمصر للإمام الحسين رضي الله عنه .

* . * . *

سادساً : قول فصل في الموضوع :

تحقيق علمي حاسم

لأختنا في الله الدكتورة الأثرية الحاجة سعاد ماهر

عميدة كلية الآثار (سابقاً)

وفي كتاب (أولياء الله الصالحون) للعلامة الأثرية المحققة الدكتورة سعاد ماهر تحدثت بإفاضة عن موضوع الرأس الشريف ، فجمعت بين العلم والمنطق والعقل والعاطفة .

وبعد أن فندت الروايات التي تقول بدفن الرأس بعيداً عن القاهرة أفردت بداية من صحيفة (٣٧٤) من الكتاب المذكور هذا التحقيق العظيم، الذي تقول فيه ما نصه :

ولكن ما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقراً للرأس ؟ وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنَّها كانت مركزاً من مراكز الشيعة (مثلاً) . . اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس في مكان قريب من (بيت المقدس) من جهة ، وقريب من (الساحل) من جهة إخراجها من (المشرق) ، حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ، ثُمَّ العباسيين ثانياً ، ليمكن نقلها في يسر إلى (شمال أفريقيا وبلاد المغرب مثلاً) حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة !!! .

ومهما يكن من أمر فقد بات في حكم المؤكد أنه لم يكن في القرن الخامس الهجري وجود للرأس في دمشق ؛ بل كان في مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولاً : يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي نص تاريخي منقوش على منبر (المشهد) الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمله ابنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلي بالقدس ، والمنبر ما زال موجوداً حتى الآن هناك .

أمَّا النص الكتابي فقد جاء فيه : « الحمد لله وحده لا شريك له ، محمَّد رسول الله ، عليٌّ ولي الله ، صلى الله عليهما وعلى ذريتهما

الطاهرة، سبحان من أقام لموالينا الأئمة مشهداً ، مجداً رفع راية ، وأظهر معجزاً بين كل وقت وآية، وكان من معجزاته تعالى إظهار رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب صَلَّى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم ، بموضع بعسقلان كان الظالمون ستروه فيه ، وإظهاره الآن شرفاً لأوليائه الميامين ، وانشراح صدور شيعته المؤمنين ، ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صَلَّى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين » .

ثانياً : جاء في المقريزي (١/ ٤٠٨) أنَّ المؤرخ ابن المأمون ذكر في حوادث سنة ٥١٦ هـ أن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين ، وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية .

ثالثاً: لو كان الرأس موجوداً في مكان آخر غير عسقلان ، سواء في الشام أوخارجها ، لما عزّ على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء . . أمَّا قوتهم السياسية فقد فاقت الدولة العَبَّاسية ، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غرباً ، بل إنَّه حدث في عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيرى أحد كبار الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد والبصرة وواسط وجميع الأعمال ، وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي على منابرها في خطبة الجمعة ، وفي هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

رابعاً : ما ذكره عثمان مدوخ في كتاب (العدل الشاهد) من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً : جاء في المقريزي (٢/ ١٧١) : « وبنى طلائع مسجداً لها (يعني الرأس) خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر ، وهو المعروف بجامع الصالح طلائع ، فغسلها في المسجد المذكور على ألواح من خشب » يقال : أنها لا زالت موجودة بهذا المسجد .

فممَّا لا شك فيه أنه قد أُحضرت إلى القاهرة رأس الإمام الحسين ، وليس من مستغرب أن تكون قد غسلت في مسجد الصالح طلائع ، ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التي أجريت سنة (١٩٤٥) ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع ، عليها كتابات أثرية منها (أدخلوها بسلام آمنين) ، ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ، ولذلك فإنَّه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذي بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكي يدفن فيه رأس الحسين (كما ذكر ابن دقاق) .

سادساً : جاء في كتاب (العدل الشاهد في تحقيق المشاهد) : « أن المرحوم عبد الرحمن كتخدا القزدغلي ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف (سنة ١١٧٥هـ) ، قيل له : إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من النَّاس ، ونزل

فيه (الأستاذ الجوهري الشَّافعي والأستاذ الشيخ الملَّوي المالكي) ، وكانا من كبار العلماء العاملين ، وشاهدا ما بداخل البرزخ ، ثم ظهرا بما شاهداه، وهو كرسي من الخشب الساج ، عليه طشت من ذهب ، فوقه ستارة من الحرير الأخضر ، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق ، داخله الرأس الشريف ، فانبنى على إخبارهم تحقيق هذا المشهد ، وبني المسجد والمشهد ، وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها » .

❊ . ❊ . ❊

هذا ، ولا أجد في هذا المقام خيراً من العبارة التي جاءت في المقريزي أختم بها موضوع الرأس الشريف : « **ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على السطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهي بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية** » .

أو كما قال ابن الجوزي : « **ففي أي مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر ، قاطن في الأسرار والخواطر** » (انتهى) .

نقول : وبعد هذا التحقيق العلمي الحاسم (وما قدمناه قبله) لم يبق وجه للملاحاة والجدل حول هذا الموضوع ، ويجب العلم بأنَّه ليس من أمهات العقائد حتَّى تتاجر به (هيئات المنتفعين بالدعوة الوهابية) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، والحسين هو الحسين ، أمس واليوم وغداً، إلى يوم القيامة ، ولينطح الصخر من أراد أن يدمر رأس نفسه .

❊ . ❊ . ❊

سابعاً : معالم ومعلومات :

١) الرأس والمشهد والقبة :

يقول المقريزي : نقلت رأس الحسين رضي الله عنه من عسقلان إلى القاهرة في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (الموافق ٣١ أغسطس سنة ١١٥٣م) ، وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣م) .

ويضيف المقريزي : « فقدم به (الرأس) الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة ، وأنزل به إلى الكافوري (حديقة) ، ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن في قبة الديلم بباب دهليز الخدمة » .

ويضيف ابن عبد الظاهر : « إن طلائع بن رزيك بنى جامعه خارج زويلة ليدفنه (أي الرأس) به ، ويفوز بهذا الفخار ، فغلبه أهل القصر على ذلك ، وقالوا : لا يكون ذلك إلاّ عندنا ، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه ، وكان ذلك في خلافة (الفائز) على يد (طلائع) في سنة تسع وأربعين وخمسمائة » .

ويفهم من هذين النصين أن الرأس بقي عاماً مدفوناً في قصر الزمرد ، حتى أُنشئت له خصيصاً قبة (هي المشهد الحالي) وذلك سنة ٥٤٩هـ .

قالوا : ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدريس وفقهاء ، وفوضها للفقيه البهاء الدمشقي ، وما كان ليفعل ذلك لولا تأكده من وجود الرأس الشريف في هذا المكان .

ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ ابن حمويه في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى إيواناً للتدريس ، وبيوتاً للفقهاء في مكان المسجد الحالي بجوار المشهد ، ثُمَّ توالت التجديدات والصيانات والإصلاحات والتوسعات بهذا الحرم المصري ، ولا زالت تتوالى حتى اليوم وغداً بإذن الله .

٢) وصف القبة المباركة :

وقد كتب ابن جبير وصفاً شاملاً دقيقاً للقبة والمدرسة جاء فيه :

« فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو في تابوت من فضة مدفون تحت الأرض ، قد بُني عليه بنيان جميل ، يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به ، مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ، ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثره في أتوار فضة خالصة ومذهبة ، وعلقت عليه قناديل فضة ، وحفّ أعلاه كله بأمثال (التفافيح) ذهباً في مصنع شبيه الروضة ، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً ، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون ، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثلها في التأنق والغرابة ، وحيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعلى يمين هذه الروضة المذكورة وشمالها ، وهما على تلك الصفة بعينها ، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع » .

* . * . *

٣) القبة في عصرها الحديث :

وفي عصرنا هذا اهتمت الدولة بكل هيئات الاختصاص فيها بتجديد هذه القبة المباركة على أحدث الفنون التكنولوجية ، فحققنت الحوائط واستبدلت بالقبة القديمة قبة عظيمة ، صبتها من معدن خاص لا يقبل الصدأ ، ولا التغير ، قامت بصنعه الشركات الألمانية بالمواصفات التي طُلبت منها ، كما قامت بإعادة النقوش والرخام الداخلي على ما كان عليه ، حفظاً للصورة الأثرية المباركة ، وقد شاركت جماعة (البهرة الهندية) بفرش الضريح بأرقى أنواع المرمر الشفاف .

وقد حضر افتتاح الزيارة بالقبة الجديدة وزراء الدولة وكبار علمائها ، ورجال مجلسي الشعب والشورى ، وقد تحدَّث السيد وزير الأوقاف وقتئذ فضيلة الدكتور الأحمدي أبو النور أستاذ الدراسات العليا بالأزهر ، كما تحدَّث كبار رجال الدولة ، بينما كان الميدان والطرقات من حول المسجد مليئة بأفراد الشعب من كل الطبقات يهللون ويكبرون .

❊ . ❊ . ❊

٤) أضرحة القبة الشريفة :

وقد أبلغني الأخ المرحوم الشيخ (عرفة الكبير شيخ المسجد الحسيني السابق) وهو والد الأخ الشيخ محمد عرفة الشيخ الحالي للمسجد الحسيني ، وكان رحمه الله رجلاً مهذباً صالحاً ثقة ترجى بركاته ، أبلغني أنَّه عرف من سابقيه عند تجديد المسجد الحسيني بأمر السلطان الخليفة عبد العزيز خان في زيارته لمصر ، وتخليد ذكرى هذه الزيارة بتسمية

(شارع عبد العزيز) الممتد بين ميدان العتبة الخضراء وميدان الجمهورية (عابدين) .

قال : « كان الضريح الطاهر ينزل الزوار إليه بعدد من السلالم ، فأنشأ المهندسون سقفاً عظيماً على مستوى أراضي المسجد فوق القبر فتكونت فوق القبر غرفة وضع فيها مقصورة صغرى ، وبعض التحف القيمة على سبيل التذكار ، ونقلت المقصورة الخشبية الكبرى إلى أعلى ، وأبلغني أنه رأى هذه الغرفة ، ثم نقلت المقصورة الخشبية الكبرى إلى ضريح (السيدة رقية بنت عليّ الرضا) في منطقة السيدة نفيسة ، ولا تزال إلى الآن ، واستبدل بها المقصورة النحاسية التي ظلت شارة جليلة على الضريح ، حتى أهدى سلطان البهرة المقصورة الفضية الموجودة الآن على القبر ، وهي مكفتة بالذهب ومزينة بالأحجار الكريمة ، وقد قبلتها مصر بمطلق الإعزاز وبالغ التكريم لصاحب القبر العظيم ، ولكن على الزائر ألا ينشغل أبداً بهذه المظاهر ، وأن يتخطَّاها إلى التزام الحكمة الشرعية في الزيارة بشروطها المقررة عند فقهاء الإسلام وعند أهل الله الصالحين ؛ فهذه المظاهر من دلائل المحبة ، كما ميّز سيدنا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قبر عثمان بن مظعون دون بقية قبور الأصحاب بحجر كبير ليتعرف به عليه ، حباً فيه ، ولكل زمان أحكامه ومقتضياته المتغيرة القابلة لمختلف أحكام الشرع فيما عدا الفرائض والعبادات ، والحمد لله رب العالمين .

*. *. *

٥) البناء الحالي للمسجد :

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ ، وزار المقام الحسيني الشريف أمر الخديو إسماعيل بعمارته وتشييده على أتم وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية بإشراف راتب باشا عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠هـ ، وقد أسهب على مبارك في خططه في وصف المسجد ، وهو البناء الحالي ، وما بذله الخديو إسماعيل الذي فتح بجوار المشهد (سنة ١٢٩٥ هـ / سنة ١٨٧٨ م) شارع السكة الجديدة من آخر الموسكي شرقًا حتَّى وصل إلى تلول البرقية المعروفة بـ (الدرّاسة) الآن ، و(الموسكي) نسبة إلى (موسك) أحد كبار الدولة الأيوبية الذي أنشأ هذا الشارع ، وقد انتقد علي مبارك سوء التصرف الهندسي الذي قام على أساسه المسجد والواجهة والنوافذ والأبواب ، أشد الانتقاد ، وتابعه كثيرون ، فإنها دون ما كان يرجى لهذا المشهد العظيم .

*. *. *

٦) قاعة المخلفات النبوية :

وقد أنشئت للمخلفات النبوية قاعة خاصة جنوبي المرقد الحسيني الشريف ، بُنِيَتْ على أحسن طراز ، وزُيِّنَتْ أفخر زينة ، وللقاعة الشريفة بابان : أحدهما إلى المسجد ، والآخر يؤدي إلى القبة .

وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام : البسملة وسورة ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ .

وبعد ذلك النص الآتي : « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وآثار خلفائه رضي الله عنهم أجمعين ، تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ، ومرود ، وقطعة من القضيب ، وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضًا مصحفان كريمان بالخط الكوفي ، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والآخر بخط سيدنا الإمام عليّ كرم الله وجهه ، وهكذا كتب » .

وكانت هذه المخلفات بجامع أثر النبيّ بمصر القديمة قبل نقلها إلى هذه القاعة ، بعد التأكد من صحة نسبها إلى سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ونقلها من مكان إلى مكان .

وبمناسبة تجديد القبة أهدى رجال (البهرة) الهنديون للباب الفاصل بين القبة الشريفة وحجرة المخلفات بابًا جديداً مغلفًا بالذهب الخالص ، ومكفّتًا بالفضة والأحجار الكريمة ، تقديراً منهم للآثار النبوية والرأس الشريف .

* . * . *

٧) واجهة المسجد وجهود العشيرة المحمدية :

منذ أكثر من أربعين عامًا و(العشيرة المحمدية) - كما هو مسجل بمجلتها (المسلم) - تدعو وتجاهد وتكافح عمليًا في سبيل وصل ميداني الحسين والأزهر ومسجديهما ، وإزالة جميع المباني بينهما حتَّى يكون هناك ميدان مناسب لإنشاء واجهة عظيمة للمشهد الحسيني تتناسب

ومنزلته في القلوب ، ومع توالي الإلحاح استجابت بعض الجهات المسئولة إلى ما استطاعت ، حتَّى قررت وزارة الأوقاف إقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة بحيث تليق بمنزلة صاحب المقام ، وجعلت طول هذه الواجهة (٤٥) متراً وعرضها (٨) أمتار ، وروعي في الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ، حتَّى تظهر شرفات الواجهة القديمة ، وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية في الدقة والإبداع ، وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام ، ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة ، ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهي نوافذ ، وستكون النوافذ مملوءة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوي من الأبواب ، وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية في توازن وتماثل محكم . . وستقام مئذنة في الطرف الجنوبي الشرقي مماثلة للمئذنة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي ومن نفس الطراز ، (مجاورة للمئذنة الأيوبية الموجودة الآن) .

ثُمَّ حالت الظروف المالية الطارئة دون سرعة التنفيذ حتَّى تبرع أحد كبار المحبين بمبلغ نصف مليون جنيه لتحقيق هذا الحلم الجميل بحق ، وبدأت إحدى الشركات الكبرى عملها فعلاً ، ثُمَّ تَصَدَّى لها بعض المسئولين بأسباب غير مقنعة إطلاقًا ، فأوقف العمل وحطم الأمل ، ولكن الله غالب على أمره ، وسوف يتحقق الأمل بإذن الله يومًا من الأيام ،

والذي أوقف العمل أحد كبار ثورة يوليو ، ولاشك أنه حسن النية ، و(ما شاء الله كان) .

..*

٨) وصف القبة الحسينية بعد التجديد :

أولاً : التجديد والهدايا :

أعمال الإصلاح والترميم التي تمت في عصرنا (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) للقبة الحسينية بعد أن تصدعت القبة القديمة وأزيلت ، وحقنت الجدران بآخر ما عرفه العلم الحديث من مواد التقوية هذه الأعمال تعتبر من أكبر الأعمال المعمارية العظيمة ، والتي انتهت بعد طول معاينات ومناقشات ومقترحات فنية مختلفة ، استغرقت أكثر من عام كامل بين هيئات الاختصاص .

وقد سبق أن نقلنا وصف القبة القديمة ، وهنا ننقل ملخصاً لوصف القبة الجديدة خدمة للتاريخ ، يضاف ذلك إلى هدية طائفة (البهرة) في المناسبات ، وقد سبق لهم أن أهدوا المشهد الحسيني هذا الضريح الكبير الفضي الفاخر ، المكفت بالذهب الخالص ذو الأحجار الكريمة ، كما سبق أن أهدوا المشهد الزينبي هذا الضريح النادر والقبة الداخلية الرائعة ، وكلها من الفضة والذهب المرصع بالأحجار الكريمة .

ثانياً : البهرة والهدية الجديدة :

وهؤلاء السَّادة البهرة من أحفاد رجال الدولة الفاطمية الذين هاجروا

إلى اليمن ثُمَّ إلى الهند بعد الحركة الأيوبية ، وهناك أصبحت لهم بها مقاطعة هندية مستقلة ثرية ، يحكمها الآن السلطان الدكتور برهان الدين ابن السلطان طاهر سيف الدين ، ولذلك هم يقومون بتجديد مسجد الحاكم بأمر الله المعروف بـ (المسجد الأنور) بمصر ، على ضخامته ، واتساعه بعد أن تخرب واندثرت أكثر معالمه ، وكان ذلك برغبة أبديتها وأخي فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري عند زيارة السلطان برهان الدين لجمعية الشبان المسلمين في حفل تكريمه بمناسبة إهدائه مقصورتي الإمام الحسين والسيدة زينب رضي الله عنها ، أيام كنتُ مقرراً دينياً لجمعية الشبان المسلمين ، و(البهرة) كلمة هندية معناها : (كبار التجار) أو (أشراف التجار) . وقد ابتلاهم الله في مصر بمن يشوه عملهم ، ويربطه بالسياسة وسوء النية ، والله أعلم .

أمَّا هديتهم الجديدة إلى المشهد الحسيني فهي فرش أرض الضريح بالمرمر الأبيض الشفاف الثمين ، ثُمَّ تركيب باب عظيم لحجرة المخلفات النبوية ، مصنوع من الذهب والفضة ، ومرصَّع بفصوص الماس والياقوت ليتشابه مع المقصورة ، وقد بلغت تكاليف خامات هذا الباب أربعة ملايين من الجنيهات المصرية ، أو تزيد ، فهو يحتوي على ثلثمائة وخمسين كيلو فضة ، وثلاثين كيلو ذهباً ، سوى تكاليف الصناعة الدقيقة الرائعة ، ومصروفات النقل والتركيب وما إليه ، وعند الله حسن الثواب .

* . * . *

ثالثاً : مربع جدران القبة والقبلة :

جدران قبة الإمام الحسين ليست مربعة تماماً ، ولكنها تميل إلى الاستطالة التي تم تربيعها فنياً بالباكية الكبرى التي أقيمت فوق حرم القبة ، وقد كسيت جدرانها حتَّى ارتفاع طاقية المحراب بالرخام والفسيفساء الزجاجية ، ويتوسط حائط القبلة المحراب ، وعلى جانبيه دخلتان بكل منهما عمود من الرخام السماقي ، ويزخرف باطن المحراب بزخارف هندسية وأشرطة زجاجية من الرخام المشكل .

وبجدران القبة الأربعة خمسة أبواب وشباكان ، بابان بالضلع الشمالي الغربي ويؤديان إلى المسجد ، وبينهما الشباكان ، وبابان بالضلع الشمالي الشرقي ، يؤديان إلى مصلى الحريم ، وباب بالضلع الجنوبي الغربي يؤدي إلى حجرة المخلفات النبوية .

ويتقدم حائط القبلة عقد نصف دائري يستند على كتفين بحائط القبلة ويعلو التكسية الرخامية لحوائط الضريح شريط خشبي به قصيدة لابن جابر الأندلسي مطلعها :

(في كل فاتحة للقول معتبرةْ حق الثناء على المبعوث بالبقرةْ)

بأعلى وأسفل هذا الشريط الكتابي شريطان يحتويان على زخارف نباتية متكررة ، ويحيط أعلى مربع القبة شريط كتابي به سورة الفتح من القرآن الكريم .

وتحتوي منطقة انتقال القبة على أربع حنايا ركنية بينها أربعة شبابيك متدلية يحتوي كل منها على شباكين معقودين يعلوهما قمرية ، ويعلو

منطقة الانتقال رقبة القبة ، وقد فتح بها ثمانية شبابيك جصية بها زخارف هندسية .

رابعاً : القبة المعدنية والخشبية :

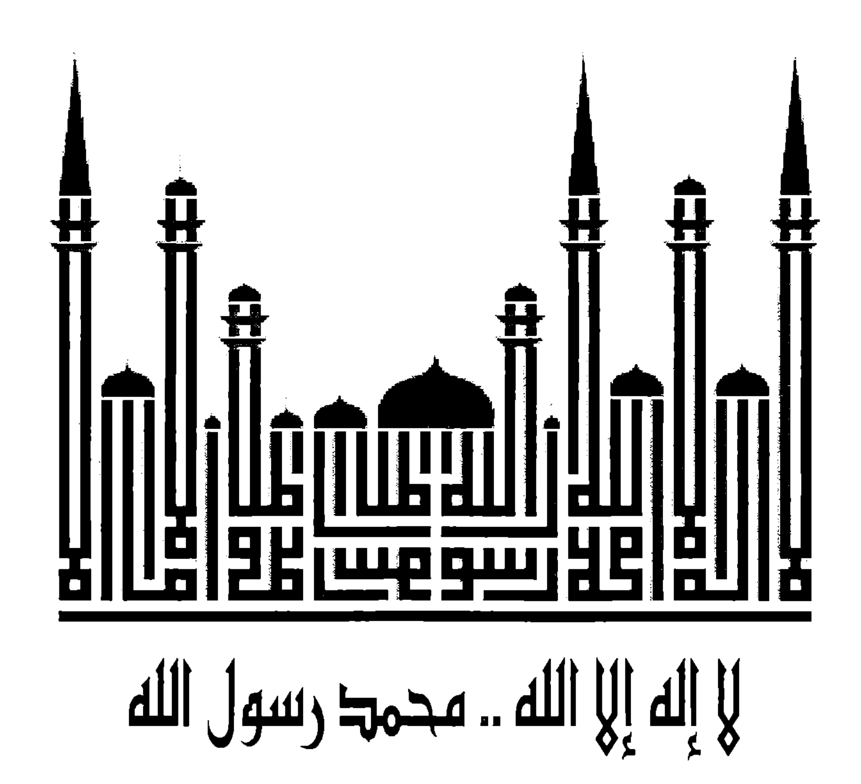
ثُمَّ القبة وقد كسي باطنها بألواح من الخشب الثمين ، عليها زخارف نباتية متكررة ، وجميع الزخارف المذكورة ترجع إلى (سنة ١٣١٦هـ) من تجديدات الخديوي عَبَّاس حلمي الثاني .

ويعلو المحراب مستطيل به قصيدة نقشت بماء الذهب كتبها الخطاط (البلخي) سنة ١١٨٧هـ مطلعها :

(ألا إن تقوى الله خير البضايع ومن لازم التقوى فليس بضايع)

يعلو ذلك شباك جصي مستطيل به زخارف نباتية ، وتنفيذاً لرأي اللجنة الاستشارية عمل هيكل معدني عبارة عن قبة قشرية من الصلب العالي الجودة ، وقد تم تصنيعها من سبعة عشر جزءاً ، وهي تزيد في مجملها على عشرين طناً ، مثبتة على أربع وعشرين نقطة ارتكاز في محيط القبة ، وقد تم تجهيزها من الداخل بحيث يسهل تركيب القبة الأثرية ذات الزخارف النباتية والمصنوعة من الخشب النادر ، وبهذا أصبحت هذه القبة من أندر الآثار الإسلامية في العالم .

ورضي الله تعالى عن مولانا الإمام أبي عبد الله الحسين ، فكل ما ذكرنا من الخير إنما هو من كراماته الموصولة بمدد الله وفيضه ، وصَلَّى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا جد الحسين ، وعلى من تبعه إلى يوم الدِّين .



الباب الرابع
أشهر الزينبات الشريفات
السـيـدة زيـنـب الكـبـرى
ومشهدها بالقاهرة تحقيقًا حاسماً

الباب الرابع

أشهر الزينبات الشريفات
السيدة زينب الكبرى
ومشهدها بالقاهرة تحقيقًا حاسماً

* السيدة زينب الكبرى ومشهدها بالقاهرة.
* الزينبات العلويات الثلاث .
* زينبات أخريات مباركات .

● السيدة زينب الكبرى رضي الله عنها :

هي : بنت فاطمة البتول ، بضعة سيدنا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

أبوها : سيف الله الغالب سيدنا عليّ بن أبي طالب .

وجدتها : خديجة بنت خويلد .

وأخواها الشقيقان : الإمام أبي محمد الحسن ، والإمام أبي عبد الله الحسين رضي الله عنهم جميعًا .

● ولادتها وزواجها وأولادها :

وُلدت بعد مولد الحسين بسنتين (وكلاهما ولد في شهر شعبان) ؛ أمَّا هي ففي السنة الخامسة ، أو السادسة للهجرة ، فعاصرت إشراق النبوة عدة سنوات ، وسماها الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم (زينب) إحياء

لذكرى ابنته (زينب) التي استشهدت في (بدر) بعد أن طعنها مشرك في بطنها وهي حامل ، (ومعنى زينب : الفتاة القوية المكتنزة الودود العاقلة) .

اشتهرت زينب بجمال الخلقة والخُلق ، اشتهارها بالإقدام والبلاغة ، وبالكرم وحسن المشورة ، والعلاقة بالله ، وكثيرًا ما كان يرجع إليها أبوها وأخوتها ، في الرأي ويأخذون بمشورتها لبعد نظرها وقوة إدراكها .

تزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر (الطيَّار) بن أبي طالب ، وكان عبد الله هذا فارسًا شهمًا نبيلاً كريمًا اشتهر بأنه (قطب السخاء) . وهو أول طفل ولد أثناء الهجرة الأولى بأرض الحبشة ، وهو يكبر (زينب) بخمس سنوات ، أي أنه عاصر إشراق النبوة عشر سنوات ، ومنه أنجبت ذكورًا وإناثًا ، ملئوا الدنيا نورًا وفضلاً ، وهم : جعفر ، وعليّ ، وعون الأكبر ، ثم أم كلثوم ، وأم عبد الله ، وإليهم ينسب الأشراف الزيانبة ، وبعض الأشراف الجعافرة [١] .

● **إذنها لزوجها بالزواج من أخرى :**

ولما شغلت السيدة زينب رضي الله عنها بأمر الدعوة ، مع أخويها الإمامين : الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان لها درس دوري حافل تثقف فيه النساء وتعلمهن أمور الدين والدنيا .

---

(١) وقد بسط الإمام السيوطي القول في ذرية السيدة زينب رضي الله عنها في رسالته « العجاجة الزرنبية فى السلالة الزينبية » ، وقد حكى فيها الإجماع على أن ذرية السيدة « زينب » رضي الله عنها من الأشراف آل النبي صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، اعتماداً على حديث مسلم .

ولما رأت أنَّها لا تستطيع أن تجمع بين واجب الجهاد وواجب الزوجية ، أذنت لزوجها عبد الله بن جعفر أن يتزوج ، فتزوج (الخوصاء الوائلية) ، ورزق منها بـ (محمد وعبيد الله) ، اللذين استشهدا مع الإمام الحسين في كربلاء ، ثم تزوج عبد الله بـ (جمانة المزارية) بنت المسيب أمير التوابين (الذين خرجوا بعد مقتل الحسين رضي الله عنه على ابن زياد ، من أجل أهل البيت) ورزق منها بـ (عون الأصغر) ، الذي استشهد يوم الحرة ، مع (أبي بكر) أخيه من (الخوصاء) زوجة أبيه .

● **مشاركتها في الأحداث الكبرى :**

ولمَّا خرج الإمام الحسين رضي الله عنه في جهاد الغاصب الفاسد (يزيد بن معاوية) شاركته (زينب) في رحلته وقاسمته الجهاد ، فكانت تثير حمية الأبطال، وتشجع الضعفاء، وتخدم المقاتلين . . وقد كانت أبلغ وأخطب وأشعر سيدة من أهل البيت خاصة والنساء عامة في عصرها .

ولما قتل الحسين وساقوها أسيرة مع السبايا ، وقفت على ساحة المعركة تقول : « يا محمداه ، يا محمداه : هذا الحسين في العراء . . مزمَّل بالدماء، مقطع الأعضاء ، يا محمداه . . هذه بناتك سبايا ، وذريتك قتلى تسفي عليها الرياح » فلم تبق عين إلا بكت ، ولا قلب إلا وجف .

كما كان لها مواقفها الجريئة الخالدة مع ابن زياد ، ومع يزيد ، وبها حمى الله فاطمة الصغرى بنت الحسين من السَّبْي والتسري ، وحمى الله عليّاً الأصغر زين العابدين من القتل ، فانتشرت به ذرية الإمام الحسين ، واستمرت الثورة على الفساد ، ولا تزال ، ولقبت زينب بلقب (بطلة كربلاء : زينب).

● **رحلتها من المدينة إلى مصر ووفاتها :**

ولما أعادوها رضي الله عنها إلى المدينة المنورة ، بعد أن استبقوا رأس الحسين بدمشق ليطوفوا به الآفاق إرهابًا للنَّاس ، أحسوا بخطرها الكبير على عرشهم ، فاضطروها إلى الخروج ، فأبت أن تخرج من المدينة إلا محمولة ، ولكن جمهرة أهل البيت أقنعتها بالخروج ، فاختارت مصر لما علمت من حب أهلها وواليها لأهل البيت .

فدخلتها في أوائل شعبان سنة (٦١) من الهجرة ، ومعها فاطمة وسكينة وعليّ أبناء الحسين ، واستقبلها أهل مصر في (بلبيس) بكاة معزين ، واحتملها والي مصر (مسلمة بن مخلد الأنصاري) إلى داره بالحمراء القصوى عند بساتين الزهري (حيّ السيدة الآن) .

وكانت هذه المنطقة تسمى (قنطرة السباع) نسبة إلى القنطرة التي كانت على (الخليج المصري) وقتئذ ؛ فأقامت بهذه الدار أقل من عام عابدة زاهدة تفقه النَّاس ، وتفيض عليهم من أنوار النبوة وشرائف المعارف والبركات والأمداد ، حيث توفيت في مساء الأحد (١٥ من رجب سنة ٦٢ هـ) ودفنت بمخدعها وحجرتها من دار (مسلمة) التي أصبحت قبتها في مسجدها المعروف الآن .

وقد توفيت وهي على عصمة زوجها (عبد الله) ، وأمَّا قصة طلاقها منه فكذب من وضع النواصب (خصوم أهل البيت) ، أو هي على أحسن الأحوال وهم واختلاط وتشويش على أهل البيت من المتمسلفة .

كان المسجد الزينبي الذي هو بيت أمير مصر مسلمة بن مخلد قائمًا

على الخليج المصـري ، عند قنطرة على الخليج كـانت تسـمى (قنطرة السباع)، لأنها كانت مزينة من جوانبها بسباع منحوتة من الحجر ، ولما ردم الجزء الذي عليه القنطرة من الخليج زالت القنطرة فاتسع الشارع ، وظهر مسجد السيدة بجلاله وتوالت التجديدات عليه ؛ وقد أنشيء هذا المسجد في العهد الأموي ، وزاره كبار المؤرخين وأصحاب الرحلات .

*. *. *

● السيدة زينب والشيخ بخيت المفتي :

في شعبان عام (١٣٥١ هـ) الموافق ديسمبر (١٩٣٢م) وجه السيد محمد توفيق الموظف بوزارة الداخلية المصرية على صفحات مجلة (الإسلام) استفتاء إلى دار الإفتاء الرسمية بمصر ، وكان مفتيها وقتئذ صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله ، يسأل : هل دفنت السيدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب بمصر ، أم لا ؟ ، بسبب ما شوش به المتمسلفة النواصب ؟! .

فأجاب فضيلة المفتي رحمه الله ؛ بما ذكره عليّ مبارك ، ثم ما ذكره الصبان ، والجبرتي ، والشعراني ، والعدْوي رحمهم الله جميعًا . . ثم عرج على ما ذكره ابن الأثير ، والطبري ، وابن جبير ، والسخاوي .

ثُمَّ خرج بأن المعول عليه هو ما رواه ابن جبير من أن المدفونة بمصر من الزينبات ، هي : (زينب بنت يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين) وليست (زينب بنت عليّ أخت الحسين) رضي الله عنهم .

ثُمَّ قال : وأمَّا قول من قال : إنَّها (زينب بنت عليّ) فمحمول على أنها بنته فعلاً . . ولكن بالواسطة ، لا بالمباشرة ، ولا شك أن في هذا المشهد بضعة من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم (انتهى باختصار) .

● رفات جثمان السيدة زينب مدفون في مرقدها المعروف تحقيقًا :

ولكن المؤرخ الثبت الحجة المدقق المرحوم (حسن قاسم) رد على هذه الفتوى بنفس (مجلة الإسلام) ردّاً علميًا موثقًا محدداً غير مسبوق كما سيأتي ، أثبت فيه بالدليل القاطع أن الضريح والمرقد الحالي المنسوب بمصر إلى (السيدة زينب بنت عليّ أخت الحسين رضي الله عنها) هو لها فعلاً ، وأن الضريح الذي قال ابن جبير وتابعه الأستاذ المفتي أنَّه لـ(السيدة زينب بنت يحيى بن زيد بن عليّ بن زين العابدين بن الحسين) موجود أيضًا بالقاهرة ولكنه لـ (السيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب) ، لأن يحيى بن زيد استشهد عن ثمانية عشر عامًا ، ولم يتزوج ولم ينجب ، فهو خطأ سببه التشابه في الاسم بين (يحيى الذي هو من أبناء الإمام الحسن) ، و(يحيى الذي هو من أبناء الحسين) .

وقبر زينب بنت يحيى هو قبر (العيناء فاطمة بنت القاسم) التي دفنت مع زينب ، شرقي مسجد الإمام الشَّافعي بعيداً جداً عن مشهد عمتها (السيدة زينب بنت عليّ) المعروف للمسلمين جميعاً بالقاهرة .

● **نصوص أدلة الأستاذ حسن قاسم :**

يقول الأستاذ : إن عليّ باشا مبارك ذكر في خططه أنَّه لم يقف على أول من أنشأ هذا المسجد الزينبيّ قبل القرن العاشر الهجري ، وأنَّه نقل عن الرحالة (ابن جبير) ما زاره من المشاهد التي من جملتها مشهد لـ (زينب بنت الإمام يحيى بن الحسين بن عليّ) .

ثُمَّ ذكر فضيلته أنَّ الإمامين : الطبري ، وابن الأثير ، كلاهما جزم باستقرار السيدة زينب رضي الله عنها في المدينة ، فمنعاً لهذا الإيهام أقول :

أولاً : كلام محمد الكوهن الفاسي :

جاء في رحلة الفقيه الأديب الرحالة (أبو عبد الله محمد الكوهن الفاسي) التي عملها في أواخر (القرن الرابع الهجري) أنه دخل القاهرة في (١٤ من المحرم سنة ١٣٦٩ هـ) والخليفة يومئذ (أبو النصر : نزار بن المعز لدين الله أبي تميم الفاطمي) فزار جملة من المشاهد من بينها هذا المشهد ، وذكر ما عاينه من الصفة التي كان عليها وقتئذ ، فقال :

دخلنا مشهد (زينب بنت عليّ) على ما قيل لنا ، فوجدناه داخل دار كبير ، وهو في طرفها البحري ، يشرف على الخليج ، فنزلنا إليه بدرج وعاينا الضريح ، فوجدنا عليه (دربوزاً) يعني (دار بزين) قيل لنا : إنَّه من خشب القماري فاستبعدنا ذلك ، لكن شممنا منه رائحة طيبة ، ورأينا بأعلى الضريح قبة بناءها من الجص ، ورأينا في صدر الحجرة ثلاثة محاريب ، أطولها الذي في الوسط ، وعلى ذلك كله نقوش غاية في الإتقان ، ويعلو باب الحجرة : (زليخة) قرأنا فيها بعد (البسملة) :

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ هذا ما أمر به عبد الله ووليه أبو تميم أمير المؤمنين الإمام العزيز بالله صلوات الله تعالى عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين .

أمر بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت الزهراء البتول : زينب بنت الإمام عليّ بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين ...) إلخ .

وهذه الرحلة من محفوظات مكتبة عارف بك بالمدينة (إذن فالضريح موجود معروف من قبل القرن الرابع قبل الفاطميين ؛ بل من القرن الثاني كما سيأتي) .

ثانياً : كلام السخاوي :

ذكر السخاوي في كتابه (أوقاف مصر) : أن الحاكم بأمر الله أوقف على هذا المشهد (مشهد السيدة زينب ومشاهد أخرى) عدة قرى وضياع كـ (أطفيح) ، و(صول) [1]، وغيرهما .

ثالثاً : ابن الأثير والطبري وابن عساكر وابن طولون :

الطبري وابن الأثير لـمَّا ذكرا محنة (الإمام الحسين) ، التي شاركته فيها أخته (زينب) ، لم يتعرضا لذكر وفاتها ، وإلا فكانا ذكرا ما عرفناه عن ذلك ، والمؤرخون الذين تعرضوا لذكر تلك بعضهم تضاربت

---

(١) أطفيح : مركز من مراكز محافظة الجيزة الآن ، و (صول) قرية تابعة لهذا المركز ، وتقعان شرق نهر النيل ، وهما غنيتان بالزراعات المتعددة .

أقوالهم ، فلم يخرجوا بنتيجة تفيد الباحث ، وقليل منهم ذكروا أنها دخلت مصر بعد مصرع أخيها بيسير من الزمن وأقامت بها أشهرا ودفنت بها .

ومن هؤلاء (الذين قالوا بدخولها مصر) الحافظ ابن عساكر الدمشقي مؤرخ القرن السادس الهجري : ذكر ذلك في تاريخه الكبير المحفوظ بالمكتبة الخالدية بدمشق ، والمؤرخ ابن طولون الدمشقي في رسالة مستقلة ، (إذن فالقبر كان معروفاً قبل القرن السادس) .

رابعاً : الشريف الأزورقاني :

في كتب الأنساب كـ (بحر الأنساب للشريف الأزورقاني) من علماء القرن السابع الهجري ، وابن عنبة الحسني من علماء القرن الثامن الهجري ، ومن تقدمهم من علماء النسب لم يذكروا أن لـ (يحيى بن زيد) الشهيد عقباً ، لقتله لما خرج بعد قتل أبيه بـ (الجوزجان) على عهد (نصر ابن بشار) والي خرسان ، وكان من أمره أن قتل بيد (مسلم بن أحون) ، الذي بعثه نصر المذكور في (٣٠٠٠) ثلاثة آلآف رجل ، فقتلوه في سنة ١٢٥هـ (خمس وعشرين ومائة هجرية) ، وله من العمر (١٨) ثماني عشرة عاماً ، وانظر كتاب (الفَرْق بين الفِرق) للبغدادي ، و (المعارف) لابن قتيبة ... إذن فزينب هذه ليست ابنته ، وبينه وبينها زمن طويل .

خامساً : نتيجة ما سبق :

فما ذكر في (رحلة) ابن جبير ، ونقله صاحب (الخطط) ، وصححه فضيلة الأستاذ كلاهما خطأ واضح ، إذ أن زينب التي زار مشهدها ابن

جبير هي زينب بنت يحيى (المتوج بن الحسن المثنى بن زيد بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب) ، دخلت مصر (سنة ١٩٣هـ) ثلاث وتسعين ومائة هجرية مع عمتها نفيسة بنت الحسن (الأنور) العلوي ، أمير المدينة ، ومشهدها الذي زاره ابن جبير في القرافة شرقي الشَّافعي ، لا في هذه المنطقة الواقع بها المشهد الزينبي (انظر رحلة ابن جبير المخطوطة) . . وهذا المشهد معروف بالقرافة ، وهو المشهور الآن بمشهد العيناء (فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق) لدفنها به هي الأخرى، مع (زينب بنت يحيى المتوج) ، وكان إلى أواخر القرن الثاني الهجري ، يعرف بمشهد (السيدة زينب بنت يحيى المتوج) وهي وأبوها ، وجمع من أقاربها ، دخلوا مصر وماتوا بها ، ولهم مشاهد معروفة .

وقد ورد ذكر هذا المشهد في كثير من كتب المزارات المصرية كـ (مرشد الزوار) لموفق الدين بن عثمان ، و(الكواكب السيارة) لابن أبي طلحة ، و(تحفة الأحباب) للسخاوي ، و(الكوكب السائر) للسكري ، الذي هو من آخر ما ألف في المزارات المصرية (وهذه المراجع غالبها مشهور متداول) .

سادساً : القول الفصل للعبيدلي :

الذي قضى على هذا الخلاف الواقع فيه جمهرة المؤرخين من قرون عديدة رسالة استنسختها من حلب بواسطة أحد أصدقائي « للعبيدلي » الحسن بن يحيى بن جعفر « الحجة » بن عون الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المولود سنة

١٢٤هـ بالعقيق بأرض (الحجاز) بقصر ابن عاصم ، والمتوفى بمكة سنة ٢٧٧هـ ، أسماها مؤلفها المذكور (أخبار الزينبات) [١] ذكر فيها كل من سميت (زينب) من آل البيت وغيرهم ، فترجم لزينب هذه الكبرى ، وأختها الوسطى ، والصغرى ، وذكر فيها في آخر ترجمة زينب الكبرى ، أنها بعد أن سُيِّرت للشام ، ثم للمدينة ثارت فتنة بينها وبين عمرو بن سعيد (الأشدق) والي المدينة من قبل يزيد فاستصدر أمر يزيد بنقلها من المدينة فنقلت منها إلى مصر ، فدخلتها على (مسلمة بن مخلد) ، وكان دخولها في أول شعبان سنة ٦١هـ ، فأقامت بها مدة (١١) أحد عشر شهراً ، ونحو عشرة أيام (من شعبان سنة ٦١ هـ إلى رجب سنة ٦٢هـ) ، وتوفيت يوم الأحد مساء لأربعة عشر يوماً مضت من رجب من السنة المذكورة بموضع يقال له « الحمراء القصوى » حيث بساتين الزهري [٢] وإذن فهذا المشهد معروف من قَبْل القرن الثاني .

هذا محصل ما ذكره العبيدلي النسابة من القرن الثالث في ترجمة السيد زينب الكبرى بنت عليّ ، إذن بقي علينا أن نتعرف : ما هي هذه الخطة « الحمراء القصوى » التي ذكر أنها دفنت بها ، فنقول :

سابعاً : الحمراء القصوى :

إنَّ المقريزي قد تكفل لنا بتعريفها ، وبسط لنا ما أغنانا عن مؤنة

---

(١) قامت لجنة نشر العلوم والمعارف الإسلامية بالقاهرة بطبع هذه الرسالة (أخبار الزينبات) للعبيدلي ، وذلك سنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) عن الأصل المرسل إلى الأستاذ حسن قاسم من الشام .

(٢) هناك شارع باسم (شارع جنان الزهرى) أمام مجلة المصور الآن بمنطقة السيدة .

البحث ، فإذا هي هذه المنطقة الواقع بها الضريح الزينبي الآن ، وليس بعد هذا البيان بيان .

وصفوة القول : إنّي لما عثرت على هذه الرسالة المذكورة التي تعد الحجر الأساسي الذي قضى لنا على هذا الخلاف (يعني رسالة أخبار الزينبات للعبيدلي) ، والذي كمم أفواه المتعنتين من معاصرينا أدرجتها في ضمن رسالة أشتغل بوضعها الآن ، أثبت فيها من مرويات موثقة ، بصحة دخول هذه السيدة الكريمة إلى مصر ، وموتها بها ، ودفنها بهذا المكان ، وسأطبعها قريباً - إن شاء الله تعالى - بعد تمام وضعي لها ، وحينئذ لكم أن تطلبوها من صاحب هذه المجلة : رجل الفضل والأدب ، نفع الله به المسلمين (يريد مجلة الإسلام لصاحبها السيد عبد الرحمن محمد رحمه الله) .

وتقبلوا يا فضيلة الأستاذ كلمتي هذه المتواضعة بكل هدوء وطمأنينة ، وعسى أن أكون قد وفقت إلى حل مشكلة وقع فيها كثير من المؤرخين بشأن مدفن السيدة (زينب) رضي الله عنها .

ثامناً : هكذا انقطع الشك باليقين :

بهذا التحقيق العلمي التاريخي الموثق لا يكون هناك وجه على الإطلاق للجّاجة والتشكيك والاستشكال ، والمعارك التي يثيرها خصوم أهل البيت تحت شعار أو آخر ، تشكيكاً في وجود رفات جثمان السيدة زينب بنت عليّ بمرقدها المعروف بالقاهرة ، وما هو إلا الغل والفتنة ، والحقد المرير على أهل البيت وأحياء وموتى ، باسم (التوحيد) المفترى

عليه ، وباسم (السنة) المظلومة ، وباسم (السلفية) المتهمة ، والأمر يومئذ لله .

● من أشعار السيدة زينب بنت عليّ :

ومما ينسب إلى السيدة زينب بنت عليّ رضي الله عنها من الشعر ، قولها للعراقيين ، وهي محمولة وآل بيتها على الأقتاب إلى دمشق للقاء يزيد بعد مذبحة كربلاء واستشهاد الحسين ، (وإهانة من بقي من أهله وأحبابه) :

ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم

منهم أسارى ، ومنهم خضبوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ومما ينسب إليها بعد أن وصلت إلى مصر قولها :

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً

فثق بالواحدِ الأحدِ العليِّ

ولا تجزع إذا ما ناب خطب

فكم لله من لطف خفيٍّ

رضي الله عنها وعنَّا بها وبأهل البيت .

● **مشهدها الطاهر بالقاهرة :**

كان المسجد الزينبي الذي هو بيت أمير مصر (مسلمة بن مخلد) قائما على الخليج المصري ، عند قنطرة على الخليج كانت تسمى (قنطرة السباع) لأنَّها كانت مزينة من جوانبها بسباع منحوتة من الحجر ، ولما ردم الجزء الذي عليه القنطرة من الخليج زالت القنطرة فاتسع الشارع ، وظهر مسجد السيدة بجلاله وتوالت التجديدات عليه ؛ وقد أنشئ هذا المسجد في العهد الأموي ، وزاره كبار المؤرخين وأصحاب الرحلات ، كما قدمنا .

ومشهدها ترياق مجرب ، ترفع فيه التوسلات إلى الله ، وتستجاب فيه الدعوات ، وأمَّا ما قد يكون فيه أحياناً (كما يكون في غيره) من بعض المخالفات لظاهر الشرع الشريف فهو من أثر الجهل ، الذي يخفف من سوئه حسن نية أصحابه ، وسلامة اعتقادهم . . والحمد لله ، ويجب أن تسمى الأشياء بأسمائها ، فلا يسمى الجهل شركاً ، ولا كفراً ، وأما من ينكرون وجود قبرها بمصر فهم خصوم أهل البيت ، الذين يكرهون أن يحيا لهم ذكر ، أو يعرف لهم قبر ، ولا اعتبار لأقوالهم على الإطلاق ، بعد أن ألزمناهم الحجة التي لا تدفع بالتهريج والغل الدفين .

● **تجديدات الحرم الزينبي :**

أنشيء في العهد الأموي ومازال يجد الرعاية في كل عصر تجديداً وصيانة وتوسعة ؛ ففي القرن السادس الهجري (أيام الملك العادل : سيف الدين أبو بكر بن أيوب) أجرى في هذا المشهد عمارة أمير مصر ونقيب الأشراف الزينبيين بها الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري

الزينبي صاحب البساتين المعروفة بـ (منشأة ابن ثعلب) ، وهناك شارع بهذا الاسم في المنطقة ، ومنشئ المدرسة الشريفية التي تعرف الآن بـ (جامع العزبي بالجودرية) .

ثم في سنة (٩٥١هـ) جدده الأمير عليّ باشا الوزير ، وفي عام ١١٧٠هـ جدده من ماله الخاص الأمير الصالح محب أهل البيت وخادم العلم والمساجد (عبد الرحمن كتخدا القازدغلي) ، ثم بعد ذلك أنشئت مقصورة النحاس الأصفر على القبر الشريف ، ثم بعد ذلك قام بتجديده (الأمير عثمان المراديّ) ، ولكنه لم يتم التجديد لدخول الفرنسيين مصر .

ثم بعد ذلك شرع الوزير يوسف باشا الوالي ، في إتمام هذه العمارة ، ولكنه توفي فأوقف العمل ، إلى أن جاء (محمد عليّ) فأتم عمارته ، ثم جاء من بعده (عباس الأول) ، فوضع تصميم توسعة المسجد وتجديده ، وجاء من بعده (سعيد) فنفذ التصميم ، ثم بعد ذلك قام (الخديوي توفيق) بإصلاح القبر والمنارة وتجديد الجدران والقبلة .

ثم وسعته الحكومة المصرية توسعة أولى عام ١٩٤٠م ، ثم التوسعة الثانية عام ١٩٦٩م ، وأنشئت محراباً جديداً ، وميضأة منفصلة . . كما أهدت طائفة البهرة مقصورة من الفضة المطعمة بالأحجار الكريمة للقبر الشريف ، من أفخم وأفخر المصنوعات .

● **الشيخ العتريس :**

أمَّا الشيخ العتريس المدفون بجوار المسجد الزينبي في الطرف الشمالي الغربي فهو : محمد بن أبي المجد عبد العزيز بن قريش ، شقيق سيدي

إبراهيم الدسوقي ، المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع ، وقد أوصى بأن يدفن في هذا المكان حيث كان يقيم مجالس العبادة والدعوة في كنف الحرم الزينبي أكثر حياته . . (والعتريس هو : القويّ الشديد) .

● الشيخ العيدروس :

وأمَّا الشيخ العيدروس المدفون بجوار العتريس فهو : الشيخ وجيه الدين المكنى بـ (أبي المراحم) عبد الرحمن الحسيني ، من حضرموت ، وقد استقر بمصر بعد حياة طويلة مشحونة بالكفاح والدعوة والسياحة ، وجعل مجلس عبادته وإرشاده في جوار ضريح الشيخ العتريس ، وعندما حضرته الوفاة في سنة (١١٩٢) أوصى بأن يدفن حيث هو الآن بجوار العتريس ، وفي رحاب السيدة رضي الله عنها .

● مشايخ مسجد السيدة :

وقد تعاقب على مشيخة (مسجد مولاتنا السيدة زينب بنت عليّ رضي الله عنها بميدانه المعروف باسمه بالقاهرة) عدد كريم من كبار شيوخ الأزهر ، ومن أشهرهم : المرحوم الشيخ (أبو سيف الحمامي) صاحب الرد على غلاة الخطابية والوهابية ، ثم الداعية العارف المبارك الشيخ (محمد عمارة) المقيم الآن بالمدينة المنورة ، ثم العلامة الصالح العارف بالله الشيخ (محمد جلهوم) ، بارك الله سعيهم ونفع بهم الإسلام والمسلمين

هذا وقد اهتمت الدولة بـ (ميدان السيدة زينب) فأدخلت عليه توسيعات متوالية وتجديدات ملحوظة ، وتنظيمات مختلفة ، حتى أصبح من خير الميادين بالقاهرة .

ومن الوفاء - بهذه المناسبة - أن نذكر أخانا في الله المرحوم السيد (عبد المقصود سالم) ، وكان من أولياء الله ، علّمه الله ، وكان أمياً ففقهه الله ، ووفقه للدعوة إليه ، فأسس (جماعة تلاوة القرآن الكريم) واتخذ السبيل الأثري الواقع أمام مسجد السيدة الشمالي مقراً لجمعيته المباركة القائمة على خدمة القراء ، والبر بالفقراء ، في رحاب المسجد الزينبي رحمه الله رحمة شاملة ، وأيد وارثه المبارك السيد (محمد عبد العليم) حتى يتم رسالته بفضل الله .

قال الإمام الرائد :

لا تطلبوا (آل النبي)
بشرق أرض أو بغربِ
وذَرُوا الجميع وأقبلوا
نحوي .. فمسكنهم بقلبي

● زينب الكبرى أيضاً :

تسمى السيدة زينب بنت عليّ أخت الحسين دفينة مصر (زينب الكبرى)، فقد كان من عادة أهل البيت تكرار أسماء أبناء وبنات جدهم الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ومن بعده ، في أبناء البيت الواحد ، فتجد مثلاً : عليّا الأكبر أخا عليّ الأصغر الملقب بزين العابدين ، ونجد الحسن المثنى والمثلث والحسن السبط ، وهكذا تجد مثلاً زيداً وعوناً الأصغر والأكبر ، ونجد مثلاً : زينب الصغرى والوسطى والكبرى ، وفاطمة الصغرى والكبرى والوسطى .

وكان ذوات الاسم الواحد يتوفين ويدفنّ في أماكن متفرقة من بلاد المسلمين ، حين شتتهن الدولة الأموية والعباسية . . ومن هنا حصل اللبس الكبير الذي وقع فيه كثير من المؤرخين ، في تحديد مشاهد أهل البيت ، ولو أنهم لاحظوا ذلك أعني تكرار الاسم الواحد في البيت الواحد لانحل المشكل الذي لا نزال نعانيه ، ويختفي خلفه خصوم أهل البيت .

*. *. *

● زينب الوسطى :

أمَّا سيدتنا (زينب الوسطى) أخت زينب الكبرى ، فقد كانت تُنادي وتكنى باسم خالتها (أم كلثوم) ، كما سميت باسم خالتها (زينب) عندما ولدت في السنة التاسعة من الهجرة ، وقد تزوجها أمير المؤمنين عمر ،

وهي دون العاشرة ، فولدت له زيداً الأكبر ورقية ، حتى استشهد عمر ، ثم تزوجت من ابن عمها (عون بن جعفر) ؛ فلما استشهد تزوجها أخوه (محمد بن جعفر) ، الذي مات في موقعة صفين ، ولم تلبث أن توفيت (زينب الوسطى) هذه المعروفة بـ (أم كلثوم) هي وابنها (زيد) في وقت واحد ، وصَلَّى عليهما (عبد الله بن عمر) ودفنت مع ابنها زيد بالبقيع بالمدينة (فلاحظ ذلك) .

● **زينب الصغرى :**

أمَّا القبر المعروف باسم (زينب بنت عليّ) في قرية (راوية) بدمشق فهو قبر زينب الصغرى [1] أخت الوسطى والكبرى ، وإليه أشار ابن الحوراني في كتابه عن (أماكن الزيارات)، والموصلي في (المعارف) . . وبهذا يزول اللبس كله إن شاء الله تعالى .

● **وزينبات أخريات مباركات :**

وهناك من أهل البيت زينبات مباركات (غير زينبات الإمام عليّ) منهن :

(١) **السيدة (زينب بنت سيدي يحيى المتوج بالأنوار)** ، وهو أخو السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور ، وقد وهبت زينب نفسها لخدمة عمتها السيدة نفيسة بنت الحسن رضي الله عنها ، وضريحها بقرافة الإمام الشافعيّ ، بجوار ضريح عمر بن الفارض ، جدده عميد أسرة

(١) في (أخبار الزينبات) للعبيدلي : أمها أم ولد ، تزوجت ابن عمها محمد بن عقيل ؛ فولدت له : القاسم وعبد الله وعبد الرحمن ، أعقب منهم عبد الله .

المناسترلي وضمه إلى قبور أسرته ، وقد ماتت ولم تعقب ، وقبرها معروف بالبركة ، وكان الخليفة (الظافر الفاطمي) يأتي لزيارته ماشياً، وتبعه كثير من السادة وأصحاب القلوب .

(٢) **ومنهن السيدة (زينب الحنفية)**[1] بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحنفية ، وهو من ذرية الإمام عليّ ، من زوجته الحنفية ، وضريحها بقرافة (باب النصر) ، يحسبه الناس خطأً مزاراً للسيدة زينب الكبرى ، وفيه يستجاب الدعاء ، وهو الآن لسوء الحظ مهمل يكاد يخفيه الدمار ، فيا ليت أحد أثرياء المسلمين يجدده .

(٣) **ومنهن السيدة (زينب بنت سيدي عبد الله المحض)** ، وهي المشهورة بـ (**فاطمة النبوية**) بالعباسية ، بالقاهرة ، ويطلق اسمها على شارع كبير هناك فيما حوالى قسم شرطة الوايلي الآن ، كما يجري على الألسنة ، وهي أخت سيدي إبراهيم الجواد ، المدفون رأسه الشريف بمسجده (بشارع البرنس) بالمطرية ، وأبوهما سيدي عبد الله الكامل المشهور بالمحض ، وضريحه (على المشهور) بشارع الشيخ عبد الله بحيّ عابدين الآن ، كما يجري على بعض الألسنة ، وعبد الله المحض هو : ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام عليّ . وقيل : بل المدفون بمصر عبد الله الوليّ الصالح من نسب عبد الله المحض ، ولهذا نسب الضريح إليه، وهذا أقرب إلى الواقع ، فلعبد الله المحض قصة مؤلمة معروفة .

---

(١) دخلت مصر هي وأخ لها يدعى محمداً (سنة ٢١٢ هـ) ، أو (سنة ٢١٣هـ) .

(٤) **ومنهن : الشريفة المباركة (زينب بنت حسن بن إبراهيم بن بللوه**) النسابة من نسل إسماعيل المثلث بن أحمد بن إسماعيل المثنى بن محمد بن إسماعيل الإمام بن مولانا جعفر الصادق ، وهي من أهل القرن السابع ، وقد دفنت مع جدها إبراهيم عند باب المشهد السكيني بالقاهرة مع السادة الذين دفنوا هناك .

(٥) **ومنهن : السيدة (زينب الإدريسية)** بنت محمد بن عليّ بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن إدريس بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن الإمام عليّ ، وقبرها معروف بالقرافة النفيسية عند قبر السيد الشريف حيدرة ، ويتبرك الناس بالاستشفاع بها ، ودعاء الله عند قبرها ، الذي يكاد يهمل وينسى ويضيع فيما ضاع من قبور أهل البيت .

(٦) **ومنهن : السيدة زينب (الكلثمية)** من ذرية القاسم الطيب بن محمد المأمون ، وهم يعرفون بالكلثميين ، وأمها : (أم الذرية) فاطمة بنت موسى الكاظم ، وقبرها معروف يزار تبركاً بقرافة الإمام الليث رضي الله عنه ، يكاد يندثر ويُنسى .

(٧) **السيدة زينب بنت هاشم** بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عليّ بن محمد بن عليّ بن إسماعيل بن الأعرج بن جعفر الصادق ، قبرها في الزقاق الضيق ، بجوار قبر أبيها و أخيها ، قال السخاوي : وقبرها معروف ونسبها مكتوب عليه ، وتاريخ وفاتها (سنة خمس وأربعمائة) .

قلتُ : ولايكاد يعرف قبرها الآن ، ولا قوة إلاّ بالله .

(٨) **زينب بنت موسى الكاظم** : ذكرها العبيدلي النسابة ، وقال : إنها هاجرت إلى مصر ، مع زوج أختها القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ، وقد اندثر قبرها .

وحسبنا ذكر هؤلاء (الزينبات) الشهيرات المدفونات بمصر ، وإن كانت قبورهن اليوم لسوء الحظ في سبيلها إلى الاندثار ، بل اندثر بعضها، ولا قوة إلا بالله .

● **ألقاب وكنى :**

وقد كان أهل البيت جميعاً يرجعون إلى رأي (**أم هاشم**) زينب الكبرى ، ولهذا سميت (**صاحبة الشورى**) .

ولما جاءت مصر كان الوالي ورجاله يعقدون جلساتهم بدارها وتحت رياستها ، فسميت (**رئيسة الديوان**) . . وكان إليها يرجع آل البيت في أمورهم فسميت (**عقيلة بني هاشم**) ، وعرف أولادها بـ (**بني العقيلة**) .

وكانت دارها مأوى لكل ضعيف ومريض ومحتاج فسميت (**أم العواجز**) وكان لها مع الله جانب عظيم ، فظلت في الحياة وبعد الممات مهوى الأفئدة ، ومناط الاستشفاع والبركة ، ولهذا جعلت الجماهير أسماءها وألقابها وكناها إشارات ورموزاً إلى بعض المعاني الروحية والغيبية .

﴿ **رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ . وليلهث الثرى بعد ذلك كل (ناصبي) حقود ، وكل ذي غل على أهل البيت والذين آمنوا .

● دولة الأرواح :

وليس من شأننا هنا أن نتعرض لعقائد النَّاس في رتبة ساداتنا آل البيت من العالم الثاني ، ودولة الأرواح ، فأمر ذلك إلى الله . .

وإنَّمَا يكفينا من الناس حسن النية وسلامة الاعتقاد ، وما بقي من أمور الكشف والشهود والأذواق والمواجيد فليس هذا مقام البحث فيه ، أو الحكم عليه ، ومادام الأمر لا يتعارض مع أصول الشريعة ، ولا يجر إلى مفسدة ، فلا موجب قط للحملة عليه ، فإن أمامنا ما هو أولى يقيناً بالجهاد والجهود فيما نرى من المفاسد السافرة والشرك الصريح .

وحسبنا هذا عن (الزينبات) ؛ ثم لنتكلم الآن عن (النفيستين) عليهما الرضا .

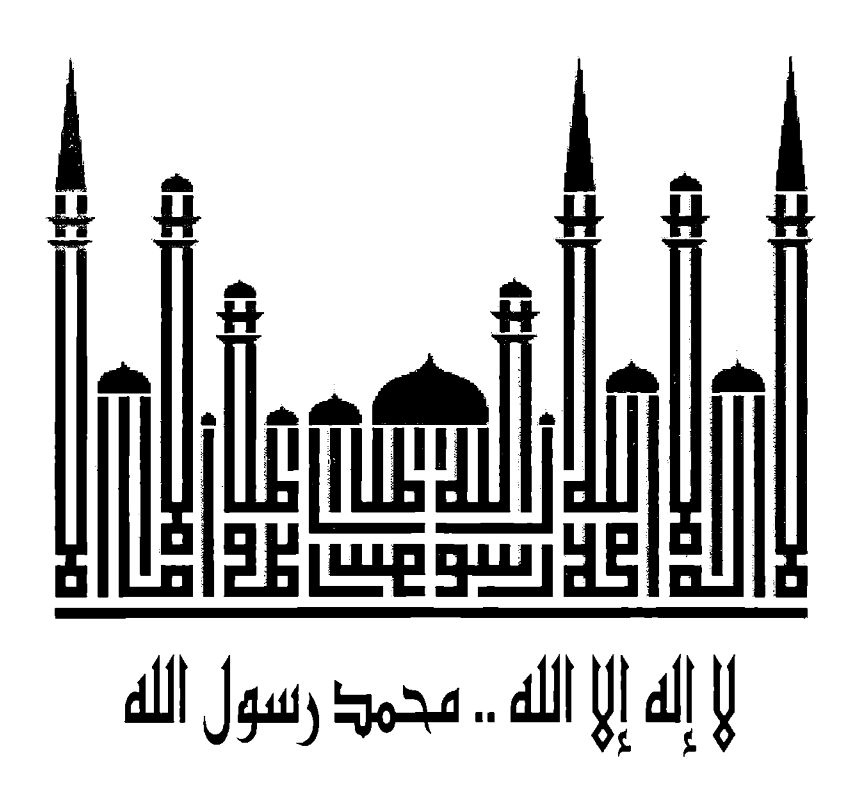
قال الإمام الرائد :

بنفسي آل طه ، مَنْ حباهم
إلهي في الحياة وفي المماتِ

فلولا أنَهم خير البرايا
لما صلّى عليهم في الصلاة

أليس همو وإن قصَرتُ أهلي
وآبائي الكرام وأمهاتي

أحبهموا ، وأفنى في هواهم
ولا أخشى الذين أو اللواتي



الباب الخامس

النفيستان المباركتان

الباب الخامس

النفيستان المباركتان

* أولاً : السيدة نفيسة الصغرى .
* ثانياً : السيدة نفيسة الكبرى .

أولاً : السيدة نفيسة الصغرى :

مولاتنا السيدة نفيسة الصغرى بنت سيدي حسن الأنور (ويشتهر بالأكبر كذلك)، وهو ابن زيد الأبلج ، ابن مولانا الإمام الحسن السبط ، ابن مولانا الإمام عليّ ، من مولاتنا فاطمة الزهراء البتول ، بضعة سيدنا ومولانا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

ومشهدها الآن بالقاهرة الباهرة في جنوبها الشرقي بسفح المقطم ، على يمين كوبري السيدة عائشة الحديدي في جنوب غربي القلعة ، بمنطقة تعرف تاريخياً بدرب السباع (بين منطقة القطائع والعسكر) التي كانت تعرف بكوم الجارح ، وقد أزالت البلدية ما حول المشهد من مبان ومقابر وغيرها ، وجعلت له ميداناً فسيحاً رائعاً ، وجددت بعض المباني من حوله، وزينت الميدان بالنافورات والزروع .

ولم يجمع المؤرخون على شيء إجماعهم على أنَّ السيدة نفيسة بنت الحسن مدفونة بمشهدها بمصر ، والدولة الآن بصدد توسيع مسجدها الشريف .

وقد أخذ اسم نفيسة من النفاسة ورفعة الشأن والشرف ، وكان النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يحب الأسماء الجميلة ، ويغير بعض أسماء الصحابة بما هو أجمل وأكمل .

● ولادتها وزواجها وأولادها :

وقد ولدت رضي الله عنها بمكة في النصف الأول من ربيع الأول سنة مائة وخمس وأربعين من الهجرة ، وقضت صباها بـ (المدينة) ، ملازمة القبر النبوي في أغلب الأوقات ، إذ كان والدها أميراً على المدينة للخليفة المنصور ، وقد أدركت طائفة من نساء الصحابة والتابعين وتلقت عنهن ، وحجت ثلاثين حجة ، أكثرها وهي تمشي على أقدامها ، وكانت تحفظ القرآن الكريم وتفسره ، وتفقَّه به الرجال والنساء ، صوَّامة قَوَّامة سخية غاية السخاء، ولها كرامات لا تحصى كعمتها (زينب بنت عليّ) رضي الله عنهما .

وتزوجت في العشر الأولى من رجب سنة (١٦١) من أحد بني عمومتها ، السيد إسحاق المؤتمن (شقيق السيدة عائشة دفينة مصر) ، وهو ابن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد عليّ زين العابدين ابن مولانا الإمام الحسين رضي الله عنهم جميعاً ، ورزقت منه بـ (القاسم ، وأم كلثوم) .

ولما ترك الإمام الحسن الأنور والد السيدة نفيسة ولاية المدينة خلفه عليها زوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق والياً للعباسيين ؛ فهي بنت أمير وزوجة أمير ، من أهل البيت .

● نزولها إلى مصر ومنازلها فيها :

وفي العشر الأواخر من رمضان سنة (١٩٣هجرية) نزلت مصر مع زوجها وأبيها وابنها وبنتها ، لزيارة من كان بمصر من آل البيت ، بعد أن زارت بيت المقدس وقبر الخليل ، واستقبلها أهل مصرعند العريش أعظم الاستقبال حتَّى إذا دخلت مصر أنزلها السيد (جمال الدين عبد الله الجصاص) ، كبير تجار مصر ، في داره الفاخرة ، ثُمَّ انتقلت إلى دار (أم هانيء) بجهة المراغة المشهورة الآن بالقرافة ، وهناك كان إكرام الله لها بأن شفى من ماء وضوئها الفتاة المقعدة بنت أبي السرايا أيوب بن صابر اليهودي ، فأسلم أهلوها ومن كان معهم .

وحاول أبو السرايا نقل السيدة نفيسة إلى داره في درب الكروبيين ، وكان لهذه القصة دويّ هائل في أهل مصر ، فلازموا دارها ليل نهار بالمئات ، يلتمسون البركات ، وينتظرون الدعوات .

وهنا أزمع زوجها العودة بها إلى الحجاز ، فاستمسك أهل مصر بوجودها بينهم ، ورأت في المنام جدها المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يأمرها بالإقامة في مصر ، فوهبها (عبد الله بن السري بن الحكم) والي مصر داره الكبرى بدرب السباع ، وهي الدار التي كانت لأبي جعفر خالد ابن هارون السلمي من قبل ، وحدد لزيارتها يومي السبت والأربعاء من كل أسبوع ، مراعاة لصحتها ، وتمكيناً لها من عبادتها ، وكانت تخدمها (زينب بنت أخيها يحيى المتوج) حتَّى انتقلت إلى الرفيق الأعلى .

● **بعض مآثرها :**

وكان أهل مصر ربما شكوا إليها انحراف الوالي فوعظته وحذرته ، وذكرته بعذاب الله وحقوق النَّاس ، فما تزال به حتَّى يفيء إلى أمر الله .

وكانت مستجابة الدعاء ، فما دعت لأحد إلا استجاب الله له .

وكانت على شيء من طب العيون ، تجمع فيه بين الطب المعتاد والطب الرُّوحي ، فيشفي الله قصادها ، ولهذا كان يهرع مرضى العيون إلى مشهدها بعد وفاتها التماساً للشفاء ، وكان من كراماتها أن أقامت الحكومة إلى جوار مشهدها مستشفى لأمراض العيون عرف باسمها ، ولكن الحكومة عادت فنقلته إلى مكان آخر ثُمَّ غيرت اسمه مع الأسف الشديد .

● **نفيسة والشَّافعي :**

وكان لها دخل كبير في حضور الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشَّافعي رضي الله عنه إلى مصر ، ولهذا كان رضي الله عنه يكثر زيارتها والتلقي عنها ، وفي صحبته عبد الله بن الحكم رضي الله عنه ، وكان يصلي بها في مسجد بيتها ، وخصوصاً تراويح رمضان ، وكانت تقدره رضي الله عنه ، وتمده بما يكفيه ويعينه على أداء رسالته العلمية الكبرى .

ولما مات الشَّافعي رضي الله عنه في رجب سنة (٢٠٤هـ) حملوه إلى دارها فصلَّت عليه مأمومة بالإمام أبي يعقوب البويطي ، ودعت له وشهدت فيه خير شهادة [١] ، وقد حزنت على وفاته حزناً كبيراً .

---

(١) قالت عنه عبارتها العجيبة المشهورة : « رحم الله الشَّافعي فقد كان يحسن الوضوء » ، وهي شهادة تدلُّ على فقه السيدة نفيسة رضي الله عنها التي أطلقوا عليها لفقهها (نفيسة العلم والمعرفة) .

● **وفاتها ودفنها :**

وبعد وفاة الشَّافعي بدأت السَّيِّدة نفيسة تعد نفسها للقاء مولاها ، فحفرت قبرها بيدها تباعاً في حجرتها بمنزلها الذي أهداه إليها والي مصر عبد الله بن السري بن الحكم بدرب السباع ، وهو الذي أصبح فيما بعد مشهدها ومسجدها الحالي ، وكانت تصلي في قبرها الذي حفرته بيدها في حجرتها ، وقرأت فيه عشرات الختمات من القرآن تبركاً واستشفاعاً ، بعد أن بناه خير البنائين ، تسابقاً لمرضاتها ليرضى عنهم الله تعالى .

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة (٢٠٨ هـ) اشتد مرضها . قالوا : وكانت تقرأ سورة الأنعام ، حتَّى إذا وصلت قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فاضت روحها إلى الرفيق الأعلى راضية مرضية [١] .

● **بعض أحبائها :**

وكان ممن يتبرك بزيارته لها : مولانا أبو الفيض ذو النون المصري ، والإمام أبو الحسن الدِّينوَري ، وأبو عليّ الروزباري ، وأبو بكر الدَّقَّاق ، وأبان الواسطي ، والإمام إسماعيل المزني الشَّافعي ، والإمام أبو يعقوب البويطي الشَّافعي ، والفقيه عبد الله بن وهب القرشي المالكي ، والإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي ، وأبو نصر سراج الدين المغافري ، والفقيه أبو بكر الحداد ، والإمام أبو الحجاج الأشبيلي ، والإمام يوسف بن يعقوب الهروي ، والمحدِّث الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي ، والإمام أبو

(١) فتكون السيدة نفيسة رضي الله عنها قد مكثت في مصر نحو (١٥ عاماً) رحمها الله ، وكان المتقدمون يبدءون زيارات أهل البيت والصالحين بزيارتها .

عبد الله القضاعي ، والإمام أبو زكريا السخاوي ، والفقيه الإمام أحمد بن زروق المالكي الصوفي ، وشيخ قراء مصر الإمام ورش المقرىء ، والإمام المحدث الحافظ الشيرازي ، والحافظ أبو طاهر السلفي ، وأبو الحسن الموصلي . . إلى مئات من سادات السادات ، وأئمة الأئمة في علوم الدين والدنيا ، مما يدل على رفعة قدرها ، وعلو مقامها .

وقد جَرَّب كبار أصحاب القلوب التوسل إلى الله بها ، ودعاءه تعالى عند قبرها ؛ فاستجاب لهم ربهم ، ولا يزال سبحانه يستجيب لرواد هذا المشهد الحبيب ، وهم دائماً صفوة الصفوة ، وخصوصاً رجالات الشرطة والقضاء والوزارء ، بالإضافة إلى الجماهير الغفيرة من مصر والبلاد الإسلامية .

* . * . *

● **تاريخ مشهدها :**

وقد أنشأ قبرها أمير مصر عبد الله بن السري بن الحكم ، ثُمَّ جدده الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، ثُمَّ بنى قبته الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي ، كما بنى الحافظ لكبار الفاطميين في جوار المشهد مقبرة (دخلت في المسجد الحالي عند توسعته) .

ثُمَّ جدد المشهد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو الذي أنشأ المسجد بجوار المشهد ، وأسند نظارته إلى الخليفة المعتضد بالله بن المستكفي بالله العباسي من سلالة خلفاء بني العباس الذين هاجروا إلى مصر من العراق بعد أن دخلها المغول . . وبعدها جددهما (أي المسجد والمشهد) الأمير عبدالرحمن كتخدا ، ووقف عليه (٤٥٠) فداناً ، وعدداً كبيراً من الحوانيت

والعقارات المختلفة . . ثُمَّ جدده على وضعه الحالي الخديوي عباس حلمي الثاني ، ثُمَّ جددته الحكومة وأعلنت أنها ستوسعه .

● **أبوها وأخوتها وأبناؤها :**

وللسيدة نفيسة عشرة إخوة من أبيها الحسن الأنور ، وأمهم أم سلمة زينب بنت الحسن المثنى بن مولانا الحسن الإمام السبط بن الإمام عليّ . أمَّا هي رضي الله عنها فمن أم وحدها غير أمهم أم سلمة رضي الله عنها .

وقد مات في مصر أبوها سيدي حسن الأنور المشهور أيضاً بالأكبر ، وقبره معروف بحيّ (مصر القديمة) ، ودفن معه في مشهده ابنه زيد أخو نفيسة ، كما دفن بمصر أيضاً أخوها يحيى المتوج ، وقبره معروف عند الإمام الليث في جوار مدفن سيدي يحيى (الملقب بالشبيه بالنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم) ، وهو المشهور بـ (يحيى الحسيني) ، وكان السلطان أحمد ابن طولون قد استقدمه من الحجاز تبركاً به ، فانتفع أهل مصر بطهارة أنفاسه ودعوته الطاهرة إلى الله حتَّى توفاه الله ، وهذه القبور لسوء الحظ مهجورة ويخشى اندثارها .

ويوجد بهذه المنطقة في شارع الخليفة قبر سيدي محمد الأصغر الشهير بـ (محمد الأنور) بن زيد الأصغر بن الحسن الأكبر بن زيد الأكبر المعروف بالجواد بن الحسن بن عليّ رضي الله عنهم .

فـ (محمد الأنور) على هذا هو ابن أخي السيدة نفيسة بنت الحسن الأكبر ، ويظن بعضهم خطأ أنَّه عمها ، وليس كذلك .

أمَّا زوجها إسحاق ، فكان قد حضر لزيارتها كعادته ، فإذا حضوره

هذه المرة يصادف (من إكرام الله لها) يوم وفاتها ، فتولى بنفسه جميع شئونها كوصيتها ، وترك جسدها الشريف وديعة عند أهل مصر كطلبهم ، ثُمَّ استصحب ابنها وابنتها (القاسم وأم كلثوم) معه إلى الحجاز رضي الله عنهم جميعاً .

*. *. *

- **من شعر السيدة نفيسة قولها :**

في أمــــور تكون ، أو لا تكون

سهرت أعين ، ونامت عيون

والذي قد كفاك ما كان

بالأمس سيكفيك في غد ما يكون

قالوا : ولما حضرتها الوفاة جاء الطبيب ، فنظرت إلى من حولها وقالت :

أبعدوا عنّي طبيبي

ودعوني وحبيبي

زاد بي شوقي إليه

وهيامي ونحيبي

رضي الله عنها وعن جميع أهل البيت .

هذه هي مولاتنا السيدة نفيسة الصغرى ، أشهر آل البيت بعد مولاتنا السيدة زينب بنت عليّ رضي الله عنهما وعمن يحبهما .

ثانيًا : السيِّدة نفيسة الكبرى :

أمَّا السيِّدة نفيسة (الكبرى) فهي مولاتنا السيِّدة : نفيسة بنت الإمام زيد الأبلج بن مولانا الإمام الحسن السبط بن مولانا الإمام عليّ .

● فهي عمة نفيسة (الصغرى)، لأنَّها أخت والدها سيدي حسن الأنور بن زيد الأبلج ، كما أنها شقيقة سيدتنا رقية بنت زيد رضي الله عنها، وأمها : لبابة بنت عبد الله بن العَبَّاس رضي الله عنها ، عم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

● وكانت نفيسة الكبرى زوجة للخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، وكانت قد جاءت مصر معه حين كان واليًا على مصر ، قبل أن يتولى الخلافة .

● ولما تولى الخلافة بالشام اختلفت نفيسة معه على حقوق الله عليه لعباده فطلقها ، فرحلت إلى مصر عند ابنة عمها سيدتنا سكينة بنت الإمام الحسين ، قبل مجيء السيدة نفيسة الصغرى بوقت طويل ، واستفاضت شهرة صلاحها وتقواها وعلمها وعبادتها وبركاتها فأَمَّهَا أهل مصر ، وتبركوا بها كعادتهم مع كافة آل البيت .

● وكان عبد الله بن عبد الملك بن مروان أخو مطلقها ، هو والي مصر حينئذ فوهبها دارًا في شمال مصر القديمة الشرقي ، والمعروف أنَّ هذه الدار التي وهبت لنفيسة الكبرى ، وكانت مجاورة أو ملحقة بدار أم هانىء التي نزلت فيها نفيسة الصغرى فيما بعد ، بالمراغة ، ثم اشتهرت بمعبد السيدة نفيسة حتَّى الآن .

● وقد دفنت في هذه الدار (أو ذلك المعبد) مولاتنا السيدة نفيسة الكبرى ، وهي التي يزورها النَّاس إذ يزورون هذا المكان باسم المعبد ، ولا يكاد جمهورهم يفرق بين النفيستين والمشهدين ، بل لعل أغلب النَّاس لا يعرف أن بمصر نفيسة صغرى ونفيسة كبرى ، رضي الله عنهما وأرضاهما ، وأرضى أهل البيت جميعًا ، ثُمَّ نتكلم الآن عن السكينات الطاهرات بإذن الله تعالى .

❊ . ❊ . ❊

قال الإمام الشافعي :

إذا في مجلسٍ نذكر عليّاً
وسبطيه وفاطمةَ الزكيهْ

يقال : تجاوزوا يا قوم هذا
فهذا من حديث الناصبيهْ

برئتُ إلى المهيمن من أناسٍ
يرونَ الرفض حبَّ الفاطميهْ

الباب السادس
السكينات الكريمات

أولاً : السيدة سكينة الكبرى بنت الإمام الحسين.
ثانياً : السيدة سكينة الصغرى وسمياتها .

أولاً : سكينة الكبرى بنت الإمام الحسين :

السيدة سُكَيْنة بنت الإمام الحسين رضي الله عنه ، واسمها الأصلي (آمنة) ، أمها (الرباب) بنت امرىء القيس الكندي ملك (بني كلب) ، ولدت عام (٤٧هـ) ، وهي أول مَنْ دخل مصر من أبناء الإمام عليّ رضي الله عنه ، كما نقله جماعة منهم ابن الزيات وابن زولاق مؤرخ مصر المحقق في القرن الرابع ، وينطق اسمها المشهور (بضم السين وفتح الكاف) تصغيراً على وزن (بُثَيْنة) ، وقد أخذ اسم (سُكَيْنة) من الهدوء والأمن والاستقرار والرضا ، وقد جمعت في دمها بين آثار النبوة من أبيها الحسين ، وبين جلال الملوكية العربية من أمها الرباب .

● **سبب دخولها مصر :**

وكان سبب دخولها مصر ، أن خطبها الأصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان أمير مصر كما ذكره (ابن خلكان) ، وكانت قد عادت من الحجاز الذي ذهبت إليه بعدما أدخلت مصر مع عمتها السيدة زينب ، وكان من سياسة الأمويين بعد مقتل الحسين ، محاولة التخفيف من وقع الحادث عند

النَّاس ، بالتقرب إلى أهل البيت بالزواج منهم ، وإسناد بعض الإمارات والمناصب إلى مَنْ يأمنونه من أهل البيت .

وبينما سُكَيْنة في طريقها إلى مصر ، إذ بلغها شناعة بغي الأصبغ وجوره وفجوره ، فأقسمت ألا تكون له زوجة أبدًا ، واستجاب الله لها ، فما إن وصلت منية الأصبغ في مصر ، حتَّى كان قد مات الأصبغ قبل أن يراها ، وكانت قبل ذلك قد تزوجت بابن عمها عبد الله بن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه .

وهكذا انتقلت من (منية الأصبغ) إلى دارها ، التي بقيت بها إلى أن ماتت ، ثُمَّ أصبحت هذه الدار لها مشهدًا ومسجدًا إلى اليوم ، وقد جدده عبد الرحمن كتخدا ، ثُمَّ جددته وزارة الأوقاف ، قريباً من مشهد السَّيِّدة نفيسة ، ومشهد السَّيِّدة رقية بنت عليٍّ الرضا رضي الله عنهما . وهذا هو الملاحظ في كثير من أهل البيت والسَّادة الأولياء ، فإنَّهم كثيراً ما تكون بيوتهم في حياتهم هي مدافنهم بعد مماتهم ، ولله في ذلك حكمة .

وقد جاء عن والدها الإمام الحسين قوله :

لَعَمْرُكَ إنَّني لأُحِبُّ دَارًا ... تكونُ بها سُكَيْنَةُ والرَّبَابُ
أُحِبُّهُمَا وأُنْفِقُ جُلَّ مَالِي ... وليس لعَاتِبٍ عندي عِتَابُ

فقد كان رضي الله عنه يحبها ويحب أمها الرباب كل الحب ؛ لما كانتا عليه من جمال وكمال .

* . * . *

● من دخل مصر بعد سكينة :

وكان أول مَنْ جاء مصر بعد سكينة عمتها نفيسة (الكبرى) بنت زيد الأبلج ، بعد طلاقها من الخليفة الأموي ، ثُمَّ جاءت من بعدها نفيسة (الصغرى) بنت الحسن الأنور ، كما فصلنا ذلك من قبل .

وبعد هذا تتابع دخول أهل البيت إلى مصر وإقامتهم بها ، لما وجدوا من أهلها من صدق الحب ، ولبعدها عن مواطن الفتن والائتمار ، ومشاكل الأمور السياسية ، وقانا الله فتنتها .

● دعاوى أهل الباطل :

ولقد ادَّعى الوضاعون ، وخصوم أهل البيت دعاوى على السيدة سكينة ، يبرأ منها الحق إلى الله ، كادعائهم شغفها بالغناء واللهو ، واختلاطها بالرجال ، وإشاعتها عقصات الشعور ، وغير ذلك مما قصد به محاولة الإساءة إلى أهل البيت ، ثُمَّ نقله كثير من المؤلفين بحسن النية أو سوئها ، وشاع ذلك على بعض الألسن بدون وعي ، وهو دخيل باطل فاسد مدسوس لئيم ، لا ينبغي السكوت عليه من مسلم ، لما فيه من قصد التشهير ببيت النبوة والاحتيال للوصول إلى اغتماز شخص النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وبالتالي تجريح رسالته المقدسة . . كيف والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، فهل نصدق الله أم نصدق الرواة الكاذبين ، والرواة الذين يغلبهم حسن النية أو التأويل والاعتذار .

والذى لا شَكَّ فيه ، أنَّ (سكينة النبوية) كانت أديبة ذواقة ناقدة عالمة

بدقائق اللغة ، وخصائص الدِّين ، شأن نساء أهل البيت كلهم ، وكانت ربما أجازت الشعراء والأدباء والعلماء وأجزلت لهم ، واستضافتهم وشجعتهم ، وذلك أمر مطلوب من أهل البيت عامة ، ومن حراس التراث المحمدي لغة وديناً بصفة خاصة ، وكثير مما جاء من الأخبار من هذا الجانب صحيح ومشرف .

أمَّا ما زاد على ذلك من أخبار اللهو والغناء ونحوه فمن دس الباطنية ، ووضع النواصب الكذابين ، ومن إفك حساد أهل البيت ، وخصوم الإسلام ، وهو إفك يرويه فاسق عن فاسق ، وكذاب عن كذاب ، وحقود عن حقود ، تأييداً لسياسة اضطهاد أهل البيت ، وبخاصة في العصر الأموي والعباسي ، مما لا شك فيه ، والمتواتر في سيرتها أنه كان يغلب عليها الاستغراق في العبادة كما نقله ابن الصباغ ، ونسب بعض المؤرخين هذا القول إلى والدها الحسين رضي الله عنه .

● **مَنْ في الضريح ومَنْ حوله :**

وقد دفن في ضريح (السيدة سكينة بنت الإمام الحسين) بمصر عند باب المشهد جماعة من السَّادة ، منهم **الشريف حيدرة بن ناصر** ، من الفواطم السليمانية ، أبناء الإمام الحسين الأكبر من حفيده الحسين الأصغر ، وكانوا بصنهاجة المغرب .

وكان الشريف حيدرة قد جاء مصر زائراً فمات بها ، وصَلَّى عليه الخليفة العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي ، ودفن في باب المشهد السكيني .

ودفن بباب المشهد كذلك الشريف النسابة « المقيم حياته بالمشهد السكيني » **السيد إبراهيم بن يحيى بن بللوه المشهدى** ، ودفن معه ولده **السيد حسن** ، وبنت ابنه السيد حسن واسمها **السيدة زينب** ، وهي التي أشرنا إلى ذكرها في الكلام عن الزينبات .

ثانياً : سكينة الصغرى وسمياتها :

أمَّا سُكَيْنة الصغرى فهي : بنت عليّ زين العابدين بن الإمام الحسين ، ولا خلاف بين المؤرخين في أنَّها دخلت مصر ، وأنَّها ماتت بها بكراً لم يدخل بها رجل .

وقد خلط بعضهم بينها وبين عمتها سكينة الكبرى بنت الحسين ، ولكن الحق عندنا ما بيَّناه هنا ، بعد التحقيق التاريخي ، المؤيد بالتواتر ، ثُمَّ بنقول أهل الحق من العارفين بالله ، في مقامات الكشف والشهود .

وإذا صَحَّ ما نقله بعضهم من أنه كان لسكينة الكبرى شقيقة سميت باسمها كعادة أهل البيت في تكرار التسمية بين الإخوة ؛ فتكون قد انحلت المشكلة بافتراض أن سكينة الثانية هي دفينة الحجاز ، وقد كانت صورة من شقيقتها ، صورة وعلماً ومعاملة ، والله أعلم .

أمَّا قبر سُكَيْنة الصغرى بنت زين العابدين التي نتحدث عنها ، فهو عند مقبرة (الصدفيين) ، وهم من السَّادة التابعين ، وكانت لهم نحو أربعمائة قبة هناك ، ومنهم بركة مصر وفخرها الإمام (يونس بن عبد الأعلى) شيخ البخاري ومسلم ، والذي كان نائباً عن (الإمام الليث) في إدارة أمواله ، وقبور الصدفيين بجوار قبر سُكَيْنة الصغرى قريباً من

مشهد الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه ، وهو معروف يُزار ويُتبرك به ، ويخشى عليه من الاهمال والاندثار .

أمَّا سكينة المدفونة بالشام ، فهي الأخت الكبرى لـ (سكينة بنت زين العابدين) دفينة مصر ، وقد وهم في شأنها بعض مؤرخي المزارات فخلط بينها وبين سميتها .

أمَّا سكينة المدفونة بالمدينة فهي الأخت الصغرى لـ (سكينة بنت الحسين)، وقد تزوجت جماعة معروفين، وماتت هناك وقبرها معروف، وهي التي حقد عليها الأمويون فأجلوا دفنها حتَّى يسوء ريحها ، ولكن الله أكرمها فأحرق النَّاس حول نعشها من العود والصندل ما لم يعرف لأحد في التاريخ « فاحفظ ذلك » .

● **أسباب اللبس في الأسماء :**

قلنا : وإنَّمَا أَحْدَثَ هذا اللبس ما تعوده أهل البيت رضي الله عنهم من تكرار الاسم الواحد في البيت الواحد مرتين وثلاث مرات ، من قبيل التبرك والتيمن ، مع الاكتفاء في التمييز بلفظ الأكبر أو الكبرى ، والأوسط أو الوسطى ، والأصغر أو الصغرى ، أو بالألقاب أحياناً نحو : الصادق والأبلج والمحض و المؤتمن ، أو بنحو قولهم : المثنى والمثلث وهكذا ، وقد مرت عليك الأمثلة فيما قدمنا ، وستمر الأمثلة فيما يأتي رضي الله عنهم جميعاً .

..*

الباب السابع

مشاهد الرُّقَيَّات

* مشهد رقيَّة بنت عليّ الرضا بالقاهرة .
* ضيوف بقيع مصر (مشهد رقيَّة) .
* قبر رقية أخت الحسين، ورقية بنت الرسول ﷺ .

● مشهد رقية بنت عليّ الرضا بالقاهرة :

وقريباً جداً من مشهد السيدة سُكَيْنة الكبرى ، إلى الشمال الغربي منه ، يقع قبر السيِّدة **رقية بنت عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ بن العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهم**، وكثير من النَّاس يظنونه للسيدة رقية بنت عليّ أخت زينب والحسين ، وهذه دفينة دمشق ، ومشهدها معروف هناك ، ويسمى مشهد السيدة رقية بنت الرضا بالقاهرة بـ (بقيع مصر) لكثرة المدفونين حولها من كبار السَّلَف الصالح ، الذين سوف نشير إلى بعضهم إن شاء الله .

وقد جدد هذا القبر السيدة (علم الآمرية) زوجة الخليفة المستعلي بالله الفاطمي عام (٥٢٧ هـ) ، ثُمَّ جدده عبد الرحمن كتخدا ، ثُمَّ عمره عباس الأول وزوجته ، ونقل إلى الضريح المقصورة المطعمة بالصدف التي كانت

على قبر الحسين قبل عمل المقصورة النحاسية التي استبدل بها الآن المقصورة الفضية المكففة بالذهب والأحجار الكريمة ، والتي أهدتها طائفة (البهرة) إلى ضريح الحسين في خواتم القرن الرابع عشر الهجري .

وقد أخذ اسم رُقَيّة من : الترقي والسمو والترفع والعلو ، أو هو تصغير لطيف للفظ (رُقْية) بمعنى الدعاء والابتهال إلى الله في شأن أصحاب البلاء .

ولم يبق من المبنى الفاطمي على ضريح السيدة رقية بنت عليّ الرضا إلا الإيوان الذي به الضريح ، وما عداه فمستحدث ، وليس بالقبة إلا السيدة رقيّة وحدها ، ولكن بعضهم يقول : إن معها في القبر جثمان العالم التركي (محمد رضا) وزوجته السيدة زبيدة ، وهما اللذان استضافا السيدة رقية منذ جاءت القاهرة حتَّى توفيت بمنزلها الذي أصبح ضريحاً للجميع ، وليس هذا بمستبعد ، والله أعلم .

● **ضيوف بقيع مصر (مشهد رقية) :**

وبجوار مشهد السيدة رقية : قبر السيدة (عاتكة) بنت زيد بن عمرو ابن نفيل القرشي زوجة سيدنا محمد بن أبي بكر الصديق ، الذي كان والياً على مصر تزوجها بعد الزبير بن العوام ، ودخلت معه مصر ، وماتت فيها بعد مقتله رضي الله عنه ، ويظن كثير من النَّاس أنها عاتكة عمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وليس كذلك .

وبجوارها قبر السيد عليّ الجعفري الصوفي الجليل من سلسلة أبناء جعفر الطيار أخي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ترجمه

الأزورقاني ، ووصفه بالصلاح والتقوى وطهارة الأنفاس ، وبعضهم يظن خطأ أنَّه عليّ بن جعفر الصادق أي شقيق السيدة عائشة وحفيد الإمام عليّ زين العابدين ، وليس كذلك .

وبهذا المشهد طائفة أخرى من الأشراف والعلماء منهم : العلامة المحقق النسابة اللغوى المحدِّث السيد (أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي) الحنفي الشريف الحسيني ، ومعه زوجته أم الفضل زبيدة التي سبقته إلى رحمة الله ، وقد أحاطت المساكن الشخصية بهذه المشاهد ، وتداخلت معها ، فأساءت إليها من كل الوجوه حتَّى ابتلعت بعضها بالفعل ، وامتدت يد التغيير والتبديل والتضليل على بقية قبور المبنى الجليل ، ولا قوة إلا بالله .

● قبر رقية أخت الحسين ورقية بنت الرسول وأرض البقيع :

وأمَّا قبر رقية أخت الحسين بنت الإمام عليّ ، فهو الذي بدمشق كما قدمنا ، وأمَّا رقية بنت زيد الأبلج أخت السيدة نفيسة الكبرى ، فهو بالبقيع بالمدينة المنورة ، قريباً من قبر جدتها رقية بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم التي كانت زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد سويت مقابرهم بالأرض ، فلا يكاد يعرفها حتَّى (المزورون) الذين يتلقفون زوّار البقيع ، فيمرون بهم على بعض الأحجار الباقية من قبور أهل البيت التي سوّاها الوهابيون بالأرض فضاعت المعالم ، خصوصاً بعد توسعة أرض البقيع وشق الشوارع فيها ، واندثار قبور ساداتنا أهل البيت وكبار الصحابة ، ولا قوة إلا بالله ، وها نحن نرى يوماً بعد يوم يصل

الاندثار إلى بقية الأحجار التي كانت علامة على القبور الكريمة ، برغم قلتها اليوم وندرتها ، حتّى لا يبقى أثر في البقيع يدل على خير ، ولله الأمر من قبل ومن بعد [1] .

..*

---

(١) راجع رسالة « صرخة في الله ولله إلى السادة الأماثل : رجال المملكة العربية السعودية » التي وجه فيها الإمام الرائد النداء إلى قادة السعودية ، لإنقاذ آثار الرسول صَلّى الله عليه وآله وسَلَّم في مكة والمدينة ، من الهدم باسم التوحيد المظلوم ، وكانت الوهابية قد هدمت كثيراً من تلك الآثار النبوية المباركة ، وما زالت تهدم كلما سنحت لهم الفرصة .

ففي مكة هُدِّمت قبور وقباب المعلى ، وفي أولها قبة السيدة خديجة رضي الله عنها ، والبيت الذي ولد فيه الرسول صَلّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ومنزل السيدة خديجة حولوه إلى (مراحيض) ، وأزيل بيت الإمام عليّ ، ودار الأرقم ، وفي المدينة هدمت قبور البقيع ، وردمت بئر حاء ، وبئر الخاتم ، وأزيل مسجدان من المساجد السبعة التي بنيت على أرض معركة الأحزاب ، وبيت الإمامان الحسن والحسين ، كما أزيل جبل الرماة الذي كان مجاوراً لأحد .

فضلاً عمَّا نهب من الحجرة النبوية من أثمن التحف والجواهر عند دخولهم لها ، كما ذكره مفصلاً الشيخ أحمد الزيني دحلان في تاريخ البلد الحرام .

جدير بالذكر أنَّ رسالة الإمام الرائد هذه قد سلمت يداً بيد إلى الملك فهد بن عبد العزيز ، على يد أخينا في الله الوزير زكي بدر ، وقد حوت هذه الرسالة فيما حوت نصوص القانون السعودي في وجوب المحافظة على الآثار . وقد طبعت مراراً .

وللسيد يوسف هاشم الرفاعي رسالة « نصيحة لعلماء نجد » في نفس الموضوع ، وقد اختصرتها وطبعت ملحقة برسالة شيخنا في الزيارة النبوية .

وأولاً وآخراً : لا حول ولا قوة إلا بالله .

الباب الثامن
الفاطمات الطاهرات
رضي الله عنهن

* السيدة فاطمة بنت مولانا الحسين .
* استدراك حول بنت مولانا الحسين .
* فاطمات القاهرة رضي الله عنهن .

أولاً : السيدة فاطمة بنت مولانا الحسين :

السيدة فاطمة بنت مولانا الإمام الحسين، أخت السيدة سكينة النبوية، وأمها أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبد الله (على ما حققه البغدادي) .

وقد كانت دخلت مصر مع عمتها السيدة زينب عام واحد وستين هجرية ، ثُمَّ رجعت إلى الحجاز مع أختها سكينة ؛ فتزوجت هناك وأنجبت كما سنفصله . وقد أخذ اسم فاطمة من الفطام بمعنى القطع ، فهي التي فطمها (أي قطعها) الله بالحق عن الباطل ، وقد ولدت على المشهور عام أربعين هجرية بالمدينة المنورة .

● **كنيتها وزواجها وأبناؤها :**

كانت أشبه النَّاس بجدتها السيدة فاطمة الزهراء ، وكانت فصيحة أديبة كريمة دائمة العبادة ، وقد ضمت إليها اليتامى اللائي فقدن الآباء في

موقعة كربلاء وغيرها ، وكانت أحياناً تستصحبهن في رحلاتها ، وتضم إليهن أخريات وآخرين .

قالوا : وكن معها في عودتها إلى مصر ، كما عادت أختها (سكينة) حتَّى ماتت ودفنت بها ، ولهذا سميت السيدة فاطمة « أم اليتامى » .

تزوجت أولاً من ابن عمها **الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام عليّ** ، وقد أعقبت منه عبد الله المحض (أي الخالص العبودية لله) ، وكان عالماً شاعراً هماماً ، وهو أبو (إبراهيم الجواد) المدفون رأسه بالمطرية ، وأبو (زينب) المشهورة بـ (فاطمة النبوية) في العباسية .

أمَّا مدفنه هو أي عبد الله المحض ، فالمشهور - كما قلنا - أنه بالقاهرة بحي عابدين ، وقد يكون في هذا نظر إذا أخذنا في الاعتبار قول من يقول بأنَّه مات في سجن أبي جعفر ببغداد ، فيكون الأرجح قول من يقول : إن عبد الله الذي بمصر إنَّمَا هو ولي صالح من نسل عبد الله المحض ، ولهذا نسب إليه أو لقب بلقبه .

ومن أبناء السيدة فاطمة غير المحض : إسماعيل الديباج ، الذي ينسب إليه آل « طباطبا » بالعراق ومصر وغيرهما ، ثم الحسن المثلث ، وقد ماتا في سجن أبي جعفر المنصور ، بعد أن أعقبا نسلاً طيباً .

ثُمَّ تزوجت فاطمة ثانياً بعد وفاة الحسن المثنى زوجها الأول ، بـ (**عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان**) ، فولدت له : محمداً والقاسم .

● **روايتها للحديث :**

وقد روت فاطمة رضي الله عنها بعض أحاديث جدها صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عن أبيها الحسين، وعن عمتها زينب بنت عليّ، وعن عبد الله بن عبَّاس، وعن بلال بن رباح ، وغيرهم ، وعنها روى أبناؤها رضي الله عنهم .

● **وفاتها وقبرها :**

وقد توفيت عام (١١٠هـ) ، وفي قدومها إلى مصر بعد كبرها ودفنها بها خلاف ، وقد حَقَّقَ شيخ الإسلام الأجهوري - مؤيداً بخطط الشهاب الأوحدي - قدومها إلى مصر ووفاتها بها ، ودفنها في سفح المقطم ، وهو الأشهر المعتمد . وقد جدد قبرها رضي الله عنها جماعة من أواخرهم عبد الرحمن كتخدا وعباس حلمي الثاني .

وعندئذ يكون قبر فاطمة النبوية بالمدينة ، وقبر فاطمة النبوية بالخليل بالشام من قبور الحفيدات أو الشريفات الطاهرات اللواتي يحملن اسم (فاطمة) من أهل البيت .

ويقول بعضهم : إن العكس جائز أيضاً لوجود كنية (أم سلمة) على رخامة قبر السيدة فاطمة بسفح المقطم ، وليست هذه الكنية من كنى بنت الحسين ، فكنيتها (أم اليتامى) ، ومعنى هذا أن أم سلمة فاطمة النبوية الموجود قبرها بسفح المقطم ليست بنت الحسين مباشرة بل هي حفيدته ، غير أن الرُّوحانية والمدد والتواتر والبركة والتجربة ترجح الأول ، وهو المعتمد عند أكثر المؤرخين ، وعندئذ تكون كنية (أم سلمة) كنية ثانية مع كنية (أم اليتامى) لبنت الحسين رضي الله عنها بالقاهرة .

ثانياً : استدراك حول الفاطمات :

في كلامنا عن مشهد فاطمة النبوية بنت الحسين بسفح المقطم رجحنا أن هذا المشهد لها ، ولكنَّا لم نقطع بذلك ، ثُمَّ بعد أن طبعنا هذا الرأي رأيْتُ في نومي بعد ظهر يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من رجب الحرام سنة ١٣٦٢هـ - والرؤيا أمانة - كأنني أزور ضريحها رضي الله عنها ، فوجدت باب المقصورة النحاسي مفتوحاً ، فدخلت إلى ما بين المقصورة والتابوت ، وفي الركن الشرقي الجنوبي رأيْتُ كأنَّ إحدى فتيات العشيرة المحمدية المعروفات بالجمال والتقى ، واسمها (فاطمة) ، تجلس في هذا الركن ، وهي تلبس البياض كأنَّها في صلاة ، فدهشت وسألتها : ماذا جاء بك إلى هنا ؟ قالت : وهل تعرفني ؟ قلت : وهل أنسى فاطمة ابنتي؟ قالت : لا ، أنا فاطمة ابنة الحسين !! .

ثُمَّ مضت أيام وأتاني أخي في الله السيد أبو التقى أحمد خليل رحمه الله بنماذج هذه الرسالة ، لأعيد مراجعتها ، فاستبقيتها لليوم الثاني ، وفي ليلة الجمعة آخر شهر المحرم سنة ١٣٦٣ هـ رأيْتُ كأنني أزور مباني الإدارة الجديدة الملحقة بالمشهد الحسيني ومعي بعض الأحبة ، وقد أصعدوني لأشاهد القاعة الكبرى في الطابق الثاني ، وإذا بهذه القاعة كأنها قاعة الأمير يشبك بالجمالية ، وقد فرشت بأروع وأبدع أنواع البسط والطنافس والمقاعد ، وفي صدرها فتاة تجلس على ما يشبه العرش ، وقد لبست البياض كذلك كأنَّهَا في صلاة ، وظننت أنَّها الدكتورة (فاطمة) ابنة شقيقي السيد وهبي ، ولكنها تبدو مشغولة فذهبت إليها ، وهممت أن

أربت بيدي على كتفها ، وأنا أقول : ما لك يا فاطمة يا بنتي ؟ فإذا بها تمسك يدي قبل أن تمسها ، وتقول : ألم أقل لك أنا فاطمة بنت الحسين ! ! .

ولما كنت رأيتها في المنام مرتين في صورة فتاة ، تذكرت قوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ .

سيقول علماء النفس : إنَّ هذا أثر من حركة العقل الباطن ، ولكني أقرر (وأنا على معرفة كاملة بعلم النفس الحديث) أنَّه ليس كذلك ، وإنَّمَا هو أثر روحي عميق الجذور ، ضارب إلى حقائق مساتير ما وراء المنظور ، وهو من الرؤيا الصَّادقة بإذن الله .

وعليه أعود فأقرر بالقطع : إنَّ عالم البرزخ محيط ، وأنَّ مشهدها بالقاهرة هو لجدتنا فاطمة النبوية بنت الحسين ، وإن اختلف معي بعض النَّاس أو كلهم ، ثُمَّ ما المانع من أن يكون لـ (فاطمة) مشهدان ، أحدهما حقيقي والآخر تذكاري ؟ . ألا ترى كيف نقيم المساجد في مصر ونسميها بأسماء لم يدخل أصحابها مصر أبداً ، والله رب نيات وقلوب .

ثالثاً : فاطمات القاهرة :

وبعد هذا يأتي من الفاطمات النبويات بالقاهرة كل من السيدات :

١ - فاطمة النبوية بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وقبرها بـ (منطقة الخليفة) مشهور يزار .

٢ - فاطمة النبوية بنت أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر

الصادق ، وقبرها بـ (درب سعادة بباب الخلق) ، ذكر المقريزي دخولها مصر ، ومشهدها مقصود بالزيارة وطلب البركة ، وعليه رغم تواضعه نور النبوة ، وهي بنت عم فاطمة بنت محمد بن إسماعيل ، ويخشى على قبرها الاندثار ، كما اندثر كثير من قبور آل البيت مما يؤسف ويؤذي ويهم .

٣- السيدة فاطمة النبوية العيناء ابنة القاسم بن محمد بن جعفر الصادق ، وسميت بـ (العيناء) لحسن عيونها وشدة شبهها بجدتها فاطمة الزهراء ، ويؤثر عنها كرامات ومناقب شتى .

وقد نقل إلى قبرها المعروف شرقي قبر الشَّافعي عدد من الأشراف الحسنيين والكلاثمة ، وقبرها يستجاب عنده الدعاء بإذن الله ، وعنده تفيض البركات والأمداد ، وهذا القبر لسوء الحظ في طريقه إلى النسيان والتلاشي ، ككثير غيره من مشاهد وقبور أهل البيت وكبار الأولياء .

٤- السيدة فاطمة المحضية ، واسمها زينب بنت عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام عليّ ، وشهرتها فاطمة على ما ذكره القلعاوي في (مشاهد الصفا) ، وقبرها بـ (العباسية) في شارع معروف باسمها هناك .

٥ ، ٦ - السيدتان فاطمة الصغرى ، وفاطمة الكبرى ، ذكر السخاوي أن قبرهما كان بحري قبر العارف أبي بكر الأدفوي بسفح المقطم ، ومعها جماعة من الأشراف رضي الله عنهم ، وقد اندثرت هذه القبور جميعاً أو تكاد ، فلا يعرفها الآن إلا نادر من المعمّرين .

الباب التاسع
الآمنتان والقارئتان
وعائشة والرءوس الثلاثة

* **السيدة آمنة بنت موسى الكاظم .**
* **السيدة آمنة بنت عبد الله بن الحسين .**
* **القارئتان الأختان (ثناء وسناء) .**

من صاحبات الأسماء المتماثلة فيما نذكر من شهيرات أهل البيت بالقاهرة :

أولاً : الآمنتان :

١- السيدة آمنة بنت موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أخت عليّ الرضا أبو رقية ، وقبرها قرب قبر عمرو بن العاص وعقبة بن عامر الجهني الصاحبيين بقرافة قريش شرقي قبر الإمام الشّافعي ، ولا يكاد يعرف الآن .

٢- السيدة آمنة بنت عبد الله بن الحسن بن عبد الله ، من ذرية القاسم القرشي ، ومدفنها في حوش طباطبا ، بقرافة الإمام الليث قريباً من مشهد الشقيقين الشريفين (الحسن والمحسن) ابنا القاسم بن جعفر الصادق رضي الله عنهم جميعاً .

وهذه المقابر كلها لا يكاد يعرفها الآن إلا المتخصصون فهي في طريق الاندثار ، إلا أن يتداركها الله ، فهو على كل شيء قدير .

ثانياً : القارئتان :

الأختان الشريفتان (ثناء وسناء) من أحفاد الإمام جعفر الصادق ، كانتا تقرآن القرآن في فراغهما ، تقرأ أحداهما جزءًا من الختمة الشريفة وتستمع إليها الأخرى ، حتَّى إذا انتهت هذه بدأت الثانية فواصلت القراءة، واستمعت إليها أختها . . وهكذا ، فلما ماتت إحداهما جعلت الأخرى تقرأ ختمتها عند قبرها أو رأسها . . قالوا : حتَّى إذا أتمتها ماتت أيضاً ودفنت مع أختها .

وقبرهما في الحوش المعروف الآن بـ (سيدي ريحان) بصحراء السيوطي تجاه قبة (سودون العجمي) بسفح المقطم ، جنوب شرقي مسجد السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفيه بركة كبرى ، ودعاء مستجاب .

ثالثاً : الرءوس الثلاثة المباركة :

وقد شرف الله مصر بأن جعلها مقراً ، لثلاثة من الرءوس الشريفة ، للكبار من سادة أهل البيت ، وهي حسب تواريخ دخولها مصر .

أولها : **رأس الإمام زيد بن عليّ زين العابدين بن الحسين** ، وإليه ينسب المذهب الزيدي باليمن ، وجثته مُثِّل بها ، ولا يعرف للجثة مدفن على التحقيق ، ومشهد رأسه هو المعروف باسم أبيه (سيدي عليٍّ زين العابدين) في الحي المعروف باسمه خلف حيّ السيدة زينب رضي الله عنها بالقاهرة .

أمَّا **سيدي عليّ زين العابدين** نفسه فالمشهور أنَّه لم يدفن بمصر بل بالمدينة المنورة ، ولا شَكَّ أنَّ في هذا المشهد بمصر بركة الولد والوالد بفضل الله تعالى .

ثانيها : رأس سيدي إبراهيم الجواد بن عبد الله المحض ، الملقب بالكامل أيضاً ، ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليٍّ ، وهو أخو محمد الملقب بـ (النفس الزكية) ، قتله المنصور عام (١٤٥هـ) ، وطافوا برأسه حتَّى وصلوا به إلى مصر ، فنصبوه في الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) في ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ ، فسرقه المصريون ، ودفنوه خارج القاهرة في ذلك الوقت (أطراف القاهرة الآن) ، وقد أقيمت زاوية صغيرة على المشهد الذي دفنت فيه الرأس ، تحولت الآن إلى مسجد باق بالمطرية حتَّى الآن يسمى بجامع السيد إبراهيم ، ويطلق عليه خطأً (جامع إبراهيم الدسوقي) ، وجامع (إبراهيم بن زيد) ، وكان يُسَمَّى عند العامة فيما مضى (مسجد التبرير) ، وهو خطأ كما ذكر السخاوي وغيره ، والصواب : (مسجد تبر) ، وتبر أحد كبار الأمراء في حكومة (كافور الإخشيدي) هو الذي بنى هذا المسجد .

وذكر المقريزي في خططه : أن مسجد (تبر) خارج القاهرة عُرف قديماً بالبئر والجميزة ، والبئر والجميزة كانتا بجوار المسجد ، ويقال : إن عيسى عليه السَّلام اغتسل من هذه البئر ، حينما جاء مع أمه طفلاً إلى مصر هرباً من الروم .

وتسميه العامة خطأ أيضاً بمسجد التبن ، والمسجد قريب من المطرية ، وتعرف منطقته بمنطقة (السواح) حالياً .

ويعاني المسجد الآن من الإهمال ، واليوم الوحيد الذي يزدحم فيه النَّاس هو يوم الاحتفال بمولده في نهاية شهر رجب من كل عام حيث تقام به حلقة ذكر ، ويقدَّم الطعام للفقراء ، وقد قام بعض التجار مؤخراً بعمل قاعدة للضريح ، وبناء مقصورة من (الألوميتال) بعد أن وصل المكان إلى حال سيىء ، وبعض أهل الخير يمولون عملية لترميم (واجهة المسجد) ، وإعادة بناء دار مناسبات ومصلى للسيدات في مبنى جديد ملاصق للضريح .

وجدير بالذكر أنَّ الإمام أبا حنيفة النعمان رضي الله عنه قد أيَّد إبراهيم في ثورته هذه على المنصور ، كما قام الإمام مالك بتأييد أخيه محمد الملقب بالنفس الزكية ، ولا يعرف لجثة إبراهيم بن عبد الله المحض مكان محقق رضي الله عنه ، وفي مشهده نور وبركة ومدد .

ثالثها : رأس الإمام الحسين رضي الله عنه ، وجثته في كربلاء بالعراق ، ورأسه في حرم مشهده الأشهر بالقاهرة على التحقيق التاريخي والروحاني الأكيد عند أصدق المؤرخين ، ولا عبرة أبداً بأقوال المنكرين (راجع ما كتبناه في أول هذا الكتاب) .

أمَّا المشهد المنسوب إلى الإمام الحسين بعسقلان بالشام ، فهو الذي كان به الرأس قبل نقله إلى مصر ، وأمَّا المشهد المنسوب إليه أيضاً بسوريا ، فهو من المنازل التي أنزلوا الرأس بها وهي تطوف البلاد ، وهكذا بنيت

على هذه المنازل عدة مساجد باسم الإمام الحسين ؛ فهي من المساجد التذكارية التي تقام بأسماء الأولياء تبركاً أو لسبب آخر غير دفنهم بها .

● **رأس محمد بن أبي بكر :**

ونذكر بهذه المناسبة رأس محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق فإنَّه في القاهرة بلا خلاف ، والترجيح أنَّه بمشهده المعروف بشارع باب الوداع بمصر القديمة ، وتنسب إليه عدة مشاهد أخرى بالقاهرة ، لعلها الأماكن التي كان يخفى فيها الرأس حتَّى ينقل من مكان إلى مكان ، وما ينسب إليه من المشاهد بالأقاليم ، فلعلها لغيره من الصَّالحين المتشابهين معه في الاسم ، أو كانت كذلك من أمكنة إخفاء الرأس ، أو للتبرك بالاسم أو للذكرى ، كالمشهد المنسوب إليه بمنطقة (حيضان الموصلي) بحي الباطنية خلف الأزهر ، ومشهد (ميت دمسيس) بالدقهلية ، رحمه الله وغفر لنا وله ولمن كانوا معه أو كانوا عليه .

رابعاً : مرقد السيدة عائشة بنت جعفر بالقاهرة :

ولما لم يبق من شهيرات أهل البيت بمصر مَنْ لم نشر إليه فيما نظن إلا عائشة ، لانفرادها في القاهرة باسمها ، فقد تعيَّن علينا أن نقرر أنَّها السيدة عائشة بنت جعفر الصادق أخت يحيى المؤتمن زوج السيدة نفيسة وأمير المدينة المنورة رضي الله عنه ، وأخت الإمام موسى الكاظم متفق على دخولها مصر ، مع إدريس بن عبد الله المحض ، بعد موقعة (فخ) التي استشهد بها جماعة من أهل البيت بالعراق .

وكانت عائشة رضي الله عنها زوجاً لأمير المدينة أيضاً ، عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وتوفيت بمصر عام (١٤٥هـ) كما جاء في (مشاهد الصفا) و(تحفة الأحباب) ، وقد أكَّد أحمد زكي باشا وجودها في مقرها هذا بمصر ، ولا التفات إلى مَنْ يقول إنَّها جاءت إلى مصر طفلة وتوفيت وهي طفلة ، فهذا جهل كبير وخلط وتغرير أو حقد سلفي مغير .

ومشهدها معروف بميدان القلعة في طريق الإمام الشَّافعي ، وكانت كبقية العترة عابدة مجاهدة من أهل الله ، يؤثر عنها من الكرامات والمناقب شيء كبير ، وقبرها مقصود يدعى الله تعالى فيه ، ويتوسل بها إليه ، جدده عبد الرحمن كتخدا بعد تجديد صلاح الدين له ، ثُمَّ جددته الدولة في عصرنا تجديداً شاملاً رائعاً ، ونقلت له أحجار مسجد (أولاد عنان) الذي بني مكانه الآن (مسجد الفتح) بميدان محطة مصر المشهور بـ (ميدان رمسيس) .

كما نقلت الدولة إلى مسجدها الجديد المقصورة النحاسية التي كانت على قبر السيدة زينب بنت عليّ قبل إهداء المقصورة الفضية الموجودة الآن على قبرها من طائفة (البهرة) أحفاد الفاطميين بالهند ، فأصبح المسجد والمرقد عظيمين لائقين بمقامها الشريف ؛ فهي ابنة أمير ، وأخت أمير ، وزوج أمير ، رضي الله عنها .

* . * . *

الباب العاشر
جمع من الأشراف

(١)
الشريفان : الأنور ، والأنور
والزيود الثلاثة

أولاً : السيد حسن الأنور :

أشرنا فيما أسلفنا إلى أن السيد حسن الأنور ، والد السيدة نفيسة رضي الله عنها هو ابن السيد زيد الأبلج بن السيد الحسن السبط بن الإمام عليٍّ وابن الزهراء فاطمة النبوية بنت سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وهو الذي يقول عنه المحدِّث الذهبي : « كان من أعيان العلويين وأشرافهم ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ، معدوداً من التابعين » .

وقد تولى إمارة المدينة المنورة من قبل المنصور العَبَّاسي ثم تركها ، وقد رحل إلى القاهرة ، وتوفي بها ، ومسجده معروف مشهور قريباً من (سور مجرى العيون) في مشارف مصر القديمة ، مهمل من وزارة الأوقاف ، رغم ماله من أوقاف .

ثانياً : الزيود الثلاثة :

وقد دفن في مسجد السيد حسن الأنور ولده السيد زيد الأصغر رضي الله عنه . أمَّا والد السيد حسن الأنور أعني السيد زيد الأبلج فقد دفن بالحاجر بين مكة والمدينة .

ثُمَّ إنَّ السيد زيد الأصغر ، والسيد زيد الأبلج ، هما غير الإمام الفقيه زيد بن عليّ زين العابدين ، المدفون رأسه بالقاهرة قريباً من السيدة زينب في المشهد المعروف باسم والده (عليّ زين العابدين) .

ثالثاً : السيد محمد الأنور :

وكنَّا قد أشرنا أيضاً إلى أنَّ السيد محمد الأصغر الشهير بـ (الأنور) هو ابن زيد الأصغر ، دفن بمسجد أبيه الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن عليّ وفاطمة رضي الله عنهما ، فـ (محمد الأنور) هو ابن شقيق السيدة نفيسة على أرجح الأقوال .

لكن بعض المؤرخين يرون أن محمد الأنور هو شقيق حسن الأنور ، فهو عم السيدة نفيسة وليس ابن أخيها عندهم .

وهنا يرى بعضهم أنَّ محمداً أخا السيدة نفيسة ، ومحمداً عمها ، كلاهما دفن في ضريح واحد ، وعلى هذا يكون القولان صحيحان .

وهذا الضريح يقع في شارع (الخليفة) على يمين الذاهب لزيارة قبر السيدة رقية بنت عليّ الرضا ، في مواجهة قبة شجرة الدر وجامع الخليفة ، بعد مسجد السيدة سكينة بقليل .

(٢)

الشريفان : يحيى ويحيى

أولاً : يحيى الشبيه بالنَّبيِّ ﷺ :

هو : **السيد يحيى بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين** ، فهو شقيق (فاطمة العيناء) بنت القاسم السَّابق ذكرها في الفاطمات ، وقد لقب بالشبيه بالنَّبيِّ ، لأنَّه كان يشبه جده المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم صورة وسمتاً ، وجلالاً ووقاراً وكرماً وشجاعة .

وقد اشتهر بالعلم والبركة ، فاستقدمه إلى مصر (أحمد بن طولون) تطييباً لقلوب المصريين ، لما هو عليه من الخير ، ولما هو معروف عن المصريين من صدق حب أهل البيت النبوي ، وصفاء الولاء لهم ، وقد كان يوم دخوله مصر ومن معه من الأشراف عيداً من أكبر الأعياد .

ولما توفي دفن بمشهده المعروف قريباً من مسجد الإمام الليث بن سعد ، وقد دفن معه أخوه عبد الله بن القاسم وطائفة من الأشراف .

ثانياً : يحيى المتوج بالأنوار :

هو السيد (يحيى) الملقب بـ (المتوج بالأنوار) ، لما كان عليه من ميراث النور النبوي والمهابة والبركة ، وهو شقيق السيدة نفيسة ومحمد الأصغر ، ووالدهم جميعاً السيد حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن الإمام عليّ رضي الله عنه .

وقبره أيضاً معروف قريباً من مسجد الإمام الليث ، وقريباً أيضاً من قبر السيد يحيى بن القاسم المشهور بـ «الشبيه بالمصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم» ، والقبران في حاجة شديدة للإصلاح والترميم والرعاية ويخشى عليهما من الاندثار .

(٣)
الشريفان الصوفيان

ومن خاصة أشراف القاهرة : الإمام الصُّوفي السَّلفي الشَّرعي المجاهد العارف بالله الشيخ **محمود أبو عَلِيَّان الشَّاذلي المحَمَّدي**[١] الحسيني الأب ، والحسني الأم ، وأصله من نجع الزوايدية أحد نجوع البصيلية بأدفو .

ثُمَّ من بعده خليفته وصهره (زوج كريمته) الإمام العالم الزاهد الصُّوفي الداعية المجدد السيد **إبراهيم الخليل بن عليّ الشَّاذلي المحَمَّدي**[٢] ، الحسيني الأب ، البكري الأم . (وهو والد السيد الرائد مؤلف هذا الكتاب ، كما أنَّ السيد أبو عَلِيَّان هو جده لأمه الزهراء فاطمة النبوية) .

والسيد إبراهيم الخليل هو مؤلف كتاب (المرجع في بيان المشروع والممنوع من تصوف المسلمين) ، وكتب صوفية أخرى .

وقد كان كلاهما (الشيخ أبو عَلِيَّان والسيد إبراهيم الخليل) مجدد

---

(١) الشيخ محمود أبو عَلِيَّان ولد في يوم الخميس التاسع من رجب ١٢٥٦هـ وتوفي ليلة الخميس التاسع من رجب ١٣٢٦ هـ .

(٢) الشيخ إبراهيم الخليل ولد في عاشوراء من المحرم ١٢٩٩هـ وتوفي ضحى الثاني عشر جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ .

عصره في التصوف الإسلامي الشرعي ، وقد لقي كلاهما من العنت والأذى في سبيل تصحيح المسار الصوفي وتقويمه على أساس الكتاب والسنة ، ما لم يلقه غيرهما ، ونحن بالأثر ولله الحمد .

وكان كلاهما قطب عصره وغوث زمانه بحق ، وتجد بعض سيرتهما مسجَّلة بكتاب (البيت المحمدي) ، وضريحهما معاً بالمسجد المبارك المعروف بمسجد (مشايخ العشيرة) ، ومعهما عدد من الأشراف والشريفات بشارع السلطان أحمد بقايتباي بالجمالية بالقاهرة ، وفي هذا المسجد بركة محسوسة ومدد مشهود مجرب ، ويقصده أصحاب الحاجات توسلاً إلى الله ، فيكرمهم الله سبحانه وتعالى .

وللشيخ أبي عَلِيَّان عدة (خلوات) يحسبها النَّاس الآن مشاهد أو قبوراً له ، منها خلوته بمدينة أسوان حيث أوصى الأديب الكبير السيد محمود عباس العقاد أن يدفن بجوار هذه الخلوة تبركاً به كشيخ له ، وأخرى بنجع البياض ، وأخرى بنجع الزوايدية ، وأخرى بقرية الشيخ محمود على النيل حيث كان يتخذ من هذه الخلوات مركزاً للدعوة إلى الله .

(٤)
شارع الأكابر

وشارع السلطان أحمد بقايتباي بالجمالية بالقاهرة ، هذا الذي يقع به ضريح الشيخين الشريفين الصوفيين الجليلين (الشيخ محمود أبو عَلِيَّان والسيد إبراهيم الخليل الشَّاذلي) شارع عجيب الشأن ، فإنَّ السائر فيه يجد على مشارفه المختلفة وجوانبه من (**أضرحة كبار العلماء**) : ضريح الشيخ

عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر ، والشيخ محمد الأنبابي شيخ الأزهر ، والشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر ، والشيخ محمد عبده مجدد الأزهر ، والشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر ، والشيخ الأمير الكبير من أشهر سلف الأزهر .

كما يجد على جوانبه من (**أضرحة كبار الأولياء**) : ضريح الشيخ مصطفي البكري الخلوتي ، والشيخ الحفني الخلوتي ، والشيخ الحدّاد الخلوتي ، والشيخ المرزوقي الشاذلي ، والشيخ (المعمر) عليّ الوقاد الشَّاذلي ، والشيخ أمين الكردي النقشبندي ، والشيخ البابي الحلبي النقشبندي ، وفي غربي مدفن الحلبي يقع مسجد الشيخ عبدالخالق الشبراوي الخلوتي .

كما يجد على جوانبه من (**أضرحة الزعماء**) : ضريح الزعيم الوطني الرُّوحي السيد عمر مكرم ، والزعيم الاقتصادي المصري طلعت حرب ، ثُمَّ مدافن شهداء الجيش المصري في حروب فلسطين واليهود .

كما يقع في أواخره من جهة العبَّاسية من (**الآثار العظيمة**) : مسجد الأمير إينال ، والأمير كبير المملوكي ، وفي شرقي الشارع مسجد السلطان فرج بن برقوق ، ومسجد السلطان برسباي ، من أفخم مباني الدولة المملوكية ومجمعاتها ، مع عدد آخر من مباني المماليك والمشاهير .

ذلك بالإضافة إلى مسجد السلطان قايتباي الذي يعتبر مفخرة التحف الأثرية بمحتوياته وبملحقاته الضخمة ، ويقع قريباً من مسجد قايتباي

ضريح شيخ الأزهر الباجوري ، ثُمَّ إلى قريب منه ضريح الشيخ عبد الوهاب العفيفي ، ثُمَّ قبر الشيخ عبد الله المنوفي ، وقبر الشيخ الجبرتي الكبير والد الجبرتي المؤرخ ، ثُمَّ مدفن الخديوي توفيق بملحقاته وفخامته التي تناقصت كثيراً بعد ثورة (٢٣ يوليو) ، ونقل بعض تحفها إلى أماكن أخرى ، وجَفَّت الحدائق ، وامتنعت الخيرات ، وأصبحت القبور في طريق الإهمال والاندثار ، كما زال واندثر غيرها وحُوِّل إلى مدافن للأعيان .

ولا شَكَّ أنَّ في بعض أو كل هؤلاء مَنْ هو قطعاً من أشراف أهل البيت وأعلامهم الذين نرجوا بإذن الله أن نعود إليهم ، رضي الله عنهم جميعاً ، في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن أراد الله .

(٥)
الشريف معاذ بن داود الحسيني

هو : السيد الصالح المعتقَد **الشريف معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الإمام الحسين رضي الله عنهم** .

توفي في ربيع الأول سنة مائتين وخمس وتسعين ، ودفن بضريحه بالقاهرة ، بالشَّارع المعروف باسمه في منطقة الدراسة المجاورة لمنطقة المشهد الحسيني ، على شمال القاصد إلى شارع صلاح سالم وشارع المنصورية .

وقد جَدَّدَ الفاطميون مسجده ، ثُمَّ اندثر أكثره ، فجَدَّدَه السلطان قايتباي ، نظراً لشيوع ذكره بالبركة ، ولكنه تهدم اليوم .

وقد حاولت العشيرة المحمدية ترميمه وإعادته إلى حالته الأولى ، وأن تجعل من موقعه مركزاً إسلامياً ومجمعاً ثقافياً وإنسانياً ، كما حاول غير واحد من أهل الصلاح ذلك ، والمأمول أن يتم هذا التجديد يوماً ما - إن شاء الله - بعد زوال العقبات ، وكان قد جَدَّدَه بعض الصَّالحين ودفن معه ، ولكنه أهمل بعد ذلك تماماً ، وهو في الطريق للضياع نهائياً ، إن لم يتداركه الله بلطفه .

(٦)
الشريف سعد الله بن الكامل

كان مشهوداً له بالخير والصلاح ، وهو : **سعد الله بن عبد الله الملقب بـ (المحض والكامل) بن حسن المثنى بن السيد حسن السبط بن الإمام عليّ** ، فهو أخو زينب المشهورة بـ (فاطمة النبوية) والمدفونة بالعباسية ، وهو أيضاً أخو السيد (إبراهيم الجواد) الذي دفن رأسه بمسجد التبر بالمطرية بمصر كما قَدَّمْنَا من قبل .

أمَّا السيد سعد الله فعاش بالقاهرة حتَّى توفي ؛ فدفن بمشهده بالدرب الأحمر ، في شارع معروف باسمه ، خلف مسجد (أبي حريبة) ، قريباً من منطقة السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين رضي الله عنها ، بالدرب الأحمر ، على مدخل (درب الدليل) الموصل للأزهر الشريف رضي الله عنه ، ويتعهده الأهالي .

(٧)

الشريفتان أم كلثوم وصفية

أولاً : الشريفة أم كلثوم بنت القاسم :

هي الصالحة الراجحة الشريفة **أم كلثوم بنت القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق** ، وهي أخت السيد يحيى الشبيه بالنَّبيِّ ، وأخت فاطمة العيناء ، وقد أسلفنا ذكرهما من قبل .

كانت أم كلثوم صَوَّامة قَوَّامة ، مستجابة الدعوة ، أقامت بمصر وماتت بها ، ودفنت بين مسجديْ الشَّافعي والليث ، قريباً من مشهد أخيها يحيى ثم قبر أختها العيناء ، رضي الله عنهم جميعاً .

ومن المؤسف إهمال قبور أهل البيت في هذه المنطقة وغيرها ، حتَّى لا يكاد يعرفها الآن إلا القليل النادر ، ويوشك أن تندثر كما اندثر الكثير من هذه المشاهد الكريمة . فلَعَلَّ الله أن يهيىء لها من أثرياء الأشراف ، ومن كرام المسلمين مَنْ يحافظ على ما بقي منها حتَّى تحافظ مصر على خصيصتها بحب آل البيت والحفاظ على آثارهم وتاريخهم .

ثانياً : الشريفة صفية بنت إسماعيل :

هي الزاهدة العابدة المعتقدة ، **السيدة صفية بنت إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن القاسم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام عليَّ رضي الله عنه** .

كانت طاهرة الأنفاس ، داعية إلى الله ، زاهدة في زخرف الدنيا ، رغم ما كانت عليه من الثراء ، وكانت كريمة معطاءة ، أقامت بمصر ،

وتوفيت ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلثمائة وثلاث وثمانين ، ودفنت بمنطقة الدرب الأحمر ، ويوجد قريباً من مشهدها مزاراً للشيخ الحموي أحد الصَّالحين .

ويقول بعض المؤرخين : إنَّ المزار والمسجد الأثري المعروف باسم (الملكة صفية) في هذه المنطقة هو للشريفة صفية بنت إسماعيل الحسنية رضي الله عنها ، والله أعلم بالحقيقة .

*. *. *

(٨)
السلطان الحسين أبو العلاء

هو العارف بالله : **الحسين أبو عليّ بن الحسن الأكبر** (هو السلطان حسن الأكبر الموجود مسجده في الشارع المعروف باسمه الآن في عابدين) **الملقب بالأنور بن السيد عليّ البدري، يصل نسبه إلى الإمام الحسين بن عليّ** .

ولد رضي الله عنه بمكة المكرمة في أواخر القرن الثامن الهجري ، ثُمَّ نزح من مكة إلى القاهرة ، ونزل بساحل النيل بأرض فضاء مملوءة بالبرك والبوص ، واتخذ خلوة ، فجاء النَّاس من كل فجٍّ وسكنوا بجواره ، حتَّى أصبحت منطقة شديدة الزحام (بولاق أبو العلا الآن) . وأصبحت الخلوة زاوية فمسجداً ، وألحق بها قبة دفن بها الشيخ أبو العلا بعد وفاته .

لم يسلم السلطان من الحاقدين الذين اتهموه بالسحر ، وحرضوا عليه الصبيان ليرموه بالحجارة ، وحاكموا عدداً كبيراً من تلاميذه ، ولكنه صمد وبلغ درجة عالية من المعرفة ، وأفاض الله عليه الكثير من أسراره .

وقد ذكر الشعراني في الطبقات أنَّه مكث في خلوته نحو أربعين سنة ، كما عدّ له كرامات كثيرة .

توفي سنة ٨٩٠ هجرية، الموافق ١٤٨٥م ، بعد أن قضي حياة امتدت مائة وعشرين عاماً قطعها في طاعة ربه وعبادته .

ويقام مولده السنوي في شهر ربيع الثاني من كل عام .

ويذكر الأستاذ حسام عبد ربه في مقاله الرمضاني سنة ١٤١٦ هـ بجريدة الأخبار : أنَّ مسجد السلطان قد شهد حوادث كثيرة عام ١٩٢٢م، وتحديداً في ١٣ يوليو ، سقط جزء من الإيوان الشرقي أثناء الاحتفال بمولده وراح ضحيته عدد من المصلين .

وفي عام ١٩٧٩م تسلل لص بعد منتصف الليل وسرق صندوق النذور من المقام ، وبه حوالي ٢٥٠ جنيهاً ، وقتل اثنين من عُمَّال المسجد ، وأثناء هروبه من الكورنيش صاح عليه النَّاس فتسمَّرت قدماه في الأرض حتَّى قبض عليه وتم إعدامه .

والمسجد يقوم على ٢٣ عموداً من الرخام ، والمنبر تحفة مصنوعة من خشب الساج الهندي المطعم بالسن ، ومما يزيد من أهمية المنبر اشتماله على اسم صانعه وهو (عليّ بن طنين) .

وهناك روايات تقول : إن المنبر قد تم تصنيعه في الهند ، وجاء إلى مصر بحراً من ميناء السويس ، وهو من مفاخر المنابر في عهد المماليك الجراكسة ، وسقف المسجد مطلي بماء الذهب ، وقبة السلطان أبو العلا من الخارج عادية ، ولكنَّها من الداخل غير عادية ، فقد نقشت بأنواع النقوش والزخارف .

ويضم ضريح السلطان أبو العلا خمسة من أجساد الصالحين هم :

(١) الشيخ عبيد أحد تلاميذ الشيخ المعاصرين له .

(٢) الشيخ أحمد الكحكي الزاهد أحد علماء التوحيد ، توفي بعد السلطان بأكثر من خمسين عاماً .

(٣) الشيخ مصطفي البولاقي .

(٤) الشيخ رمضان البولاقي .

(٥) الشيخ حكشة .

(٩)
محمد بن الحسين (ساعي البحر)

هو السيد الشريف : **أبو عبد الله محمد بن الحسين بن حمزة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن عليّ زين العابدين بن الإمام الحسين السبط** ، ويلقب بـ (ساعي البحر) كما أُطلِق عليه (أبو الشفقة) .

كان ورعاً تقياً ، اشتهر بين النَّاس بالصَّلاح ، ولتسميته بـ (ساعي البحر) قصة هي : أنَّ النيل توقف (انخفض منسوب مائه) في بعض السنين ، وأصبحت مصر مهدَّدة بالعطش والجوع ، فكان لفرط شفقته وعطفه على النَّاس يسعى على شاطىء النيل ويبكي ، ويدعو الله أن يفيض النهر على مصر بالماء ؛ ولذلك أيضاً اشتهر بـ (أبي الشفقة) .

ويذكر السخاوي في (تحفة الأحباب) أنَّه ظل يسأل أهل العلم والتاريخ عن الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

عنه إلى النيل إلى أن وجده ، فرأى عمر في نومه يأمره بإلقائه في النيل ، فألقاه فكانت أخصب سنة علي أهل مصر ؛ فلمَّا توفي (سنة ٣٣٠ هـ) دفنوه قريباً من البحر (يعني النيل كما هو شائع عند أهل مصر تسمية النيل بحراً) .

والآن : يقع ضريح (ساعي البحر) في شارع اكتسب اسمه ، أمام جزيرة الروضة مباشرة ، على بعد عدة أمتار من شاطئ النيل .

ومسجد وضريح (ساعي البحر) كغيره من أضرحة ومشاهد ومساجد أهل البيت في زماننا هذا ، فهو في حاجة إلى ترميم وإصلاح ، خاصَّة بعد زلزال (سنة ١٩٩٢م) ، الذي أصاب مئذنة المسجد بتشققات كثيرة .

(١٠)
بدر الدين الحسيني

إلى جانب قبر ابن القاسم (في مقبرة المالكية) من جهة القبلة في الركن قبر السيد الشريف بدر الدين أبي محمد حسن بن محمد بن عبد الله الحسيني ، الشهير بـ (العريان) ، له كرامات وخوارق ، وهذه التربة مشهورة به .

(١١)
محمد بن هاشم

ومشهد السيد **محمد بن هاشم بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين** ، قريب من مشهد السيدة آمنة ابنة موسى الكاظم ، وقد سبق ذكرها .

(١٢)

الأشراف بني تميم والجعفري

كان رفات كبار الأشراف ، وخلفاء الدولة الفاطمية ، مدفونة بالمقابر الخليفية في موضع (خان الخليلي) المعروف بمنطقة الحسين حتَّى أراد (جركس الخليلي) بناء الخان ، فنقل العظام من قبورها ، وألقى بها تحت سور القاهرة في سفح المقطم ، وقد جازاه الله فقتل شر قتلة ، وقد قام بعض النَّاس بدفن هذه العظام هناك ، وجعلوا لها قبراً متواضعاً حتَّى أظهرته مصلحة الآثار في أول إنشائها ، وكانت قد طغت عليه أتربة تلال البرقية بالدراسة غربي السور الأثري ، فجعلت له المصلحة تكسية حجرته لصد الأتربة عنه بعد أن حفرت في هذه الأتربة على عمق عدة أمتار ليظهر القبر ، وكان هذا أقل ما يجب لموتى خلفاء الدولة الفاطمية ، بما قدمت للإسلام .

وبقي النَّاس يزورون هذا القبر الذي اشتهر بينهم باسم (بني تميم) نسبة إلى جد المعز لدين الله الفاطمي ، حتَّى أزيلت التلال أخيراً ، وأنشىء شارع المنصورية بالدراسة فطمر المزار نهائياً ، ويكاد يكون موقعه الآن بأرض الدراسة الجزء الشرقي من أول شارع المنصورية ، مما يلي أرض بنك فيصل الإسلامي ، المقام عليها الآن محطة البنزين ، على ناصية ما كان يسمى بـ (حديقة الخالدين) ، ولهذ القبر ذكر في سجلات مصلحة الآثار ، ونحن نسجل ذلك لوجه الله والتاريخ .

وفي طرفي الشمال الغربي لحديقة الخالدين أنشىء مسجد ولي الله

الشيخ صالح الجعفري الإدريسي من علماء أهل البيت والصوفية الشرعيين المباركين ، ومن كبار دعاة الطريقة الإدريسية ، وأخيراً اعترفت مشيخة الطرق الصوفية بالطريقة الجعفرية الإدريسية ، وجعلت بداية المواكب المعتادة من مسجد الشيخ صالح بعد أن اعتذرت الحكومة عن بداية الموكب من مسجد السيدة أو الرفاعي أو غيرهما ، منعاً للتزاحم وصعوبة المرور في وسط العاصمة ، ونسجل أننا كُنَّا ممن بذل أكبر الجهد لإقناع المشيخة باعتماد الطريقة الجعفرية ، حسبة لله وخدمة للتصوف الشرعي الذي كنّا نعهده في الشيخ رحمه الله .

وهذا يذكرنا بكثير من الطرق الصوفية الجديدة التي جاهدنا في سبيل الاعتراف الرسمي بها ، ثُمَّ لم يعد يعرفنا اليوم من رجالها أحد .

(١٣)
أشراف منسيون

في منطقة السلطان برقوق ، وفي الحي المحصور بين شرقي هذا المسجد وغربي شارع الخاصة و (اوتوستراد) القاهرة ، يقع مسجد متواضع اشتهر باسم (مسجد أهل الله) ، وهو من المساجد التابعة للعشيرة المحمدية ، وبهذا المسجد مراقد عدد كبير من الأشراف المنسيين ، والأولياء الصالحين ، رجالاً ونساء ، ولأهل المنطقة وغيرهم فيهم عقيدة طيبة ، وهم يتناقلون عنهم الكرامات المختلفة ، ونرجو بإذن الله أن نعود إليهم بتفصيل موجز في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

كما نرجو أن نكتب بإذن الله عن قصة (المجمّع الإسلامي الكبير) ،

الذي أنشأته العشيرة المحمدية بالمواجهة الغربية من (منشية ناصر) على شريط السكة الحديد (الحربي) ، قريباً جداً من مطالع ومنازل كوبري الـ (اوتوستراد) بالقاهرة ، ففي هذه الكتابة تحقيقات وبيانات غاية في الأهمية ، بما تقدمه العشيرة من مجهودات كبرى لخدمة هذه المناطق الشعبية المهملة .

(١٤)
مخزن رفات الأولياء بالقاهرة

كثيراً ما وافقت الجهات المعنية على نقل رفات بعض أولياء الله من كبار الأشراف والعلماء والدعاة وغيرهم من مساجدهم ومشاهدهم لسبب أو لآخر ، مما هو مقبول أو مرفوض عند الله وعند النَّاس .

وربما كان لأصحاب هذا الرفات أوقاف خاصة أو كانت لهم أمجاد خالدة مما يطويه تلاحق الأيام والليالي ، وتنساه الأجيال بالتقادم أو بانعدام المعرفة .

وفي الموتى من قد حسن حظه وساء ، كالأحياء سواء بسواء .

وقد اختار المختصون بهذا الجانب قطعة أرض بين مساكن (الركيبة والسيوفية) بمنطقة الخليفة بالقاهرة كانت خراباً يباباً ، وحفروا بها قبراً جعلوه مستودعاً لهذا الرفات ، بلا تمييز ، ولا تعريف ، ولا تكريم ، ولا حقوق ، حتَّى ندب بعض الأهالي من الفقراء نفسه لخدمة هذا المكان ، ولكن بأسلوب شعبي متخم بالعيوب والمآخذ .

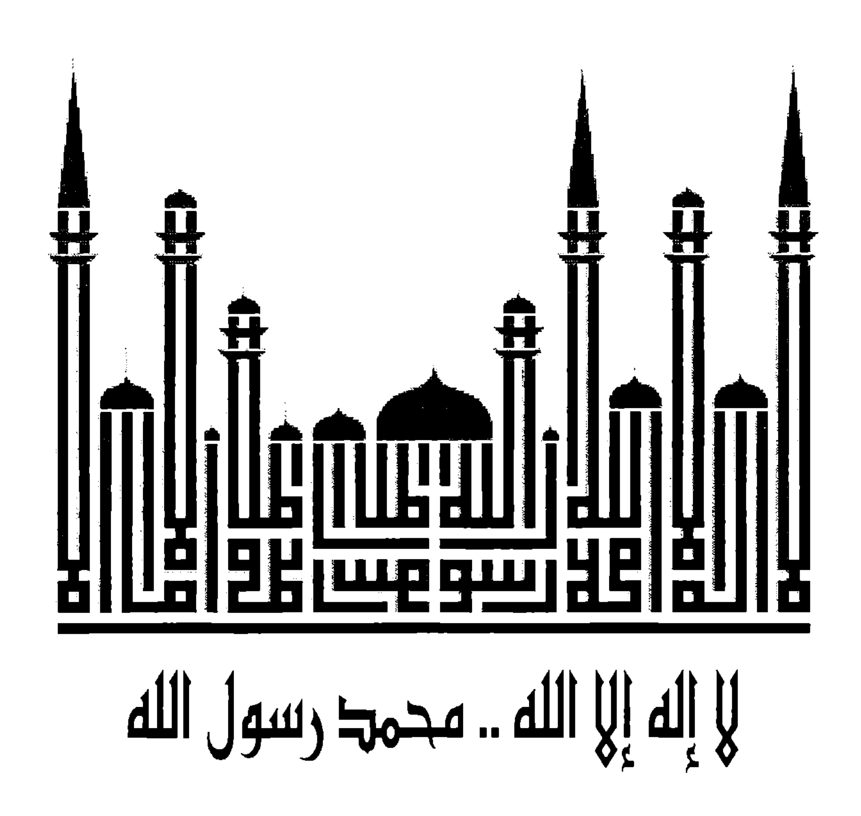
ونذكر أنَّ الجهات المعنية قديماً عند زيارة السلطان عبد العزيز لمصر حيث اضطروا لنقل بعض عظام (ترب المناصرة والعتبة ، وكوم الشيخ سلامة) ، لتخطيط شوارع مرور السلطان ، قدروا حقوق الموتى ، وخافوا الله فابتنوا لهم (مسجد العظام) القائم بشارع عبد العزيز الآن بالقاهرة ، ونقلوا الرفات إليه مكرماً .

وعند التوسعة القديمة لميدان أبي العَبَّاس المرسي رضي الله عنه بالإسكندرية أنشأوا للرفات مجمعاً متواضعاً حفظوا به بعض الحقوق والواجبات ، وإنْ كانت قد أدركته الفوضى والعبث في هذه الأيام ، فأصبح مستودعاً لعظام عدد كبير من كرام المسلمين .

فهل من أهل الخير الذين يتبرعون بـ (عشرات الألوف) من الجنيهات لبعض الجهات أن ينظر نظرة إنصاف وتقدير إلى هذا (المقلب) الذي تؤول إليه عظام كل من ساء حظه من السلف فقرروا هدم مشهده أو مسجده ، وألقوا به إلى هذا المخزن المُحزن ، وقد أمرنا الإسلام أن نحترم الموتى ونكرم عظامهم ، وخصوصاً أن لبعضهم أوقافاً كبرى ذات دخل عظيم .

وفي هذا المخزن كما قلنا : عظام طائفة من كبار الأشراف وغيرهم ، كان لهم ذكر كبير ومقام خطير (رفع الله درجاتهم عنده) ، وجازى كل من أساء إليهم بما هو أهله .

❊ . ❊ . ❊



الباب الحادي عشر
أحفاد طباطبا والسادات الوفائية

الباب الحادي عشر
أحفاد طباطبا والسادات الوفائية

أولاً : مشهد أولاد وأحفاد طباطبا

في شارع عين الصيرة ، يقع حوش طباطبا الأثري ، وفيه قد دفن أولاد وأحفاد طباطبا .

وطباطبا هو : **أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر الشهيد المقتول بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ ابن أبي طالب ، رضي الله عنهم .**

وقد نقل صاحب (درر الأصداف) ما نَصُّه : أنه لا خلاف عند علماء النسب في صحة هذا النسب .

ولقب الجدّ بـ (طباطبا) لرُتة كانت في لسانِه (أي : عُجمة ، وهي اللُّثغة والتردد في النطق) ، وكان يبدل القاف طاء .

ويحكي الخطيب البغدادي في تاريخه عند ترجمته لـ (طباطبا) : أنَّه لَّما قَدم بغداد في خلافة الرشيد ، سمع به ، فبعث إليه ، فظن أن أحداً قد وشى به ، فدخل على الرشيد ، فقام له وأجلسه إلى جانبه ، وحادثه ، فصار يظهر للرشيد من كلامه الخوف ، فقال : ما بك يا أبا إسحاق ؟ قال : روَّعني صاحب الطَّبا ، يعني الذي دعاه ، وكان عليه قبا فبّدل القاف طاءً ، فلقب بذلك الوقت (طباطبا) ، وقيل : بل طلب يوماً ثيابه ، فقال الغلام : أجيء بدراعة ؛ فقال : طبا طبا ، يعني : قبا قبا .

وأبو إسحاق إبراهيم (طباطبا) ، لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة ، وأمَّا من دفن بهذا المشهد فهم من ذريّته وذرية أخيه ، وأول من جاء مصر من أبناء (طباطبا) لصلبه : القاسم الرسي (نسبة إلى قرية من قرى المدينة كان يسكن بها) ، ولما وصل إلى مصر جلس بالجامع العتيق ، واجتمع النَّاس لسماع الحديث منه ، فحدّث ، وجمعوا له مالاً فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة ، وكانت له دعوة مستجابة .

قال العبيدلي : كان القاسم أبيض مقرون الحاجبين كثير الخضوع (أي لله) ، لا يتكلم إلاَّ بالقرآن والحديث ... وكان أكثر أهل زمانه علماً ، قيل : إنَّه عاد إلى الحجاز ومات بالرس سنة ٢٢٠ هـ .

● من دفن من أولاد طباطبا بالمشهد :

١- عليّ بن الحسن بن طباطبا :

كان له مكانة وجلالة ، بلغ ماله بعد موته ثلاثة قناطير من الذهب ونصفاً ، وسبعة قناطير من الفضة ، ومائة عبد ، ومائة أمة ، وكان قد أوصى بثلث ماله صدقة ، وقيل : نصف ماله . توفي سنة ٢٥٥هـ .

٢- أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا :

كان جليل القدر ، وله كلام رائق ، قيل أنه تصدق بجميع مال أبيه (المتقدم ذكره) حتَّى كان لا يجد ما ينفق ، فلمَّا بلغ أحمد بن طولون ذلك أعطاه قرية بمصر ، فكان يحمل إليه خراجها .

وكان من شأنه أن يشفع في النَّاس ، ويمشي في حوائجهم ، حتَّى قال

ابن زولاق : لم يكن بمصر فيمن نزل من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعياً في حوائج النَّاس منه .

٣- أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل بن طباطبا :

كان نقيب الطالبيين بمصر ، وكان من أكابر رؤسائها ، وله شعر مليح في الزهد وغيره ، ومن شعره :

لقد غرت الدنيا أناساً فأصبحوا
سكارى بلا عقل وما شربوا خمراً
وقد خدعتهم من زخارفها بما
غدوا منه في كرب وقد كابدوا ضرا

٤- عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن طباطبا :

قال ابن خلكان : المصري المولد والدار والوفاة والملحة ، وهو المعروف بـ (صاحب السيادة) ، كان صاحب رباع وضياع ، وله نعمة ظاهرة وعبيد وحاشية ، وكان مع هذا من الصالحين ، يقوم الليل ويصوم النَّهار ، كثير الصدقة والضحايا .

٥- أبو الحسن عليّ بن الحسن بن عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ ابن الحسن بن طباطبا :

يعرف بـ (صاحب الحوريّة) ، وذلك إنه رأى في المنام حورية فسألها : لمن أنت ؟ فقالت : لمن يعطي ثمني ، فقال : وما ثمنك ؟ قالت : مائة ختمة ، فقرأها ، وفرغ منها ، فرآها في المنام فقال لها : قد فعلت ما

أمَرْتني به ، فقالت له : يا شريف ، إنك ليلة غدٍ عندنا ، فأصبح وجهز نفسه ، وأعلمهم بموته ، فمات من يومه رضي الله عنه .

٦- أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن محمد بن أحمد ابن عليّ بن الحسن بن طباطبا :

هو : ولد (صاحب الحورية) ، وكان من الزُّهاد العُبَّاد .

قال رضي الله عنه : رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في المنام ، وحَدَّثه ... توفي سنة ٣٥٢ هـ ، وقيل : ٣٥٤هـ ، ومعه في قبره والدته ووالده المذكور آنفاً .

٧- أبو القاسم يحيى بن عليّ بن محمد بن جعفر بن عليّ بن الإمام الحسين بن الإمام عليّ :

وكان يحيى من كبار العلويين انتهت إليه الرئاسة في زمنه .

● ومن أولاد (طباطبا) بهذا المشهد غير من ذكرنا :

٨ - الحسن بن محمد بن أحمد بن القاسم الرَّسي بن طباطبا :

وهو من أحفاد القاسم الرسّي بن طباطبا ، وهو أول من أتى مصر من أولاد طباطبا ، ولكنه مات ودفن بالرس (قرية من قرى المدينة) .

٩ - عليّ بن الحسن بن طباطبا :

توفي رحمه الله في سنة ٣٤٨ هـ .

١٠- الحسن بن محمد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا .

١١ - بغا الكبير أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا .

١٢- بغا الصغير أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا .

١٣- أخو عبد الله بن طباطبا ، صغير ، توفي قبل وفاة أخيه في جمادى الأولى سنة ٣٣٣هـ ، وقبره تحت رجلي أخيه .

١٤- الأزرق الكبير : الحسن بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن الحسن ابن محمد بن طباطبا .

١٥- ولده عليّ بن الحسن (الأزرق الكبير) .

١٦- وولده أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسن (الأزرق الكبير) .

١٧- الأزرق الصغير : محمد بن عبد الله بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا .

١٨- محمد بن محمد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا .

١٩- ولده الحسين بن محمد .

● من دفن بمشهد (طباطبا) من إناثهم :

٢٠- السيدة خديجة ابنة محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا :

وكانت صالحة زاهدة عابدة ، زوجها عبد الله بن أحمد بن محمد بن

إسماعيل بن طباطبا (سبقت الترجمة له برقم ٤) ، وقبرها ترياق مجرب ، توفيت رضي الله عنها سنة ٣٢٠ هـ .

٢١- السيدة نفيسة ابنة عليّ بن الحسن بن إبراهيم .

٢٢- السيدة آمنة ابنة الحسن الأزرق بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن طباطبا . وهي أخت عليّ بن الحسن الأزرق .

٢٣- السيدة نفيسة ابنة عليّ بن الحسن الأزرق .

● من دفن بمشهد (طباطبا) من العلماء والصالحين :

٢٤- العبد الصالح فرج :

بجانب قبر صاحب الحورية قبر العبد الصالح فرج ، وكان عبداً لهم ، توفي قبل وفاتهم ، وكان إذا اشتد عليهم الأمر في شيء قالوا : « اللهم ببركة فرج فَرِّج عنَّا » فيفرج الله عنهم ببركته .

٢٥- ابن زولاق العالم المؤرخ :

أبو محمد الحسن بن إبراهيم الليثي المصري المعروف بـ(ابن زولاق)، كان فاضلاً في التاريخ ، وله فيه مصنف جيد ، وله كتاب في خطط مصر القديمة ، وكتاب (أخبار قضاة مصر) جعله دليلاً على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف الكندي في قضاة مصر . توفي ابن زولاق يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٣٨٧هـ .

٢٦- القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد :

المعروف بـ(ابن نصير)، وقيل : (ابن نصر) ولي القضاء سنة ٣٤٦ هـ،

وكان إماماً زاهداً عابدًا . توفي سنة ٣٦٩ هـ ، ودفن بهذه التربة المباركة ، ولـمَّا بلغ المعز لدين الله الفاطمي موته حزن وقال : رُفع الزهد من بعده رحمه الله تعالى .

وبهذا المشهد جماعة أخر من العلماء والصالحين ، والله أعلم [١] .

● **مأساة مشهد ذرية وأحفاد (طباطبا) :**

بعد أن استعرضنا معاً شيئاً من تاريخ ذرية طباطبا ، نعرض هنا ما آلت إليه قبورهم في عصرنا هذا :

كتب الأستاذ الصحفي حسام عبد ربه في مقاله اليومي (آل البيت في مصر) بجريدة الأخبار رمضان ١٤١٦هـ ، تحت عنوان (أولاد وأحفاد طباطبا غارقون في مياه الصرف الصحي !! ينسبون للحسن بن عليّ ، ويسميهم الأهالي : « السبعة الأطباء »...) :

أضرحة أهل بيت الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم غارقة في مياه الصرف الصحي منذ (٨ سنوات) بالتمام والكمال ، دون أن يحرك أحد ساكناً ، ارتفاع المياه كما شاهدنا يبلغ أكثر من نصف متر ، والدخول للأضرحة شبه مستحيل ... والمياه تُغرق أيضاً بقايا مسجد قديم كان مقاماً في نفس المكان ، ورغم كل هذا فإنَّ زوّار أهل بيت الرسول صَلَّى الله عليه

---

(١) تمَّ الاستعانة بالمراجع الآتية في تحقيق من دفن بمشهد طباطبا : « نور الأبصار » للشبلنجي ، و « مرشد الزوار » لموفق الدين ابن عثمان ، بتحقيق محمد فتحي أبو بكر ، و« الكواكب السيارة » لابن الزيات ، مع ملاحظة أنَّنا رجحنا الصواب فيما اختلفت فيه تلك المراجع ، على أوهام ظاهرة في بعضها .

وآله وسَلّم يأتون للمنطقة كثيراً ويقفون بعيداً وراء الأسوار الحديدية التي تحيط بالمكان ، ويقرأون الفاتحة والدموع تفر من أعينهم حزناً على مصير بقايا أهل البيت في مصر .

موقع هذه المأساة لمن يهمه الأمر هو مكان يقع في شارع عين الصيرة ، محاط بأسوار عالية ، وعليه يافطة مكتوب عليها : (حوش طباطبا الأثري)... وفي هذه البقعة مدفون أحفاد طباطبا الذين عاشوا في مصر ، وقدموا فيها النموذج الأمثل للأخلاق الإسلامية والميراث النبوي ، وكانت النهاية مع أحفاد التسعينيات الذين صبوا علي رؤوسهم مياه الصرف الصحي دون أن تهتز لهم شعرة ، أو يرتعش لهم قلب .

● **بحيرة راكدة :**

الموقع يحتوي في أحد جوانبه على ضريحين ، لكل واحد منهما قبة ، وكلاهما غارق في مياه الصرف ، والتشققات تكاد تلتهمهما ، واستمرار هذا الوضع كفيل بتهدم الأبنية تماماً ، وعلى جانبهما مجموعة من الأعمدة لبقايا مسجد غارق في المياه ، وتوجد مساحات واسعة للغاية تحيط ببقايا المسجد والضريحين ، والمشهد بأكمله لا تبدو منه الأرض نهائياً ، باستثناء قطعة صغيرة عند المدخل ، يجلس داخلها حارس المكان .

الحارس يتبع المجلس الأعلى للآثار ، ويقول : لست المسئول عن المكان هنا ، والمسئول الأول عن الحوش هو المشرف على المكان واسمه ...

سألته : ما هي حكاية هذه المياه ؟ .

يجيب : هذه المياه تغمر المكان منذ أكثر من (٨ سنوات) ، وهي مياه الصرف الخاصة بمساكن حي عين الصيرة ، والمفروض أنَّ مشروع الصرف الصحي لهذه المنطقة ينتهي إلى المنطقة الجبلية المحيطة بالمساكن ، ويبدو أن عيوباً أثرت على مواسير الصرف فتعطلت ، واتجهت المياه إلى الأراضي المنخفضة ومنها حوش « طباطبا » الأثري .

ثُمَّ يضيف الأستاذ حسام عبد ربه : وراء الحوش الأثري مشهد لا يسر عدواً ولا حبيباً : عشش صفيح ، وبقايا رماد فحم تغطي الأرض بأكملها ، وقبور متهدمة من تأثير هذه المياه . هذه المنطقة كانت منذ ثلاثين عاماً تضم (عيوناً لمياه جوفية) تشفي من آلام العظام والروماتيزم ، ولكن تلوث كل شيء الآن .

ثانياً : السادات الوفائية

بسفح المقطم بالقرب من ضريح ابن عطاء الله السكندري وضريح أبي السعود بن أبي العشائر (وهو غير أبي السعود الجارحي) شرقي مسجد الإمام الشافعي وسيدي عقبة (رضي الله عن الجميع) يوجد مسجد السادات الوفائية ، الذي يضم عدداً كبيراً من أضرحة السَّادة بني الوفا ، وقد أقيم المسجد مكان زاوية كانت تعرف باسم : (زاوية السَّادت أهل الوفا) تنفيذاً للفرمان الذي أصدره السلطان عبد الحميد سنة ١١٩١هـ .

وقد كان للسَّادة الوفائية زوايا تابعة لهم ، وجاء في كتاب : (بيت السَّادة الوفائية) ذكر زاويتين :

أولاهما : زاوية الرباط ، وكانت بناحية الخرنفش ، وكانت العادة قديماً أن من يتولى مشيخة السجادة الوفائية يتوجه إلى هذه الزاوية ، ويخرج منها في موكب حافل .

وقد تولى مشيخة هذه السجادة من آل وفا اثنان وعشرون خليفة هم على الترتيب :

(١) سيدي عليّ وفا .

(٢) أخوه أحمد وفا .

(٣) السيد أبو الفتح .

(٤) السيد أبو السيادات .

(٥) السيد شمس الدين محمد أبو المراحم .

(٦) السيد محب الدين أبو الفضل .

(٧) السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم .

(٨) السيد شمس الدين محمد أبو الفضل .

(٩) السيد برهان الدين أبو المكارم (وهو غير الخليفة السابع) .

(١٠) السيد شمس الدين محمد أبو الوفا .

(١١) زين الدين عبد الفتاح أبو الإكرام .

(١٢) السيد شرف الدين أبو اللطف .

(١٣) السيد زين الدين عبد الوهاب أبو التخصيص .

(١٤) السيد جمال الدين يوسف أبو الإرشاد .

(١٥) السيد شرف الدين عبد الخالق أبو الخير .

(١٦) السيد شمس الدين محمد أبو الإشراف .

(١٧) السيد مجد الدين محمد أبو الهادي .

(١٨) السيد شهاب الدين محمد أحمد أبو الإمداد .

(١٩) السيد شمس الدين محمد أبو الأنوار .

(٢٠) السيد أحمد أبو الإقبال .

(٢١) السيد أحمد أبو النصر .

(٢٢) السيد أحمد عبد الخالق السَّادات .

أمَّا ثاني هذه الزوايا التابعة لهذا البيت الكريم ، فهي الزاوية الكبرى التي بسفح المقطم ، التي بها أضرحتهم ، أقيم مكانها المسجد الذي يحمل اسمهم الآن .

وقد وصف المسجد معمارياً وتاريخياً الأستاذ عليّ مبارك في خططه ، والأستاذة سعاد ماهر في (مساجد مصر وأولياؤها الصالحون) .

ونحن نذكر هنا أشهر من دفن بالأضرحة الملحقة بالمسجد :

١ - سيدي محمد وفا رأس الوفائية ووالدهم بمصر :

هو : أبو الأنوار محمد بن محمد الأوسط بن محمد نجم ، (ومحمد الأوسط ووالده محمد نجم مدفونان بالزاوية النجمية بالإسكندرية) ، وينتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولد بمدينة الإسكندرية سنة ٧٠٢هـ ، ونشأ تقياً ورعاً محباً للعلم ، سلك طريق الأستاذ أبي الحسن الشاذلي على الإمام داود بن باخلاّ ، واجتمع بـ (ياقوت العرشي) ، وهو أول من عرف باسم (وفا) من هذه الأسرة المباركة ، وتجمع المراجع التاريخية على أنه سُمِّي وفا ، لأنَّ النيل توقف ، فلم يزد إلى أوان الوفا ، فدعا السيد محمد ، ربه فوفا النيل ، فلقبوه بـ (وفا) .

وهو من أكابر العارفين ، وله مؤلفات أكثرها ما زال مخطوطاً في المكتبة الأزهرية وفي دار الكتب المصرية .

ومن أهم كتبه : « نفائس العرفان من أنفاس الرحمن » ، وكتاب «مناهل الصفاء» ، وكتاب « الأزل » ، و « المقامات السنية المخصوص بها السَّادة الصوفية » ، وله ديوان شعر عظيم .

توجَّه محمد وفا إلى « إخميم » بصعيد مصر ، فتزوَّج بها ، وأنشأ بها زاوية كبيرة ، ووفد عليه النَّاس أفواجاً ، ثُمَّ سار إلى مصر ، وأقام بالروضة عاكفاً على العبادة ، مشتغلاً بذكر الله ، وطار حديثه إلى الآفاق .

توفي رضي الله عنه بالقاهرة سنة ٧٦٥هـ ؛ فهو رأس الوفائية ، وأول من دفن بهذا المكان (مسجد السَّادة الوفائية) منهم .

٢ - السيد عليّ وفا :

هو العالم العارف سيدي عليّ وفا ، بن سيدي محمد وفا ، ولد بالقاهرة (سنة ٧٥٩ هـ) . ولما توفي الشيخ محمد وفا ترك ولده عليّ وأخاه أحمد ، وكانا صغيرين في كفالة وصيهما تلميذه الشيخ محمد

الزيلعي ، ولـمَّا بلغ السيد عليّ من العمر سبعة عشر عاماً ، جلس مكان أبيه في زاويته ، ولبس منطقته ، فشاع ذكره في البلاد وكثر أتباعه ومريدوه، وقد كان رضي الله عنه في غاية الظرف والجمال ، (لم يُر في مصر أجمل منه وجهًا ولا ثياباً) ، وكان كثير الإقامة بمنزله بالروضة ، كثير التحجب ، هو وأخوه أحمد لا يخرجان إلا عند عمل الميعاد .

وله نظم شائع وموشحات رقيقة في أسرار أهل الطريقة .

ومن مؤلفاته : « الوصايا » ، و « الباعث على الخلاص في أحوال الخواص » ، و « الكوثر المترع من الأبحر الأربع » في الفقه ، و « المسامع الربانية » في التصوف ، و « مفاتيح الخزائن العلية » .

وهو أول من تولى مشيخة السجادة الوفائية ، ويقولون لشيخ السجادة : (الخليفة) ، وقد انفرد بيت السَّادات الوفائية بمنح الكُنى ، ابتداءً من السيد محمد وفا .

توفي الشيخ عليّ وفا رحمه الله بمنزله في الروضة في يوم الثلاثاء ، الثاني من ذي الحجة (سنة ٨٠٧ هـ) ، وجنازته ضمت خلقاً كثيراً ، لم تر القاهرة مثلها . ودفن مع والده السيد محمد وفا .

وقد ترك من الأولاد الذكور : أبو العَبَّاس أحمد ، وأبو الطيب محمد ، وأبو الطاهر محمد ، وأبو القاسم محمد ، ومن الإناث : حسنة ، ورحمة ، وضحى .

٣ - السيد أحمد وفا :

هو شقيق السيد عليّ وفا شهاب الدين أبو العَبَّاس أحمد وفا ، ولد بظاهر مصر (سنة ٧٥٦ هـ)، و نشأ على طريقة حسنة ، ملازماً للخلوة .

توفي (سنة ٨١٤ هـ) ، و دفن بالقرافة عند أبيه و أخيه .

٤ - السيد عبد الرحمن بن أحمد بن وفا :

هو : السيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن وفا ، الشهير بالشهيد، وُلد قبل السبعين والسبعمائة ، ونشأ على طريقة أبيه وعمه (أحمد وفا وعليّ وفا) ، مات غريقاً في النيل يوم عاشوراء ، قريباً من روضة مصر سنة ٨١٤ هـ، وغرق معه الفقيه الجمال محمد بن أحمد بن محمد الزبيري قاضي المالكية ، ويعرف بابن التنيسي .

٥ - أبو الفتح محمد بن وفا :

هو : السيد أبو الفتح (فتح الدين) محمد بن أحمد بن محمد وفا ، ثالث خلفاء آل الوفا ، ولد بمصر تقريباً (سنة ٧٧٠ هـ) ، وقال السخاوي : (سنة ٧٩٠ هـ) .

وكان يقول الشعر الحسن ، وتكلم على النَّاس بعد عمّه عليّ وفا .

قال السخاوي : وقد حضرت مجلسه ، وسمعت كلامه ، وكان له رونق ، ولكلامه عشاق .

مات بالروضة في يوم الإثنين مستهل شعبان (سنة ٨٥٢ هـ) ، ودفن بتربة جده ، وقد زاد على الستين ، وكانت جنازته مشهودة .

٦ - أبو السيادات يحيى :

ولد سنة ٧٩٨ هـ، و له شعر ، و تكلم على النَّاس ، ورزق القبول ، وهو الخليفة الرابع ، و مات سنة ٨٥٧ هـ ، ودفن معهم .

٧ - أبو المواهب محمد :

شمس الدين أبو المواهب محمد بن أبي الفضل محمد ، خلف عمه يحيى في المشيخة ، فهو الخليفة الخامس ، و كان يتكلم على النَّاس ، و لم يكن يظن به ذلك .

مات سنة ٨٦٧ هـ في الروضة بين البحرين ، و دفن مع أجداده في زاوية أهل الوفا .

٨ - محب الدين أبو الفضل محمد :

محب الدين أبو الفضل محمد المجذوب ، كان شديد الذكاء ، خلف والده في التكلم والمشيخة (الخليفة السَّادس) ، ودفن مع أجداده .

٩ - برهان الدين إبراهيم أبو المكارم :

الخليفة السابع برهان الدين أبو المكارم إبراهيم بن محب الدين محمد المجذوب ، ولد حدود ٨٧٠ هـ ، ونشأفي كنف أبيه ، واستقر في المشيخة بعد أبيه ، ومات في أوائل القرن العاشر .

١٠ - أبو الفضل محمد بن أبي المكارم :

خلف والده في المشيخة ، وله مفاخر ومآثر ، مات سنة نيف وأربعين وتسعمائة ، يوم الجمعة في المشهد حال جلوسه بعد صلاة الصبح ، ودفن مع أسلافه ، وصَلَّى عليه بمكة صلاة الغائب .

١١ - البرهان أبو المكارم إبراهيم :

الخليفة التاسع برهان الدين أبو المكارم إبراهيم ، وهو حفيد الخليفة السابع على عادة أسلافه في تكرار الأسماء والألقاب والكنى ، ولد في حدود ٩٢٠ هـ ، وقام مقام أبيه مع فطنته ونباهته وعلو همته ، حج سنة ٩٤٩هـ ، ومات سنة ٩٦٦هـ ، وقيل ٩٦٨ هـ ، ودفن مع أجداده .

١٢ - أبو الفضل محمد :

الخليفة العاشر شمس الدين أبو الفضل محمد بن الخليفة التاسع ، خلف أبيه في المشيخة ، فكان على قدم عظيم ، ذو تواضع عميم ، وكان يحث عليه ، وتوفي سنة ١٠٠٨هـ ، في حياة أخيه ، وهو والد أبي الإسعاد ، وأبي المكارم ، وأبي الإشراق .

١٣ - أبو المكارم عبد الفتاح :

أبو المكارم ، ويقال : أبو الإكرام ، عبد الفتاح بن أبي العطاء عبدالرزاق ، هو الخليفة الحادي عشر ، ولد في سنة ١٠٠٣ هـ ، وخلف عمه أبو الفضل محمد في المشيخة بإشارة منه . مات ليلة الجمعة الحادي عشر من ذي الحجة سنة ١٠٥٤ هـ بمصر القديمة ، ودفن بزاويتهم مع أجداده .

١٤ - أبو الإسعاد يوسف بن أبي عطا :

هو أبو الإسعاد يوسف بن أبي العطا عبد الرزاق بن أبي المكارم بن إبراهيم بن وفا ، أخو أبو المكارم ، ولد سنة ٩٩٣ه ، أو ٩٩٤ه ، وأنفق عمره في طاعة الله .

وكان كثير الحج يحج عاماً ويقيم عاماً ، وزار القدس والخليل ، وحج سنة ١٠٥٠هـ، وحج معه جمع كثير من الفضلاء ، واجتمع في مكة مع الشيخ تاج الدين العثماني رئيس الطائفة النقشبندية ، وأخذ كل منهما على الآخر ، وله مؤلفات منها « شرح رسالة الشيخ أبي بكر بن سالم المسماة بنور الحديقة » ، وله ديوان شعر جليل ، وغير ذلك من المؤلفات .

وكانت وفاته ليلة الأحد ، سلخ صفر (سنة ١٠٥١هـ) ، ودفن بتربة أجداده .

١٥ - أبو اللطف يحيى :

هو : السيد شرف الدين يحيى أبو اللطف بن أمين الدين أبي الإشراق ابن أبي العطاء ، الخليفة الثاني عشر من آل الوفا ، خلف عمه أبي الإكرام في المشيخة والتكلم ، وانقادت له الدولة ، وكان يخرج لزواره حاملاً القهوة والفطور بيده ، وكان يتبرك به ، وكانت وفاته سنة ١٠٦٧هـ .

١٦ - أبو الحسن عليّ بن أبي الإسعاد يوسف :

أخو أبو التخصيص عبد الوهاب ، ولد سنة ألف وأربعين هجرية ، كان مكباً على القرآن والعلم والذكر ، حج مراراً ، وزار القدس ، توفي سنة ١٠٨٩هـ بالمدينة المنورة ، ودفن بالبقيع بالقرب من الإمام مالك (فهو ليس مدفوناً في زاوية أهل الوفا بمصر) .

١٧ - أبو الفضل محمد بن أبي الإكرام :

هو : أبو الفضل محمد بن أبي الإكرام عبد الفتاح بن أبي العطا ، ولد

في بضع وأربعين وألف ، كان أبيضاً وسيماً ربعة ، ذا جود وإنعام وتواضع . توفي في (سنة ١٠٨٤ هـ) ، ودفن بالزاوية ، ولم يعقب .

١٨ - أبو العطاء عبد الرازق بن أبي الإكرام :

أبو العطاء عبد الرازق بن أبي الإكرام شقيق أبي الفضل محمد السابق ، ولد في بضع وأربعين وألف ، وكان حسن الشمائل كثير الفضائل ، متواضعاً كثير العبادة ، ومات سنة ١٠٩٥هـ ، ودفن بالزاوية مع أجداده .

١٩ - أبو التخصيص عبد الوهاب :

هو : السيد زين الدين عبد الوهاب أبو التخصيص بن أبي الإسعاد يوسف بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا ، ولد في ذي القعدة ١٠٣٠هـ ، وكان لوالده اعتناء به كثير ، حج معه ، وكان يدعو له تجاه الكعبة وتجاه القبر الشريف ، وكان إذا عقد درساً حضره أكابر العلماء في منزله ، وله ديوان شعر عظيم ، وخلف ابن عمه الشيخ أبا اللطف يحيى ، فكان الخليفة الثالث عشر من أهل وفا ، وكانت له كرامات ظاهرة ، وتوفي في الثامن من رجب (سنة ١٠٩٨هـ) .

٢٠ - أبو الإرشاد يوسف :

هو : الشيخ يوسف بن عبد الوهاب أبي التخصيص بن يوسف بن عبدالرازق بن وفا ، خلف والده في المشيخة ، وهو الخليفة الرابع عشر من آل وفا ، وكان من أهل الكشف والزهد في الدنيا ، وكان كريماً وذا حشمة زائدة ، وتوفي في الحادي والعشرين من المحرم سنة ١١١٣هـ ، وكان رحمه الله تعالى أجل أولاد أبيه .

٢١ - أبو الخير عبد الخالق بن أبي التخصيص :

هو : السيد عبد الخالق أبو الخير بن عبد الوهاب أبي التخصيص بن يوسف بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا ، خلف في المشيخة أخاه أبا الإرشاد ، عمّر طويلاً حتَّى ألحق الأحفاد بالأجداد ، ولقد تلقى عنه أكابر العلماء وأحبوه ، ولم يزل على سيرة حميدة حتَّى لبى مولاه في ثاني عشر من ذي الحجة سنة ١١٦١هـ ، ودفن عند آبائه في زاوية أهل الوفا .

٢٢ - أبو الإشراق محمد بن أبي الإرشاد :

هو : أبو الإشراق محمد بن أبي الإرشاد يوسف بن أبي التخصيص عبد الوهاب ، ولد في اليوم الذي توفي فيه أبوه ، ولما توفي عمه عبدالخالق أبو الخير في سنة ١١٦١هـ خلفه في المشيخة والتكلم ، وهو الخليفة السَّادس عشر ، توفي في سادس جمادى الأولى سنة ١١٧١هـ، وحمل إلى الزاوية فدفن عند عمه .

٢٣ - مجد الدين أبو الهادي :

هو : السيد مجد الدين أبو هادي محمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب بن يوسف بن عبد الرازق بن وفا .

ولد تقريباً في حدود سنة ١١٥٢هـ ، ومات والده وهو طفل ، وقد خلف والده أبا الإشراق في المشيخة والتكلم في السابع من جمادى الأولى سنة ١١٧١هـ ، وتولى نقابة السَّادة الأشراف ، وساس فيها أحسن سياسة ، ولم يزل على أمر جميل حتَّى لبَّى مولاه صبح الخميس في الخامس من ربيع الأول سنة ١١٧٦هـ، ودفن في الزاوية الوفائية مع أجداده .

٢٤ - **شهاب الدين أحمد أبو الإمداد :**

هو : شهاب الدين أحمد أبو الإمداد بن وفا ، خلف ابن عمه محمد أبا هادي في المشيخة والتكلم ، وولي نقابة السَّادة الأشراف بمصر ، وتوفي في الثامن من محرم سنة ١١٨٢هـ، ودفن في الزاوية .

وهذا آخر مَنْ تيسر لنا ذكر ترجمته من (السَّادة بني الوفا) ممن دفن بهذه الزاوية التي بالمقطم ، والتي أقيم مكانها مسجد يحمل اسمهم الآن ، ويضم أضرحتهم ، ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع أروقة دفن بها السَّادة أهل الوفا .

وما ذكرناه هو خلاصة ما ذكره السيد محمد توفيق البكري في كتابه (بيت السَّادة الوفائية) ، وعليّ مبارك في خططه ، وسعاد ماهر في (مساجد مصر) ، والسخاوي في (الضوء اللامع) ، والسخاوي الحنفي في (تحفة الأحباب) ، ومحمد فتحي أبو بكر في ذيل كتاب (مرشد الزوار إلى قبور الأبرار) .

وقد قال الأخير : ولا يزال هذا المسجد قائماً ، وتؤدى فيه الشعائر ، غير أن بعض التصدعات التي حدثت في سقفه نتيجة للزلزال الذي حدث في القاهرة (يعني الزلزال الكبير الذي حدث في مصر في الثاني عشر من أكتوبر سنة ١٩٩٢م) .

كما نالت منه (مسجد السَّادة الوفائية) يد الزمن ، فتهدمت ما به من الخلاوي ... وإن بقيت أبوابها قائمة دليلاً عليها ، ولا تزال المباني التي بجوار المسجد وداخل السور الخارجي قائمة حتَّى الآن ، ويقيم بها المهتمون بشئون هذا المسجد ، هذا وتقوم مصلحة الآثار الآن بترميم هذه التصدعات وإصلاح ما أفسده الدهر بهذا المسجد .

الباب الثاني عشر
ذرية الإمام جعفر الصادق

شرفت مصر (القاهرة) بعدد كبير من ذرية الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

والإمام جعفر الصادق هو : الإمام الرابع من الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة الإمامية والجعفرية ، وكان يلقب بـ (الفاضل) و (الطاهر) إلى جانب تلقيبه بـ (الصادق) ، وجده لأمه هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

تتلمذ الصادق على يد والده محمد الباقر (الذي لقب بالباقر لبقره العلم ومعرفته بخفاياه) ، وقد بلغ الصادق في العلم مبلغاً كبيراً ، وتلميذه جابر بن حيان الكوفي الصوفي (العالم العربي المشهور) نقل عنه الكثير من علومه ومعارفه ، وللأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة كتاب (الإمام جعفر الصادق) دراسة عن حياته وفقهه وعلومه .

توفي رحمه الله (عام ١٤٨ هـ) ، ودفن في البقيع بالمدينة المنورة ، وقد ترك رحمه الله ذرية كثيرة طيبة صالحة ، منهم : (الإمام موسى الكاظم ، والسيدة عائشة دفينة مصر ، ومحمد المأمون ، والعباسي ، وعبد الله ، وعليّ ، وإسحاق المؤتمن زوج السيدة نفيسة الصغرى بنت الحسن الأنور ، وإسماعيل ، والقاسم) .

ولبعض هؤلاء السَّادة عقب طيب مبارك ، آوى إلى مصر الآمنة (ابتعاداً عن اضطهاد العباسيين وغيرهم لآل البيت) ؛ فممن اشتهرت مزاراتهم من ذرية الإمام جعفر الصادق بالقاهرة :

١ - السيدة عائشة بنت جعفر الصادق :

وهي أشهر ذريته بمصر ، مسجدها ومشهدها مشهور يزار ، قريباً من (القلعة) في منطقة تسمى باسمها ، توفيت (سنة ١٤٥هـ) ، وقد سبق ترجمتها في هذا الكتاب .

٢ - الشريف المعصوم :

وبتربة السيدة عائشة رضي الله عنها كما يذكر السخاوي قبر الشريف : المعصوم بن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، دخل مصر في أيام (الصالح طلائع بن رزيك) ، وكانت له منزلة عند الفاطميين ، حتَّى إنهم كانوا يأتون لزيارته صباحاً ومساء .

وكان يقول : إنّي أعجب من مذنب ، كيف تستقر قدماه على الأرض .

٣ - السيدة آمنة بنت موسى الكاظم :

حفيدة الإمام جعفر الصادق ، وقد سبق ذكرها .

٤ - القاسم الطيب :

هو السيد الشريف الإمام العالم : القاسم الطيب بن محمد المأمون (الملقب بالديباج) بن الإمام جعفر الصادق .

وهو والد السيد (يحيى الشبيه بالنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم) ، ووالد السيدة (أم كلثوم بنت القاسم) ، ومشهده قريب من مشهدها ، وقريب منهما مشهد (يحيى الشبيه) .

وكان القاسم الطيب من عباد الله الصالحين الأخيار ، من أحفظ النَّاس لحديث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، كُتبتْ عنه أربعمائة محبرة .

قال الرازي : وأولاده يعرفون بـ (الطيارة)، ويعرفون أيضاً بـ(الكلثميين) .

وقد ذكروا أنَّه كان بمكة يدعو الله تعالى وقد اقشعر جسده ، فقالوا له : ما هذا ؟ ، فقال : إنِّي لأستحي أن أدعوه تعالى بلسان ما أديت به حق شكره . ومناقبه رحمه الله كثيرة .

ويتكون ضريحه من حجرة مربعة تعلوها قبة تقوم على ثمانية أضلاع ، وبالمكان ثلاثة محاريب ، وشاهد القبر غاية في البساطة وقد أهمل المكان ، بل وتحول إلى مقبرة عامة ، مفاتيحها في يد (تربي) ، ولا يكاد يعرف هذا القبر أحد إلا من يقصده من الباحثين والزوار .

٥ - يحيى الشبيه بالنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم :

يحيى الشبيه بن القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق . سبق ذكره .

٦ - عبد الله بن القاسم الطيب :

هو : أخو يحيى الشبيه ، ومدفون معه بنفس المشهد ، قبره في وسط القبة ، وعند وسطه لوح رخام فيه نسبه ، كانت وفاته يوم الإثنين لثلاث

عشرة ليلة خلون من شهر رمضان (سنة ٢٦١ هـ) ، وكان تلو أخيه في العبادة والخير ، والعفة والصلاح ، وهم معروفون بإجابة الدعاء .

٧ - الحسن والمحسن :

قال بعض مشايخ الزوار : إنهما ابنا القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق . وقيل : هما أخوا السيدة عائشة بنت جعفر الصادق ، (والراجح عندنا الأول) .

٨ - كلثم العربية :

كلثم (ويقال : كلثوم ، وأم كلثوم) بنت القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق ، سبق ذكرها .

٩ - محمد بن القاسم الطيب :

هو : أبو عبد الله محمد بن القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق ، ومشهده بجوار مشهد الحسن والمحسن ، وهو مشهد لطيف على هيئة مصطبة .

١٠ - عليّ بن عبد الله بن القاسم الطيب :

عليّ بن عبد الله بن القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصَّادق ، مشهده قريب من مشهد السيدة آمنة بنت موسى الكاظم ، وهو من أهل الصَّلاح والدين ، ومشهده جليل القدر ، أمر ببنائه الظافر الفاطمي ، وكان يحمل إليه شيئاً كثيراً من النذور .

قيل : كانت وفاته سنة (٣٢٥هـ) .

١١ - فاطمة بنت عليّ الرضا :

فاطمة بنت عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، تقدم ذكرها في الفاطمات .

١٢ - الشريف هاشم بن الحسين :

هو : السيد الشريف هاشم بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عليّ ابن محمد بن عليّ بن إسماعيل بن الأعرج بن جعفر الصَّادق (المعروف في طبقات الأشراف بالهاشمي) ، وهو إمام جليل القدر وسيرته تغني عن الإطناب في مناقبه ، ومعه في تربته قبر ولده (محمد الهاشمي) ، وقريباً منه من الناحية البحرية قبر السيدة زينب ابنة السيد هاشم .

١٣ - رجل من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق :

مشهده بجوار مشاهدهم ، ذكره السخاوي .

١٤ - زينب الكلثمية :

زينب الكلثمية من ذرية القاسم الطيب بن محمد ، تقدم ذكرها في الزينبات .

١٥ - مشهد ذرية جعفر الصادق :

يقع هذا الضريح في شارع الصنادقية ، والذي يعد من أهم الشوارع التجارية في قلب القاهرة ، ويصل ما بين شارع المعز لدين الله الفاطمي وميدان الإمام الحسين . يطلق الأهالي على الضريح تجاوزاً اسم (جعفر الصادق) ، وهي تسمية خاطئة كما يقول الدكتور فهمي عبد العليم رئيس

قطاع الآثار الإسلامية بالمجلس الأعلى للآثار ، لأن الإمام جعفر الصادق دفن في البقيع بالمدينة المنورة ، وتوجد لوحة تأسيسية على بوابة الضريح تشير إلى أن المدفون في المكان من ذرية جعفر الصادق ، واللوحة مكتوبة بالخط الكوفي ، ولا توجد أي مصادر تاريخية تحدد صاحب الضريح بدقة ، ولكن الصلة بـ (جعفر الصادق) موثقة ومؤكدة .

... المكان عبارة عن منزل عتيق ، يتكون من دورين ، المدخل عبارة عن ردهة صغيرة جداً ، تدفعك إلى داخل المقام الذي يبدو ضيقاً للغاية ، وفي الدور العلوي توجد دورة مياه ، ويحتاج هذا الطابق إلى ترميم عاجل ، وكان في الماضي كتاب لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال ...

وتشير حجج الأوقاف التي يتداولها الأهالي إلى أن ضريح ذرية جعفر الصادق ، كان واقعاً تحت نظارة الخديو إسماعيل ، وهو ما يدلُّ على شدة الاهتمام بالمكان والعناية به [١] .

* . * . *

---

(١) من مقال كتبه الأستاذ حسام عبد ربه (آل البيت في مصر) بالصحيفة الدينية بجريدة الأخبار رمضان ١٤١٦ هـ .

الباب الثالث عشر
نقابـة الأشـراف
والعمامـة الخضـراء

---

* أولاً : نقابة الأشراف وتاريخها .
* ثانياً : العمامة الخضراء .
* ثالثاً : الشرف المزور والشرف الصحيح .

أولاً : نقابة الأشراف وتاريخها :

كانت (نقابة الأشراف) في مصر من أرفع الرتب الروحية ، منذ العهد الفاطمي ، وكان نقيب الأشراف هو الخليفة والسلطان ، وكان للأشراف أوقاف بمصر واسعة مترامية متزايدة ، على مر العصور ، وكان أكثرها في حكم المماليك والأتراك ، وكان لنقيب الأشراف صولة ومقام يلي مشيخة الإسلام مساوياً لشيخ لمشايخ الصوفية الذي قد يجمع في بعض الأحيان بين النقابة والمشيخة ، وكان للأشراف مكانة كبرى عند الجماهير ، قد لا تدانيها مكانة أخرى على الإطلاق ، وكان للنقيب نواب عنه في المدائن والقرى .

وقد اشتهر من نقباء الأشراف في العهد الأخير (السيد عمر مكرم) ، وبعده جمع الشيخ (توفيق البكري) في فترة ما ، بين النقابة والمشيخة ، ثم انتقلت النقابة إلى بيت (الببلاوي) ، حتَّى ألغيت النقابة بعد ثورة (٢٣

يوليو) فيما ألغي للتسوية والتقريب بين الطبقات ، ولأن النسب من حيث هو لا يغني عند الله شيئاً فالقانون الإلهي : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ سواء في ذلك الأشراف والأطراف ، وإن كان لصالحي أهل البيت المقام الأوفى في الكتاب والسنة ، كما قدمنا في أول هذا الكتاب .

وقد حاول رجال إعادة النقابة رسمياً ، فلم يستجب لهم ، فأقام بعضهم نفسه نقيباً بمصر ، وجعل يمارس ما استطاع من عمل النقابة في بعض أحياء القاهرة ، وجعل له وكلاء في الوجه البحري والقبلي ، حيث كانت تباع (النسبة) للأشراف بأي ثمن مادي، فلم يبق للأشراف وزنهم القديم .

ولعله كان لو اجتمعت البيوت الشريفة الكبرى ، ووضع رجالها قانوناً إيجابياً لمصلحة الأشراف وخدمة الوطن والإسلام ، ممثلاً في أعمال ثقافية واجتماعية ، وإنسانية وتعاونية وغيرها ، ضمن التقاليد الموروثة ، ثم شكلوا هيئة من الشخصيات الطيبة للعمل تحت مظلة القانون ، فربما كان هذا مدخلاً لإعادة تجميع الشمل على أهداف كريمة ، يرجى بعدها إعادة مجد النقابة ، والاعتراف الرسمي بها مرة أخري ، على أساس عملي قانوني رشيد .

ولكن الله أراد أن تعود الدولة إلى الاعتراف بـ(نقابة الأشراف) ، لسبب أو لآخر فعينت السيد الشريف المرحوم (محمود كامل يس) نقيباً للأشراف ، حتَّى إذا توفي رحمه الله عينت أخاه السيد (أحمد كامل يس) نقيباً ، ونرجو أن يحقق الله على يديه ما يرتقي بشرف (نقابة الأشراف) ويهيئها لخدمة الإسلام والمسلمين ، وبخاصة البيت النبوي .

ثانياً : العمامة الخضراء :

لم يكن من شأن الأشراف منذ عهد النبوة الامتياز بشعار معين ، أو لباس خاص ، اكتفاء في الدلالة عليهم بالعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، وتمثيلهم لمكارم الأخلاق ، وتمسكهم بالتعارف والتعاون والعمل والإنتاج .

حتَّى كانت أيام السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، فأراد أن يوسع نطاق شعبيته ، وأن يحيط نفسه بتجمع جماهيري فاضل ، فلم يجد إلاّ أن يتقرب إلى الأشراف ، ويتحبب عن طريقهم إلى النَّاس ، فخصهم بما زعم أنه يرضيهم ، ومن ذلك أنه خصهم بلبس العمامة الخضراء [1] ، والاهتمام بتسجيل الأنساب ... إلخ ؛ ليكون لهم ميزة وخصيصة .

ويقول الشيخ العدوي في كتابه (مشارق الأنوار) ما ملخصه :

إنَّ العلماء في وقتها اعتبروا هذه العمامة بدعة كريهة ، لما فيها من الإشعار بالفخر والفضل ، الأمر الذي يجر إلى الرياء والسمعة الخيلاء ، والشرك الخفي ، وحبوط العمل ، مما يجب أن يترفع عنه الشريف الصادق، ولذلك قال الشاعر :

---

(١) ومن قبل كان العباسيون قد اتخذوا السواد من اللباس والعمائم شعاراً لهم ودليلاً على دولتهم ، فلعلَّ تخصيص السلطان شعبان الأشراف باللباس الأخضر والعمامة الخضراء من هذا الباب . والله أعلم .

جـــعلوا لأبنـاء النَّبيِّ عـــلامـــة

إن العــلامـة شــأن من لـم يُشــهَـر ! !

نـور النبـــوة في وضـيء وجـــوههم

يغني الشـريف عن الطراز الأخـضـر

أمَّا نحن فمع هذا نقول عن العمامة الخضراء : إن لبسها النَّاس على أنها عادة مجردة من المكاره الشرعية ؛ فالمرجو ألاّ ينسحب عليها حكم البدعة الممنوعة ، من باب التيسير ، وإلا فتركها أحوط وأحكم وأقوم وأكرم . أمَّا إذا لبسها للتعالي والتباهي ، ونحو ذلك ، فيمتنع لبسها أو يحرم .

ثالثاً : الشرف المزور والشرف الصحيح :

مصر من الأقطار التي تزخر بالأشراف الموصولة أنسابهم حقيقة بسيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ومنهم عدد كبير من أصحاب الأضرحة الشهيرة ، ثم من العائلات الكريمة ، والرجال الأكابر ، والسَّادة الأماثل ، سواء بالقاهرة أو الأقاليم (قبلي وبحري) .

ويوشك أن يكون كل مشايخ الطرق الصوفية وكبار أئمتها ومؤسسيها القدامى والمحدثين من النسل النبوي الشريف ، ولله الحمد .

ولهذا ؛ فإننا نسأل الله تعالى التوفيق إلى إخراج الجزء الثاني من هذا الكتاب شاملاً التعريف بأولياء أهل البيت في خارج القاهرة ، ومشيراً إلى الأسرات والشخصيات الشريفة في مختلف المحافظات المصرية من الأحياء والمنتقلين إلى الرفيق الأعلى .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن عدداً من النَّاس استحدثوا لهم أنساباً مزوّرة من هنا وهناك ، وإذن فليس كل حاملي وثائق أو قسائم النقابة أو (السراكي) هم من صحيح الأشراف ، ولا كل من لم يهتم بذلك يكون من الأطراف ، فكم من شريف أصيل بحق ، لا اهتمام له بتلك المظهريات؛ لما يرى في مختلف أحوالها مما لا يرضي الله ولا الرسول .

وفي الأثر : « **لعن الله الداخل فينا بالزور من غير نسب ، والخارج منا بالمعصية من غير سبب** » ، فكيف إذا كان السبب تجارياً أو نفسياً ، أو نحوه، وسركي النقابة لا يدخل صاحبه الجنّة ، ولا يمنعه من النار ، ولا يجلب له الغني ، ولا يمنعه من الفقر .

إنَّ الشرف الحقيقي عند أهل القبلة هو : التقوى والاعتصام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً وحالاً [1] . وتأمل قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : «**سلمان منا أهل البيت**» ، والله تعالى يقول : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ ، فلم يذكر قربى ولا نسباً جسدياً ، بل ذكر الإيمان ، وفي القرآن

---

(١) لذلك يجب على الشريف أن يكون أهلاً للانتساب إلى سيد الخلق صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، في أقواله وأفعاله وأحواله ، وإنما حب المسلمين لأهل البيت النبوي أن يأخذوا بأيديهم إلى ما فيه الخير ، وقد ورد ما يفيد حرمة عمل (أهل البيت) في الحرف الدنية والأعمال المزرية ، كما حرمت عليهم الصدقات ، فيا ليت نقابة الأشراف وكبار أهل البيت في العالم الإسلامي يسعون جاهدين لتعليم وتثقيف كل منتسب لأهل البيت ورعايتهم دينياً واجتماعياً وثقافياً ، والنهوض بهم ، خصوصاً بعد أن وصل الحال ببعض المنتسبين إلى أمور خطيرة ؛ فوجدنا منهم من يقول بعدم وجوب الصَّلاة عليهم لأنَّ النَّاس تُصَلِّي عليهم في الصلاة ، ومنهم للأسف من قبل الدنية وسعى وراء الجاه والدنيا والشهرة . . إلخ .

الكريم : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ، فالشريف الحق من وقف عند حدود الله ، واعتصم بطاعة الله ورسوله ، وفي الحديث يقول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لأهل بيته : « **اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئاً** » .

والخلاصة : إنَّ هذا الفضل والشرف إنَّما يكون لمن يعطي النسب حقه من الطاعة والاستقامة طوق الجهد ، أمَّا من يُسرف على نفسه ويتابع شيطانه ، ويعصي مولاه اعتماداً على هذا النسب فلسوف لا ينفعه سبب ولا صهر ولا نسب ، فهو عارٌ في جبين أهل البيت ، وهو من أهل حديث الصحيحين حين صعد النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم (الصفا) ونادى بطون قريش بطنًا بطنًا فقال لهم :

« **يا بني كعب بن لؤي ، أنقذوا أنفسكم من النار ، لا أغني عنكم من الله شيئًا ، يا بني مرة بن كعب . . يا... ، يا...**» ، إلى أن قال : « **يا صفية عمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم انقذي نفسك من النار ، لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ ، أنقذي نفسك من النار لا أغني عنك من الله شيئًا** » .

وقد أوصى النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أهله وأمرهم فقال ما مجمله : « **لا يأتي النَّاس يوم القيامة بالأعمال وتأتون بالأقوال ، تنادون : يا محمداه . . يا محمداه . . فأشيح بوجهي هكذا وهكذا** » [1] .

---

(١) وفي الباب آثار كثيرة ، منها : « **من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه** » ، و « **إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء . . لينتهين قوم عن فخرهم بقوم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي ترفع بأنفها النتن** » ، و في الحديث عن رب =

وهكذا ؛ فإنه لا يغني عند الله ورقة أو وثيقة ممهورة أو موقعة أو مختومة استخرجها من استخرجها من أية جهة ، بطريق صحيح أو كاذب ، على تصديق أو تلفيق ، حقيقي كان هذا أو باطل ، فإن الشرف في التقوى والتنزه عن الهوى ، فلا العمامة الخضراء ، ولا الطراز اللافت للنظر ، ولا الوظائف ولا الأموال والجاه ، بالشيء الذي يجعل الإنسان أهلاً للنسبة العليا إلى (آل البيت) ، والانتفاع بشفاعة جدهم صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، إنما النَّبيّ جد لكل تقي ، وإن كان من كان . .

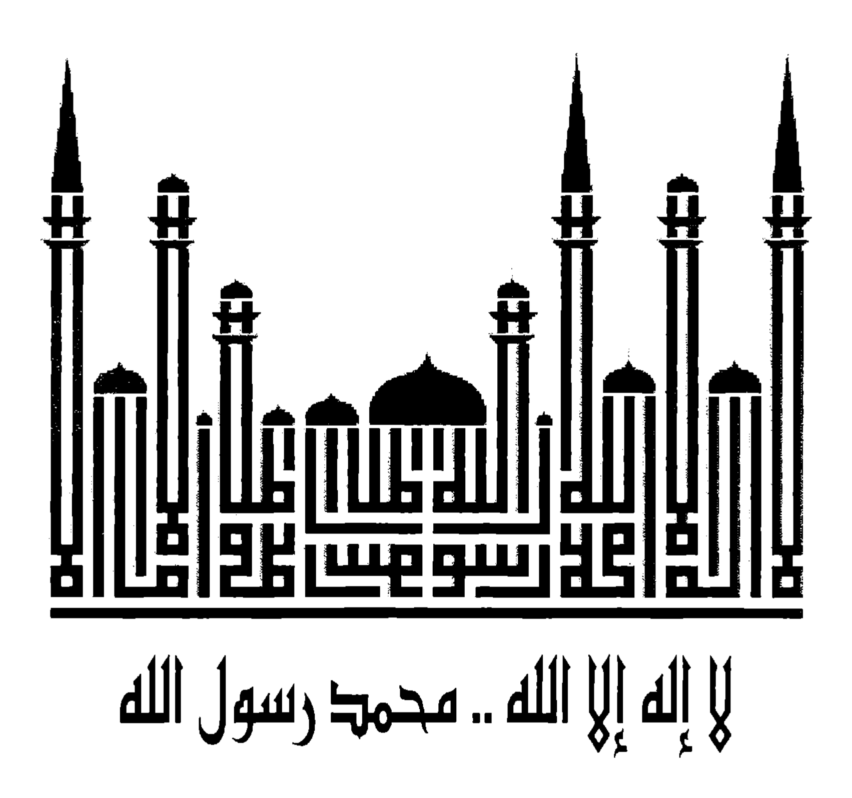
فافهم وعلم النَّاس ، وتذكر الحكمة العظيمة على لسان الحق عز وجل : « الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدًا حبشيًا ، والنار لمن عصاني ولو كان شريفًا قرشيًا » .

نرجو أن يكون هذا معلوماً تماماً ، وأن يكون معلوماً أن الموفق حقّاً هو من جمع بين النسب والعمل معاً ؛ فيكون حقاً من (أهل البيت) رضي الله عنهم أحياء وأمواتاً .

* . * . *

= العزة جل وعلا : « إنّي جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فقلت : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ فأبيتم إلاّ أن تقولوا فلان بن فلان ، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم » .

وهذا كله لا يعني عدم أفضلية أهل البيت وما لهم من حقوق على الأمة الإسلامية ، وإنما يعني أن يكون من ينتسب لأهل البَيْت على مستوى هذا الانتساب من : العلم والعمل والأخلاق ، والتواضع والقدوة والقيادة والسيادة ، والعمل للإسلام ، ورضى الله عن أهل البيت أجمعين .



كلمة ختامية

كلمة ختامية

أولاً :

كتبت هذا الموجز التاريخي تبصرة وتذكرة بذوات الأسماء المتماثلة من (أهل البيت) ، وذلك استجابة لدافع شخصي باطني حازم ، ثُمَّ للرغبة الموجهة إليَّ ممن لا أستطيع مخالفتهم ، من أبنائي وإخواني وساداتي في الله ، وأنا على يقين مما سيقوله ويتندر به عني أولئك الذين يتمسحون بـ(السلفية) ، ويسمونا (القبوريين) أو يسموننا (المخرفين) ، حين يترفقون بنا ولا يسموننا بـ (المشركين) أو (الوثنيين) !! .

ولكني بحمد الله أكتب عن سلامة عقيدة ، وصدق وتوحيد وإيمان بالغيب ، وأعرف كيف أعامل الله بما هو أهله ، وكيف أكتب عن علم وبرهان أستريح إليه ، وإني وإن لم أكن مؤرخاً فقد اجتهدت ما استطعت (هذا أولاً) .

* . * . *

أمّا ثانياً :

فلا شك أنَّ في بعض ما قررته وجهاً آخر ، فأحب أن يكون معروفاً أنه لم يفتني غالباً بحمد الله هذا الوجه الآخر ، ولكنني سجلت ما ترجح عندي بدليله ، ولا أجبر أحداً ، على الإيمان بمذهبي ، فله رأيه ، والعصمة لله ، فلا ندعيها لأنفسنا ، وإنما نكتب هنا ما نحب أن نقابل الله عليه ؛ فهو عندنا يقين علمي بتوفيق الله عز وجل .

أمَّا ثالثاً :

فقد كان من بعض ما رجعت إليه في تحقيقاتي هذه : خطط القضاعي، والمقريزي ، ومبارك ، والسخاوي ، وكتابات المؤرخ المحقق الأخ حسن قاسم رحمه الله ، وما جاء في مشاهد القلعاوي ، وكواكب ابن الزيات ، وجمهرة ابن حزم ، وبحر الأنساب للأزورقاني ، ولمحة البهجة للقادري ، وعمدة الطالب لابن عنبة ، والتبر المسبوك ، والنجوم الزاهرة ، ووفيات الأعيان ، والأغاني ، والخطط والآثار ، وحسن المحاضرة ، والمشارق ، والإسعاف ، والعدل الشاهد ، وقلائد الجواهر ، ومرشد الزوار ، وغيرها من كتب الرجال والطبقات ، والمزارات ، والوفيات ، بداية من ابن إسحاق إلى المناوي والشعراني . . حتَّى الأصبهاني في الأغاني .

* . * . *

أمَّا رابعاً :

فإنَّه ليس يلزم الزائر في الواقع ونفس الأمر اليقين أن : يكون صاحب القبر هو شخص فلان بالذات ، أو أخوه ، أو ابن عمه ، أو غيرهم ، فإن الزائر إنما يقوم بزيارة شخص مسلم ، له على المسلمين حق الزيارة ؛ فإن كان هو فكذلك ، وإن يكن غيره فالله يعامل الزائر بنيته ، وبخاصة في مكان قد جرب النَّاس استجابة الدعاء فيه ، بالتواتر والتلاحق .

فالمسألة هنا أولاً وأخيراً مسألة تجربة ، والتجربة الواقعة لا تكذبها الهرطقة ، ولا الفيهقة ، ولا الشقشقة الكلامية ، فإنَّما العلم العملي كله

أساسه التجربة ، والمجرِّب دائماً محكوم بتجربته ، ومعذور أمامها ، وملزم بها ، وخصوصاً عندما يجد سندها قائماً في دين الله .

*. *. *

أمَّا خامساً :

فإنَّه إذا كان المزور ليس هو المقصود ، أو كان يسمى في الواقع باسم آخر ، غير ما هو مشهور به عند النَّاس ، فقد أصبح ما سماه به النَّاس علماً عليه ، قد يراد به في الأرض ، فيراد به في السماء على مقاصد النَّاس ، وإنَّمَا الأعمال بالنيات .

وعلى هذا الحكم يحمل ما يسمونه : (مشاهد الرؤيا) ، إذا صح وجودها وتسميتها ، وإن كان لنا فيها رأي عملي آخر ، فها نحن أولاء نقيم المساجد الحديثة بأسماء السلف الصالح من الرجال والنساء ، وفي أماكن لا علاقة لها بحياتهم على الإطلاق ؛ فإنَّمَا هي (مساجد الذكرى) من جانب ، والتقدير والقدوة من جانب آخر ، ولا حرج إطلاقاً علينا إذا زرنا هذه المساجد ، ودعونا الله فيها توسلاً بأصحاب أسمائها ودعونا الله تعالى لهم ، ولعل في هذا شرحاً لجانب من أسباب تسمية (مساجد الرؤيا) التي سميناها : (المساجد التذكارية) ، والله أعلم .

*. *. *

أمَّا سادساً :

فلو فرضنا أنَّه ليس لصاحب المشهد شفاعة ، فإنَّ زيارة النَّاس له وحسن الظن به ، ودعاؤهم وابتهالهم عنده ، هو نوع من شفاعتهم من

أجله عند الله ، ونوع من التعبد الذي تعم به البركات ، وتستنزل الرحمات، ويطهر به المكان ويتقدس به الإنسان .

فالنفع هنا شركة بين الميت والحي ، وليس فيه محرم . . ثم إن عالم البرزخ عالم انطلاق للصالحين ، فلا يحصره حد ولا قيد ، ولا يهيمن عليه وقت ولا زمان ولا مسافة ؛ فالحدود والقيود والأبعاد والأوقات والأقيسة ، كلها أثر محدود ، لما يرتبط به الإنسان الحي المحدود من أغلال المادة الجسمية المحدودة وآثارها ، أمَّا الأرواح في البرزخ ففي عالم آخر . .

(راجع كتاب « الروح » لابن القيم ، وما جاء عن « الأرواح » في بحوث القدامى والمحدثين وهو كثير وفير ، وبخاصة تحقيقات علمي : «الاسبرتزم » ، و « تحضير الأرواح » . وراجع أيضاً كتابنا « حياة الأرواح بعد الموت » وهو ملحق بهذا الكتاب) . **والحمد لله رب العالمين**

وصلي الله على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه وأصحابه والتابعين ، وسلّم تسليماً كثيراً

وكتبه ابتغاء رضوان الله ونفع المسلمين، والتحقيق التاريخي الملزم

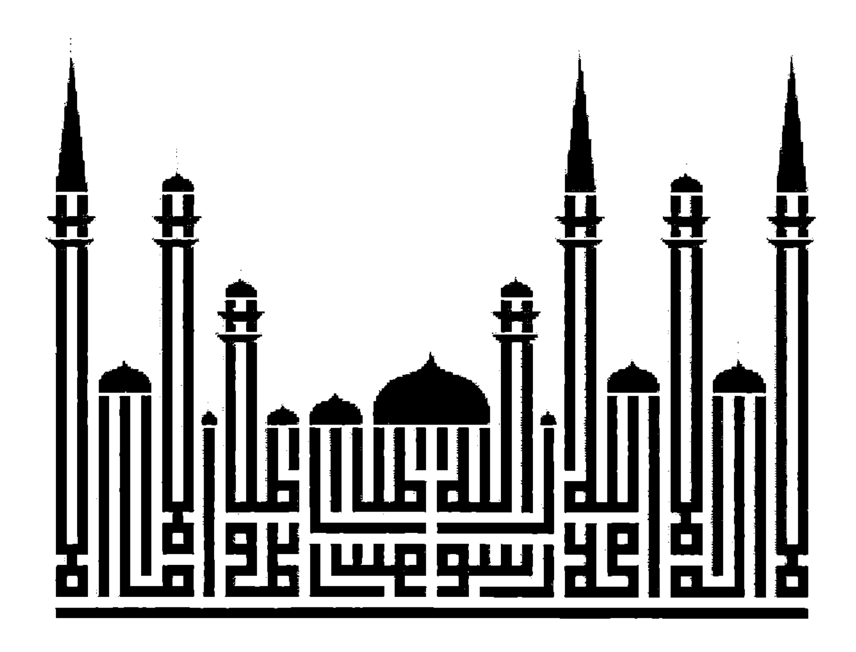
المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل بن عليّ الشاذليّ

رائد العشيرة المحمدية ، وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

ومؤسس مجلة المسلم





لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

★ أحكام زيارة القبور

★ الحكم الشرعى فى الزيارة

★ حكم زيارة النساء للقبور

★ سماع الموتى فى القبور

★ الممنوع فى الزيارة

★ قول السلف فى تقبيل القبور

★ التبرك بقبور الصالحين

★ كيفية الزيارة الشرعية

★ شد الرحال لزيارة القبور

★ الصلاة فى المساجد ذات الأضرحة

★ أقوال العلماء فى البناء على القبر

★ المساجد الثلاثة وما بها من قبور

الحكم الشرعي في زيارة القبور
وحكم شد الرحال
والصلاة في المساجد ذات الأضرحة

١) حكم زيارة القبور :

لم يختلف سلف ولا خلف على استحباب زيارة القبور ، لما جاء صحيحًا في الحث عليها بشروطها ، وترغيب زيارتها بقول وفعل النَّبيّ الحبيب صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وفي الحديث الثابت عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ولا تقولوا هجراً** » (أي قول الجاهلية) ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومشهورة ، ولا خلاف على أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كان يزور أهل البقيع ويدعو لهم .

٢) زيارة النساء للقبور :

وقد أذن صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لفاطمة ابنته أن تزور وترم قبر عمها (حمزة رضي الله عنه) بسفح جبل أُحد ، وثبت أن عائشة رضي الله عنها زوج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن .

وقد علّم الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عائشة رضي الله عنها كما جاء في الصحاح ماذا تقول عند زيارتها للقبور ، ورأى النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم امرأة تبكي عند قبر ، فقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لها : « **اتقِ الله واصبري** » ، ولم يطردها .

فمن منع من العلماء زيارة النساء للقبور فقد منعها من أجل ما يكون منهن من المخالفات والتجاوزات (التي يجب معالجتها) بالحسنى ، لاستحالة منع النساء عن الزيارة خصوصًا في هذه الأيام .

أمَّا منع النساء من اتباع الجنائز فمتفق عليه نهائيًا ، لصحة حديثه ، ولتحقق مفاسده .

بل إنَّ بعض الأئمة يرى أن زيارة النساء للقبور ألزم من زيارة الرجال لما توحيه من الصبر والذكرى والخوف والفوائد المتعددة التي تشتد إليها حاجة النساء .

٣) معلومات عن الزيارة :

والصحيح أنَّ زيارة القبور جائزة في كل وقت وكل يوم ، غير أن بعض الأئمة يفضل الزيارة من عصر يوم الخميس إلى فجر يوم السبت ، لآثار وردت في ذلك . .

أمَّا الزيارة في المواسم فهي عادة عند النَّاس فقط وليست بسنة ، كما أنه لم يرد نهي عن الزيارة في المواسم أو الأيام المباركة أو غيرها ؛ فتكون مباحة إن شاء الله في حدودها الشرعية في كل الأيام والأوقات لفوائدها العديدة .

وقد ألف بعض السلف في نظام الزيارة كتبًا مباركة بينوا فيها بدء الزيارة ومسارها ونهايتها من قبر إلى قبر ، ومن مشهد إلى مشهد ، حين لم يكن بمصر إلا القرافة الكبرى والصغرى ، غير أن الأمور قد اختلطت وتغيرت نهائيًا اليوم وتعددت (القرافات) وصحارى المدافن ، وتحولت مساكن إلى قبور . . والعكس .

٤) سماع الموتى في القبور :

جمهور أهل العلم والحديث والتفسير ، على إثبات سماع الموتى ، وهو قول ابن عبد البر وابن جرير وابن قتيبة وابن القيم وابن رجب ، ومن وليهم من كبار الأئمة والعلماء كالسيوطي وابن عبد الحق وابن أبي الدنيا وابن قدامة ، فهو حقيقة مؤكدة سواء كان بالروح فقط أو بالروح مع الجسم ، وهو من فوائد زيارة القبور .

وهؤلاء الأبطال والقمم إذا قالوا ، فلا يجوز أبدًا أن نسمع للدهماء والأدعياء وأصحاب الهوى والمغرضين والعملاء من عبيد الدرهم والدينار ، الذين يتخذون الدين شعارًا على سياسة غاية في الخطورة على الوطن والدين ، وإن وقفوا بمشاركة الجمهور في بعض الأمور . ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

٥) الممنوع في الزيارة :

أمّا الممنوع في الزيارة ، فأهمه ألا تطلب من المزور أن يفعل لك شيئًا أو يترك ، فهو عبد ليس له من الأمر شيء ، ولكن توسل به إلى الله فيما تطلب فقد أمر الله أن نبتغي إليه الوسيلة بإطلاق . . سواء بالأعمال أو بالرجال ، وسواء بالأحياء أو بالموتى فكل ذلك وارد ثابت ، والتخصيص هنا نوع من التحكم المرفوض . .

راجع كتابنا (الإفهام والإفحام) .

أمَّا التبرك بمسح شيء من حجرة المزور أو تقبيلها ، فقد ثبت أن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه وبعض الصحابة كانوا يتبركون بمسح رمانتي منبر

النَّبيّ وغيرهما من آثاره صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وعندما دعا عمر (بلالاً) لزيارة المدينة جاء من الشام إلى قبر الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فبكى وأبكى ، وجعل يمسح خديه على عتبة حجرته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في حضور كبار الصحابة ، ولم ينكر عليه أحد .

فالتمسح إذن جائز ، وخصوصًا للمغلوب على عاطفته ، ثم إن الخروج من الخلاف بترك التمسح أولى ، وحسبك التجاوب الروحي والتمسح القلبي ، والارتباط الغيبي بين الزائر والمزور .

٦) قول السلف في التقبيل ونحوه :

ومع هذا فقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب (العلل) أنه سأل والده الإمام أحمد عن الرجل يقبل القبر رجاء الثواب ، فقال أحمد : لا بأس به .

ونقل ابن زكري في الهمزية عن الطبري ، وابن أبي الضيف ، جواز تقبيل قبور الصالحين رجاء البركة والثواب .

ونقل الحافظ العراقي عن الحافظ العلائي أنه رأى في جزء قديم عليه خط ابن ناصر ، وغيره من الحفاظ أن أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وغيره .

فالقول بكفر أو شرك فاعل ذلك خطأ غليظ ، وجهل عريض ، وكل ما ذهب إليه متشددة العلماء : كراهة ذلك في ظروف خاصة ، أمَّا القول بالشرك والكفر ، فتعصب وجهل ووهابية دولارية بدوية مستغلقة ؛ ولا شك أن التعصبات عند ذلك ليست من دين الله .

٧) التبرك بالتمسح بقبور الصالحين :

قال الحافظ العراقي : أخبرني الحافظ أبي سعيد العلائي قال : رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل : أن أحمد كان لا يمنع تقبيل قبر النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أو تقبيل قبر غيره .

وفي كتاب « العلل » لعبد الله بن أحمد ، أن والده كان لا يرى بأسًا بتقبيل قبر النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ومسح منبره تبركًا .

وهذا يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك عندما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر النبوي فمسحه . . ونقل ابن زكري في شرح همزيته عن المحب الطبري وابن أبي الضيف وغيرهم جواز تقبيل قبور الصالحين ؛ لشدة الإيمان ورسوخه في قلوب المسلمين ، بتمام الوحدانية والتقديس .

ونحن هنا لا نجيز ذلك إلا للمغلوب على أمره كما حدث مع بلال ، أو للعالم الذي لا يخشى عليه الوقوع فيما لا يجوز أو نحو ذلك . . أمَّا الجاهل فيعذر ويعلَّم ، ولكن لا يرمى جزافًا بالشرك والكفر وعظائم الكبائر .

ولا نستطيع أن نحسن الظن بكل أدعياء السلفية بعد أن كررنا اختبارهم ، فاستيقنا أن إبليس لا يعادل ظفر أحدهم لؤمًا وخبثًا ونفاقًا وبذاءة ونذالة ، في الوطنية والديانة والولاء للدين ، والانتماء للوطن ، والله من ورائهم محيط .

٨) واجبات الزيارة

أمَّا واجب الزيارة ؛ فالخشوع والأدب ، وتذكر الموت والاحترام الباطني ، والعبرة ، والسلام على الميت ، والدعاء له ، والصدقة عليه ،

وقراءة القرآن عنده ، وأن يصان القبر ، وينظف مكانه ، ولا تترك زيارته أو ينسى أو يهمل بلا عذر . . ثُمَّ إياك إياك أن يشغلك زخرف الضريح وصورته وزينته عن التوجه القلبي التام إلى روح المزور ، بل اجعل هذه الزخارف وسيلة وتمهيدًا لما وراءها من أسرار الأرواح وفضل الزيارة ، فإن روح المزور معك مدة زيارتك ، فإنك تلقي عليه السَّلام ويرد عليك ويعرفك ، وينتفع بصدقتك ودعائك وقراءتك له بالنص الثابت من الآثار الصادقة عن الرسول والسلف .

بل حاول التخلص من العلائق أو الحجب البشرية ، عسى الله أن يكرمك فيتجلى عليك فترى (المزور) بقلبك ، وهو يستأنس بك ، كما يستأنس الحي بالحي ، وربما رأيت إذا غلبت عليك الحال ، ما لا ينبغي أن يقال . والله أعلم .

٩) الزيارة الشرعية للقبور :

والزيارة الشرعية : إذا جئت القبر أن تعتبر وتتأدب وتتمثل روح صاحب القبر واستقبله قائلاً ما علمنا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم :

« السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ، السّلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر ، نسأل الله لنا ولكم العافية . . اللهم رب هذه الأجساد البالية ، والعظام النخرة ، والأرواح الباقية ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أدخل عليها رَوْحاً منك وسلاماً منّا ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ، واغفر اللهُمَّ لنا ولهم »

جاء ذلك مفرقاً في الأحاديث الثابتة ، ولا خلاف عليه .

١٠) ما يقرأ عند الزيارة :

ثم تجلس بخشوع فتقرأ بـ (فاتحة الكتاب) كما رواه الطبراني والبيهقي ، ثم بأول البقرة ، ثم بآية الكرسي ، ثم بآخر البقرة كما رواه البيهقي وغيره ، ويجوز قراءة البقرة كلها كما نقله الخرائطي ، ثم تقرأ بعد هذا سورة يس كما رواه أبو داود واختاره الصنعاني وغيره ، ثم تقرأ بالإخلاص أحد عشر مرة كما رواه الدارقطني ، ثم تقرأ بالمعوذات كما نقل عن الإمام أحمد ، ثم تقرأ بما شئت أو تكتفي بما شئت من ذلك ، فلك الخيار .

ثُمَّ تسأل الله ببركة ما قرأته للمزور وللمؤمنين عفواً ومغفرة ورحمة وتوسعة ورفع درجات ، ثم تدعو الله أن يجعل ثواب ما قرأته لروحه وأرواح موتى المسلمين .

ثم تسأل الله القبول والتوفيق للطاعة والموت على الإيمان ، لك ولمرشدك وإخوانك في الله والمسلمين ، متوسلاً إلى الله بما يحب وبمن يحب و ببركة الفاتحة (وتقرأها) .

ثُمَّ تعود فتسأل الله ببركة ما سعيت إلى الزيارة لوجهه الكريم ، وببركة ما قرأت ودعوت ، وببركة المزور إن كان من الصالحين ، وببركة أولياء الله ، من الإنس والجن جميعاً ، أن يقضي الله حاجتك ، وتسميها ، وتتضرع حتَّى تحس الإجابة والاطمئنان .

١١) شد الرحال إلى قبور الصالحين :

بعض النَّاس يمنع شد الرحال إلى زيارة مقابر الصالحين في الأقاليم

مثلاً ؛ لحديث « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** » ، والمرجو أن ترجع إلى شرحنا لهذا الحديث في كتابنا (أصول الوصول) ، و شرحنا له في كتابنا (الإفهام والإفحام)[1] .

وهنا نقول عند التسليم بصحة الحديث : أن الممنوع بالنص هو زيارة (المساجد) لا (القبور) ، وحتَّى المساجد ففي منع شد الرحال إليها تفاصيل ؛ فقد كان النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بشخصه والصحابة يشدون الرحال من المدينة إلى (مسجد قباء) ، وكان خارج المدينة المنورة ، وكان أبو هريرة راوي الحديث يشد الرحال إلى (الطور) للزيارة ، كما فصلناه في بعض ما كتبناه قبلاً .

والخلاصة : أنه لم يرد منع صريح أو غير صريح عن السفر لزيارة القبور حتَّى في أبعد الأماكن ، بشرطها الشرعي (وخصوصًا قبور الصالحين) أينما كانت . . والحمد لله .

١٢) حكم نقل الأحكام وشرك المؤمنين والصَّلاة في المساجد ذات الأضرحة :

(١)

إنَّ نقل أحكام الحلال والحرام ، إلى أحكام الكفر والإيمان تحكم ليس من حق أحد ، وهو كذلك لون من التعمية والتدليس العلمي . .

---

(١) وقد أفرد شيخنا رحمه الله لحديث شد الرحال بحثاً استوفى فيه شرحه ومعناه في كتابه عن الزيارة النبوية .

وقد وقع اتفاق الأمة على أن المسلم إن عمل عملاً أو قال قولاً يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ، ثم هو يحتمل الإيمان من وجه واحد فقد وجب الأخذ بهذا الوجه الإيماني الوحيد ، فضلاً من الله ونعمة ، وعلماً صحيحاً ، موثقاً أكيداً .

(٢)

أمّا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ ، فالمراد إما أنهم منافقون يظهرون الإيمان ويخفون الشرك ، وإما أنهم يجمعون مع الإيمان بالله الإيمان بما كانوا عليه من عبادة الأوثان ، تلفيقاً بين الأمرين ، وانتفاعاً - في رأيهم - بالناحيتين ، كما قال القرآن على ألسنتهم : ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وليس كذلك أحد من المسلمين بحمد الله ، فلا يجوز إطلاقاً تطبيق آية نزلت في أعداء الله على أوليائه ، فذلك كما قال البخاري وغيره كان شأن (الخوارج) وأمثالهم ممن يستحلون دماء المسلمين ويلتمسون لذلك أدنى شبهة أو تأويل .

(٣)

وأكرر أنه ليس من حق فرد ولا جماعة ، مهما بلغ شأنه أو شأنها ، أن تخرج مسلماً من حظيرة أهل القبلة بخطيئة أو معصية ، حتَّى لو ارتكب الكبائر كلها ، فهو معصوم العقيدة والدم بقول : « **لا إله إلا الله** » كما ثبت في صحيح الأحاديث ، راجع كتابنا (أهل القبلة) .

ثم إن « حق لا إله إلا الله » الذي جاء في الاستثناء في بعض روايات

الحديث هو ألا يتعمد العبد أن يستحل محارم الله جحوداً أو محاربة لله ، وذلك بحمد الله لم ولن يأتي من مسلم وإن زنى وإن سرق ، بل وإن قتل ، ونستغفر الله ونتوب إليه ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

(٤)

هذا ، وقد بشرنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أن أمته لن تشرك بالله شيئاً ، فلن تعبد شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكنها قد تقع في الشرك الخفي ، وهو الرياء . . أفبعد كل هذا يقول قائل ببطلان أو تحريم الصَّلاة في المساجد الملحقة بالقبور ؟! .

وقد قررنا وأقمنا الدليل القاطع على أنَّها (سنة صحابية) مؤكدة ، أمرنا رسول الله جازماً حازماً ، أن نعمل بها ، وأن نعض عليها بالنواجذ في حديثه الصحيح القاطع .

فقد دفن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ببيت عائشة رضي الله عنها ، وله باب على المسجد ، ولم يغلق الصحابة الباب ، ولا منعوا الزيارة منه ، ثُمَّ أقرهم جميع التابعين وأئمة المذاهب الأربعة ، ومن كانوا قبل الأربعة ، وإلا فقد بطلت صلاة كل هذه الملايين من المسلمين الحجاج والعمار والزوار ، مدة ألف عام ونصف ألف .

فليتق الله الجهلة والحمقى والفتانون من المتملسفة ، والمتعصبة ، وأمثالهم ؛ فالمصلي بالمسجد يقول : (الله أكبر) في كل تحركات صلاته فهو موّحد ، فكيف يحكم ببطلان صلاته ، وقد ثبت أن الإمام مالك رضي الله عنه كان يصلي وسط القبور ، وكان الإمام عليّ كرم الله وجهه يتوسد القبور كذلك .

أمَّا ما فهمه هؤلاء من بعض الأحاديث فمؤول ، أو يحمل مفهوماً غيره مفهومهم المذكور هذا : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ .

قل : ﴿ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ العظيم .

١٣) فتاوى السابقين من أئمة الفقه في القباب والبناء على القبور[1] :

١ - قال ابن حزم في تصنيفه (المحلى) :

فإن بني على القبر بيت أو قائم لم يكره ذلك .

٢- وقال ابن مفلح تلميذ ابن تيمية في كتابه(الفروع من فقه الحنابلة) : لا بأس بقبة وبيت لأن الدفن كذلك مأذون فيه ، وهو قول ابن القصار وجماعة من المالكية كما حكاه الحطاب في شرح المختصر .

٣- وأفتى الحافظ السيوطي باستحباب البناء على قبور الأولياء والصَّالحين ، ولو كانت في الأرض المحبسة (أي الموقوفة) ، وقد ذكر ذلك في بحثه : (بذل المجهود) ، ووافقه جماعة من فقهاء الشَّافعية وغيرهم .

٤- قال الفقيه البرماوي : نقلاً عن الشيخ الرحماني : « نعم قبور الصّالحين يجوز بناؤها ولو بقبة لإحياء الزيارة والتبرك لقول الإمام الحلبي : « ولو في أرض مسبلة » .

---

(١) هذا الفصل ملخص من كتاب (التبصير فى البناء على القبور) للأخ الدكتور محمد الفاتح أحمد مرزوق القائم بفرع العشيرة المحمدية بمركز ببا .

٥- قال الشيخ عبد القادر الفاسي : « ولم يزل النَّاس يبنون على مقابر الصَّالحين والأئمة شرقاً وغرباً كما هو معلوم ، وفي ذلك تعظيم حرمات الله واجتلاب مصلحة عباد الله لانتفاعهم بزيارة أوليائه ، ودفع مفسدة المشي والحفر ، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندراسها (أي عدم خفاء أثرها) .

٦- والشيخ المسناوي في (مسائله) ، سئل عن البناء على قبر الرجل والمرأة ممن ترجى بركتهما في الحياة وبعد الموت فأجاب : « إن البناء على قبور الصالحين بقصد التبرك والتمييز وحفظ الحرمة جائز بل مطلوب ، لما ذكره بعض المحققين أن فيه جلب مصلحة الانتفاع بالصالحين ودفع مفسدة امتهانهم بالحفر أو المشي ، إذ لولا البناء لاندرست (أي اختفت) قبورهم فتبطل زيارتهم ، وزيارة القبور مطلوبة شرعاً .

٧- وفي كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي : أنَّ السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها كانت تأتي قبر سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه في كل عام فترمه (أي تصلح ما تهدم منه) ، حتَّى لا يزول أثره فيخفى على زائره .

٨- وفي فتاوى العلامة ابن قداح قوله : « إذا جعل على قبر من أهل الخير علامة فهو حسن كالبناء الخاص » .

٩- وفي شرح التوربشتي على كتاب المصابيح قوله : « وقد أباح السلف البناء على قبور العلماء والمشايخ الصالحين ، يزورها النَّاس ليستريحوا إليها بالجلوس في البناء لتلاوة القرآن ؛ فتكون مثل الرباطات والمساجد » .

١٠- وللعلامة عليّ بن أحمد الحداد في مؤلفه (مصباح الظلام) قوله : « من قال بتكفير البلد (أي أهله) الذي فيه قباب وأن القباب كالأصنام ،

فهو تكفير للأولين المتقدمين والمتأخرين من الأكابر والعلماء والصالحين ، وفي ذلك مخالفة للإجماع السكوتي على من سبق من الأنبياء والصالحين) .

١١- قال تلميذ ابن تيمية الفقيه العلم ابن مفلح الحنبلي في مؤلفه (الفصول) : « الحظيرة على قبر إن كان في ملك ميت فعل وليه ما شاء ، وإن كان في أرض مسبلة كره كراهة تنزيه لا تحريم ؛ للتضييق على ما وقفت عليه » .

١٢- والإمام البخاري أشار إلى أن الصلاة إذا لم تكن إلى القبر لا بأس بها ، وإلى أن معنى اتخاذ القبور مساجد إنما هو الصلاة عليها أو الصلاة إليها تعظيماً للقبر أو لصاحبه .

وأشار البخاري إلى أن اتخاذ المسجد على القبر منه مكروه ومنه غير مكروه ، وروى في صحيحه على وجه الجزم والثقة : أن فاطمة بنت الحسين بن عليّ نصبت قبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن عليّ ، وأقامت فيها سنة ، تقيم فيها فرائض الصلوات ونوافل العبادات ، وكان ذلك في عصر فقه على مرأى من العلماء ولم ينكر عليها أحد .

١٣- الفقيه المحقق ابن عابدين في حاشيته أجاز البناء على القبور مستدلاً بما نقله عن (جامع الفتاوى) في الأحكام بنصه القائل : « ولا يكره البناء إذا كان الميت من المشايخ والعلماء » .

١٤- ومن علماء المالكية ابن حمدون ، قال على شرحه منظومة ابن عاشر (٢/ ٧) : « البناء على القبر بقصد تعظيم من يعظم شرعا جائز » .

١٥- قال الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه صحيح الإمام البخاري ما نصه : « إن المنع من ذلك حال خشية أن يصنع بالقبر كما صنع

أولئك الذين لعنهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وأمَّا إذا أمن ذلك فلا امتناع » .

١٤) خاتم المرسلين يصلي بقبور مرسلين :

روى الإمام ابن حبان في صحيحه ، وصححه بسنده عن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **لما أسري بي إلى بيت المقدس ، مَرَّ بي جبريل إلى قبر ابراهيم عليهما السَّلام فقال** : انزل هنا ، صَلِّ ركعتين ؛ **فإنَّ هاهنا قبر أبيك إبراهيم عليه السَّلام ، ثُمَّ مرّ بي إلى بيت لحم ، فقال** : **انزل صل هاهنا ركعتين ؛ فإنَّ هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السَّلام** »[(١)] .

---

(١) الحديث المذكور ليس في صحيح ابن حبان ، وإنما أورده ابن حبان في كتابه (المجروحين) (ج ١ ص ١٩٦ ، ١٩٧) ، وقال : « هذا شيىء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع ، فكيف بالبزل - الرجال الكمل - في هذا الشأن » . وقال عن بكر بن زياد الباهلي أحد رواة الحديث : « شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه » .

قال الحافظ الذهبى في الميزان (٢/ ٦١) بعد أن أورد كلام ابن حبان : « صدق ابن حبان » . وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٥٠) : « والموضوع منه من قوله «**ثم أتي بي الصخرة**» ، وأمَّا باقيه فقد جاء في طرق أخري فيها الصَّلاة في بيت لحم وردت من حديث شداد بن أوس » .

والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٦٢) ، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة (١/ ١٣) ، وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة (١/ ١٣٧) ، ومحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي في فضائل بيت المقدس (١/ ٥٨) .

وعلى هذا يكون جَعْل الحديث صحيحاً ، وفي صحيح ابن حبان ، من الوهم الذي وقع فيه صاحب كتاب التبصير ، وسبحان مَنْ له الكمال .

هذا هو الهدي النبوي الصحيح الصريح يجيز الصلاة في الأماكن التي ضمت قبور الأنبياء وتابعيهم من الصالحين .

١٥) مسجد الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم :

دفن صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم باجماع الصحابة أخذاً من قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في المكان الذي قبض فيه ، وهو بيته الملحق بالمسجد ، والذي دخل في المسجد ، ثُمَّ دفن معه (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما ، وكان كبار الصحابة أحياء ، وتم كل هذا بإجماعهم ، وهم أعرف النَّاس بدين الله ، فلم ينكر واحد منهم أن يدفن النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في حجرة عائشة رضي الله عنها ، وهي مفتوحة الباب على المسجد ، ولا طلب أحدهم إغلاق باب الحجرة التي بها هذه القبور بعد دفن أحد الصحابيين ، واحداً بعد واحد ، بجوار قبر النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الملاصق تمامًا للمسجد ، ولا أن ينقل رفات (أبي بكر وعمر) إلى مكان آخر ، وإذن فقد أصبح وجود قبر مستقل في جوار مسجد (أي مسجد في أي مكان) ، وللقبر باب على هذا المسجد (سنة صحابية إجماعية ثابتة) .

١٦) في المسجد الحرام :

إلى جوار الكعبة المشرفة عشرات من قبور الأنبياء ، نقلاً عما رواه الإمام المحدث أبو داود في سننه التي شرحها كبار علماء السبكية [وغيرهم] ، جاء عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قوله : « **ما بين زمزم والحطيم تسعون نبياً موتى** » .

لقد جاء في عدة أحاديث وأخبار أن من الأنبياء المدفونين بين بئر زمزم ومقام إبراهيم : نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً ، ولو كان وجود قبورهم منكوراً ، لأخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم رفاتهم ودفنهم خارج المسجد الحرام .

* . * . *

١٧) حِجْر إسماعيل :

حِجْر (بكسر الحاء وسكون الجيم) كنف نبي الله إسماعيل ، حيث مثواه الأخير عليه السَّلام ، ومثوى جثمان أمه هاجر عليها الرضوان بالحطيم (بناء يواجه الميزاب من خارج الكعبة) تحت جدار الكعبة المشرفة ، وعلى هذين القبرين المكرمين بناء على شكل نصف دائرة تقريباً ، يبلغ ارتفاعه ١٣٠ سم وعرضه ١٥٠ سم تقريباً يبعد عن الكعبة بنحو متر ونصف من كل جهة ، وهذا الحجر من الكعبة .

وفي حجر اسماعيل تسن الصَّلاة ويستحب الدعاء ، فعند الأحناف يصلي الطائف بالبيت بعد الأشواط السبعة ركعتين بالحجر تحت الميزاب ، فإنْ صلاهما خارج الحرم أساء (صفحة ٣١٧ من الفقه على المذاهب الأربعة ط الشعب) ، وعند الشَّافعية يصلي الطائف بعد طوافه مباشرة ركعتين خلف المقام ، ثم بالحِجْر وهي سنة مطلوبة (صفحة ٣٦٥) ، وكذلك عند الحنابلة .

١٨) مُصَلَّى مقام إبراهيم :

قال تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[١] .

قال الإمام الرازي في التفسير الكبير (المجلد الأول صفحة ٤٠٢ وما بعدها) : ذكروا أقوالاً في أن مقام إبراهيم أي شيء هو :

الأول : أنه موضع الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السَّلام ، وهل هو الحجر الذي وضعته زوجة إسماعيل تحت قدم إبراهيم ، حتَّى غسلت رأسه ، فغاصت رجله فيه ، فجعله الله من معجزاته ، أم هو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم وهو يبني الكعبة لما ارتفع البنيان .

ثُمَّ ذكر الحافظ الرازي ثلاثة أقوال أخرى ، وعقب عليها بقوله : واتفق المحققون على أن القول الأول المذكور هنا أولى أي أحق ، واستدل على ذلك بستة أدلة .

ثم قال الرازي : وذكروا في المراد بقوله تعالى : ﴿ مُصَلًّى ﴾ وجوهاً منها : الدعاء ، والثاني : قبلة ، والثالث : أن يصلوا الصلاة المشروعة العملية عنده ، وهذا قول أهل التحقيق ؛ لأن لفظ الصَّلاة إذا أطلق يفهم منه الصلاة بركوع وسجود ، وقد ثبت فعل النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وصلاته عنده بعد تلاوته هذه الآية .

والصَّلاة عند مقام إبراهيم عند موضع تَشَرَّفَ بالنَّبيّ أبي الأنبياء إبراهيم مشروعة ومطلوبة عند الشَّافعية فرضاً عند الطواف الفرض ، وسنة عند طواف التطوع ، وحكم صلاة الركعتين عند المقام مختلف عند الأحناف ، فليُرجع في ذلك إلى مراجع فقه العبادات المقارن .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٥ .

١٩) في المسجد الأقصى قبور :

رسول الله الخاتم أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس ، ولذلك أقطع الصحابي تميماً الداري أرضاً بجواره أي ملكه أرضاً تحقيقاً لوعد الله بالفتح وهو يعلم أن بالخليل قبور إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السَّلام .

نعم ، وفي بيت المقدس قبور الأنبياء : داود وسليمان ويوسف وموسى ، وقد أمر موسى بنقل رفات يوسف من قبره بمصر إلى بلد الخليل إبراهيم عليهم السّلام . وعلى قبر داود ذاته بناء في المسجد الأقصى .

ولم يأمر عمر عند فتحه لبيت المقدس بهدم هذه الأبنية والمشاهد ، ولم يأمر الصحابة من بعده بهدمها .

٢٠) في مسجد الخيف :

في صحيح أبي داود وغيره أن بمسجد الخيف عشرات من قبور الصَّالحين ، وقد صَلَّى به الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم والصحابة والتابعون والسلف دون نكير إلى اليوم حتَّى ما شاء الله .

٢١) مسجد فاطمة ومسجد خديجة :

أشرنا سابقاً إلى قبر السيدة فاطمة بنت أسد ، أم الإمام عليّ رضي الله عنه ، وكيف دعا فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لها به ، ثم بنى عليه مسجد .

ومسجد السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين بالحجون قائم حتَّى الآن .

٢٢) مسجد على قبر الصحابي أبي بصير :

قال العلامة ابن عبد البر في مؤلفه (الاستيعاب) في ترجمة الصحابي المجاهد أبي بصير ما نصه : « ولأبي بصير رضي الله عنه قصة عجيبة ذكرها المؤرخ ابن اسحاق وغيره من أصحاب السير ، ورواها المحدّث عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب في قصة القضية صلح الحديبية ، فقد جاء أبو بصير بعد صلح الحديبية وشروطه ، من مكة وهو مسمل أي مصابة عينيه ، فأرسلت قريش في طلبه رجلين ، فقالا لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « العهد الذي جعلت لنا أن ترد إلينا كل من جاءك مسلماً » ، فدفع رسول الله أبا بصير إليهما ، فخرجا به حتَّى بلغا ذا الحليفة (موضع ماء بينه وبين المدينة خمسة أميال ، وهو ميقات حجاج المدينة ، بعيد عن مكة كثيراً) ، فنزلوا يأكلون ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : « إني أرى سيفك هذا جيداً ، فقال الرجل : نعم والله إنه لجيد ، فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه أبو بصير به ، وفرّ الرجل الآخر حتَّى أتى المدينة ، فلما انتهى إلى النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : قتل صاحبي ، ثم جاء أبو بصير ، فقال : يا رسول الله ، قد والله وفيت ذمتك ، وقد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم ، فقال النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « ويْلُ مِّهْ من رجل مسعر حرب » أي مشعلها ، فعلم أبو بصير أنه سيرده إليهم وفاء لشرط المعاهدة فخرج حتَّى أتى سِيف البحر وسيف البحر بكسر السين ساحل البحر الأحمر فلحقه الصحابي أبو جندل بن سهيل بن عمرو فاراً من تضييق قريش على المؤمنين حتَّى اجتمعت به وبأبي بصير كتيبة من الفدائيين تعترض قوافل قريش ، عندئذ أرسلت قريش تناشدُ النَّبيَّ

صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، وتقسم عليه بالرحم وصلات القرابة وتستعطفه وتستجيره من هذه الفئة الفدائية المقاومة . .

وكان أبو بصير إمام أصحابه في الصلاة ، ويكثر من قوله :

أجَلْ : هو الله العلي الأكبر — من ينصر الله فسوف ينصر

فلمَّا قدم عليه أبو جندل صار إمامهم ، واجتمع إلى أبي جندل قوم كثيرون مؤمنون من قبائل بني غِفَار وأسلم وجهينة حتَّى بلغوا ثلاثمائة رجل .

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قد كتب لأبي جندل وأبي بصير رسالة ليقدما عليه ومن معهما من الرجال . . . وبعد أيام استغرقتها رحلة الرسالة تلقى أبو جندل الرسالة بينما أبو بصير يجود بأنفاسه الأخيرة ، وكتاب رسول الله يقرأ عليه ، فدفنه أبو جندل مكانه وصَلَّى عليه والرجال المنتصرون بعد ظلم ، وبنى أبو جندل على قبره مسجداً .

٢٣) مسجد أصحاب الكهف :

أصحاب الكهف ليسوا بأنبياء ولا مرسلين ولكنهم شباب مؤمنون قال فيهم ربنا : ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ .

لما أظهر الله آيتهم اختلف النَّاس في صور تكريمهم وحفظ قبورهم للتذكير بهم ، فقال فريق : ﴿ **ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ** ﴾ وفريق آخر ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾ .

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية

كتاب
(حياة الأرواح بعد الموت)

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

راجعه وعلق عليه

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

من خريجي الأزهر وتلاميذ الإمام الرائد

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م

★ بيان حقيقة الموت

★ الفرق بين الموتى والأحياء

★ حياة الأرواح بالبرزخ

★ حديث « إذا مات ابن آدم ..»

★ الخلايا الخالدة وعجب الذنب

★ من افترسه الوحش أو أكله السمك

★ الأجسام والأرواح والبرزخ

★ أسرار عالم البرزخ

★ معنى الروح والإسراء

★ أدلة حياة البرزخ

★ انطلاق الروح فى أيام معينة

★ وظيفة الجسم والروح

بيان حقيقة الموت
والفرق بين الموتى والأحياء
عقلاً ونقلاً

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه في مبدأ الأمر ومنتهاه

١) مقدمة وتمهيد :

أمَّا قبلُ :

فإنه إنما ينبني الخلاف بيننا وبين إخواننا (المتمسلفة) على أنَّهم فهموا الموت فهماً غير إسلامي ، ولو أنهم رجعوا إلى إمامهم (ابن القيم) وأخذوا عنه مذهبه في خلود الرُّوح وتصرفها بعد الموت ، وأنها ثَمَّ تزيد ولا تنقص ، وتعمل ولا تخمل ، لما انعقد بينهم وبين النَّاس خلاف .

فهم قد ظنوا الموت فناء تاماً ، وعدماً محضا للإنسان ، جسم محبوس في القبر يتصرف فيه الدود والبلى ، وروح محبوس فيما شاء الله من عذاب أو نعيم ، وانتهى الأمر على ذلك فلا علاقة لميت بحي ، رغم أنه يزور قبره ، ويسلم عليه ، ويحج عنه ، ويتصدق عليه ، ويحدثه بما جاء في أحاديث السّلام على الميت ، وزيارته وبره بعد موته ، وإلا كان كل هذا عبث شنيع .

٢) إجماع علماء المشرق والمغرب
على حياة الأرواح بالبرزخ :

والكلام في حياة الأرواح وعملها وتصرفها وارتقائها بعد الموت كلام معاد حرّره وقرّره وكرّره من القديم غطارفة العلم والمعرفة [١] ، وتوفر على تحقيقه أعلام الفحول في الدين والفلسفة ، فإن شئت فارجع إلى : ابن سينا وابن رشد وابن القيم ، وابن مسكويه والغزالي ومحيي الدين ، والقشيري وابن الحاج وابن هشام ، والقسطلاني والعسقلاني وإخوان الصفا ، والفخر الرازي والدباغ والمناوي .

وإن شئت فارجع إلى مؤلفات رجال عصرنا ، مثل : « الأرواح » للمرحوم الشيخ طنطاوي جوهري ، و « سبيل السعادة » للأستاذ الشيخ يوسف الدجوي ، و « المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية » للأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي .

بل إن أردت فارجع إلى ما كتبه علماء الفرنجة من ملاحدة الغرب في أوربا وأمريكا ، أولئك الذين كشف الله على أيديهم الجم الوفير من أسرار التصرف الروحي في هذا العالم الكوني ، فألّفوا من أجله مئات المجامع العلمية ، وخصصوا لخدمته عشرات المجلات الفنية [٢] .

---

(١) وأقدم مؤلَّف نعرفه تناول الرُّوح وأحكامها هو كتاب (المنامات) للحافظ ابن أبي الدنيا المتوفى (سنة ٢٨١ هـ) ، وهو مطبوع ، وله أيضاً كتاب على صلة بموضوعنا هو كتاب (من عاش بعد الموت) ، وقد قام بطبعه الشيخ محمد الحافظ التجاني رحمه الله .

(٢) على اختلافنا معهم في كثير مما ذهبوا إليه ، وحذرنا من التلبيسات المغرضة والأكاذيب المفضوحة ، ولكن ذلك لا يمنع من استفادتنا من تجربتهم وإن كانت تعتمد على المادة في استكشاف ما وراء المادة .

ثم إن شئت فاقرأ (على أطلال المذهب المادي) لفريد وجدي ، ومجموعة مؤلفات أحمد فهمي أبو الخير .

ثُمَّ ارجع بعد ذلك إلى كتب المناقب والأخبار والطبقات تجد هناك تطبيق ما قرره هؤلاء ، وما كشفوه ، وما علله به اليوم علماء الكيمياء والطبيعة مما لم يكن معلوماً من قبل من أسرار الأثير والكهرباء والأشعة والمغناطيسية والاهتزازات والذبذبات ، وحقيقة ما وراء المادة .

وحكمة الله في كشف هذه الحقائق على أيدي غير المسلمين مفهومة في دعوتهم إلى الإسلام وإكباره في قلوبهم ، وترسيخ ما جاء به في نفوس المؤمنين .

إذن ؛ فقد فرق العلم القديم والحديث في الشرق والغرب ، بين الموحدين والمشركين والوثنيين والملحدين ، والعقلاء والمجانين ، من تقرير حياة الأرواح ، وأنَّ لها عالماً برزخياً راقياً ، له نظام وترتيب دقيق موقوت بالإذن الإلهي في توزيع حالات السجن والانطلاق والإحاطة .

وأن الأرواح هناك تتلاقي وتتزاور وتتذاكر ، وتتباهى وتتعلم وتتعبد ، وتحج وتعتمر وتُصَلِّي ، لا تكليفاً « على قول » ؛ بل رغبة في التزيد من التمتع بلذّة العبادة .

كما قد ثبت عقلياً وشرعياً : أن هذه الأرواح تتنقل من مرتبة إلى مرتبة ، وأنها تتسامى حتَّى تعمل عمل الملائكة [1] ، وأنها تتصل بهذا العالم البشري ، وتعلم منه وتعمل فيه ما شاء الله بإذنه في حدود منزلة الروح من الله تعالى .

(١) كما جاء في حديث : « رأيت جعفر في رفقة من الملائكة يبشرون أهل (بيشة بالمطر » ، ولذا سمي جعفر الطيار ، وسيأتي تخريج الحديث .

٣) حديث : « إذا مات ابن آدم . . . » :

ولقد ذهب جمهور من المحققين من خاصة أهل السنة إلى أن حكم التكليف منسحب إلى ما بعد الموت ، على نهج إلهي خاص يجري مع مقتضيات حياة البرزخ .

ثم قالوا : فلا يرتفع هذا التكليف حتَّى يسجد أهل الأعراف السجدة التي تثقل بها موازينهم .

قالوا : فإنه إن لم يكن التكليف منسحباً إلى هذه اللحظة ما نفعت هذه السجدة في شيء قط ، وهذا ثابت في السنة الصحيحة .

أمَّا احتجاج بعضهم بحديث : « **إذا مات (الإنسان) ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** »(١) ، فهو مراد به عمله الدنيوي الحادث بوساطة الهيكل البشري ، وهذا لا ينافي أن يكون لروحه عمل آخر حتمياً ، بمقتضى نصوص الآيات ومفاهيم

---

(١) رواه مسلم (٢/ ١٦٧ نووي) ، وأبو داود (٢/ ١٠٦) ، والترمذي ، والنسائي، والبخاري في الأدب المفرد .

والحديث واضح الدلالة في أن المراد : عمل الإنسان لنفسه في حياته ، لا عمل غيره له ، إذ أن ما ذكر في الحديث من عمله في حياته يقيناً لا محالة ، وأهل الحديث على أنّ الحصر ليس على إطلاقه ، وأن العدد لا مفهوم له ، بدليل ما رواه ابن ماجه (١/ ٨٨) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً نشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، ومسجداً بناه ، وبيتاً لابن السبيل بناه ، ونهراً أجراه ، وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته** » . ورواه أيضا أبو نعيم في الحلية (٢ / ٣٤٤) ، وقد نظم السيوطي ذلك ، كما سيأتي .

الأحاديث الثوابت ، كما حققه السيوطي نظماً [١] ، وهذا دليل على حياة الروح وانتفاعها بعمل الغير بعد الموت ، وكل هذا غير وصول ثواب عمل الأحياء له كالصَّلاة والصدقة عليه والحج عنه والدعاء له ، وسداد دَيْنه وزيارته ؛ فهو هنا منتفع بغير عمله .

* . * . *

٤) الخلايا الخالدة وعجب الذنب :

ولقد أثبت التشريح العلمي الحديث أن بالجسم خلايا حية بذاتها لا تتلاشى بالموت ، ولا تتحول بفعل الطبيعة ؛ فلعلَّ هذه الخلايا هي إن صح ذلك الجزء الخاص من الجسم الإنساني المعروف عند بعض علماء المسلمين بـ (عجب الذنب) ، وفيه قولهم بأنه أول ما يحيا من الإنسان يوم ينفخ في الصور .

ويكون المعنى إن صح على الوجهين : إن هذه الذرات الخالدة هي أساس التكوين الثاني ، وبذوره التي تتداعى إليها بقية أجزاء الجسم بطريقة الجذب المغناطيسي ، أو غيره .

وقد تدلُّ له صحاح أحاديث البعث التي نبهت على أن الجسم يومئذ

---

(٢) قال السيوطي رحمه الله :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ، ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ، ورباط ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه ، أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر

ينبت من الأرض كما تنبت الزروع بعد أن تمطره السماء ماء الحياة ، ونكون بذلك قد حصلنا على دليل علمي جديد على عدم فناء جميع ذرات الجسم بالموت .

وإذا صَحَّ هذا الكشف كانت هذه الذرات كذلك هي أساس العذاب والنعيم الجسماني في القبر لصلته الخاصة بالرُّوح ، وتعلقها بها على صورة تقربها من عقولنا ، صورة اتصال الشمس بالأرض ، فإننا نحس حرارتها في شدتها ولينها ، وندرك حركاتها في فلكها ، ونتأثر أو يتأثر الكون بانتقالاتها في بروجها ، مع انفصالها عنها تمام الانفصال .

٥) مسألة إحياء ليلة الأربعين :

فهذا تقريب أمر اتصال الرُّوح بالجسد في نعيمهما وعذابهما ، على القول باشتراكهما معاً في ذلك ، خصوصاً في الأيام الأولى بعد الوفاة ، حين يكون نوع تعلق الرُّوح بالجسم على أشده .

وهذا مجمل الأثر النبوي القائل بأن خاصة رجال الله لا يبقون في قبورهم بعد أربعين ، ثم هم قيام عند ربهم ، فهذه هي أقصى مدة شرعية لشدة نوع تعلق الرُّوح بالجسد عند الصَّالحين بعد الموت . وهي عند غيرهم كذلك غالباً بدليل الأثر القائل بتكرار السؤال في القبر ، أحياناً إلى أربعين يوماً ، ولا يعتبر ذلك سبباً في التشبه بغير المسلمين في إحياء ليلة الأربعين للموتى ؛ فهذا لم يرد عن النَّبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ولا عن صالح السلف ، وإنما هي اجتهادات مجردة ، ليس منها ليلة الأربعين .

وأكثر ما جاء من أحاديث هذا الباب فيه نظر ، وهذا لا يمنع القول بأن هذين الخبرين هما أساس اهتمام أكثر أهل الموتى من المسلمين عادة ببذل الصَّدقات وكثرة الاستغفار والترحم عليه في هذه المدة ، والاهتمام كذلك بالإكثار من ذلك وإن لم يأت به نص أكيد ، ولعل من أسبابه ما قد جاء من أن السؤال في القبر قد يتكرر إلى أربعين يوماً بحسب عمل كل إنسان .

٦) من افترسه الوحش أو اكله السمك :

وحين نقول ذلك فيستشكل علينا بعضهم بحال من افترسه الوحش أو أكله السمك مثلاً ولا قبر له ؟! .

فإنا نستطيع أن نقول : إن الرُّوح صورة تامة للجسد ، كما هو مذهب مالك وبقية المحققين ، فأمام كل ذرة من الروح ذرة من الجسد تخدمها وتعمل فيها عملها ، ومهما توزعت ذرات الجسم في البر والبحر والمشرق والمغرب والمكشوف والمحجوب ؛ فلكل منها علاقتها المستقلة بما يقابلها من جزئيات الروح ، وإليها يصل أثر النعيم أو الجحيم من هذا الجزء المقابل لها على ما قدمنا .

فلا موجب إذن للاعتصام بمذهب عنصر النعيم والعذاب على الرُّوح وحدها ؛ فالجزاء على الرُّوح والجسد جميعاً ، لاشتراكهما معاً في كسب مقتضى الجزاء ، والله يفعل ما يشاء .

والمهم في المسألة على الرأيين : إثبات أن هناك روحاً حية ذات إدراك وبقاء وعلاقة بوجه من الوجوه بالجسد حيث يكون ، غير أنه لا بأس من فضل إشارة إلى ما يختص بأجساد خاصة أهل الله كالأنبياء والأولياء ، فقد

ثبت في العقائد من صحيح الأحاديث مؤيداً بالوقائع التاريخية أن أجسامهم لا تبلى[1] ، طرداً لقانون خرق العادة معهم في الحياتين ، وقد جاء القرآن في ذلك بدليل قاطع عند الكلام على نبيِّ الله سليمان قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[2] أي أن الجن مع سعة علمهم وتمام إدراكهم لم يستطيعوا التمييز بين حالتي الموت والحياة في نبيِّ الله سليمان لعدم تغير حال جسمه بعد الموت .

وقد أشهد الله عباده في الدنيا صورة إعادة الروح والبدن إلى ما كانا عليه قبل الموت في قصة : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ ، وهم طائفة من بني إسرائيل هربوا من الطّاعون ، ونسوا الله فأماتهم سبحانه ثُمَّ أحياهم بدعوة نبيهم «حزقيل» .

وكرر الله تعالى ذلك بصورة أخرى في قصة « العزير » ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

---

(١) أورد ابن القيم رحمه الله في كتابه « الروح » جملة كبيرة من الآثار والوقائع على ذلك ، فمن شاء فليراجعه .

(٢) تأمل الدقة في قوله تعالى : ﴿ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾ ، لا جسده ، والجسد محفوظ لا يبلى للأنبياء والأولياء .

ثم كرر الله هذا أيضاً على يد نبيه إبراهيم في قصة أربعة الطير حيث ذبحها وجعلها أشلاءً ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً ثم دعاهن فأتينه سعياً بإذن الله ليطمئن قلبه .

ولا ننسى بهذه المناسبة أن الأرواح في الدنيا تشعر بالعذاب أو النعيم تبعاً للجسم لأن الجسم مسلط عليها في هذه الدار ، وعلى العكس من ذلك يعذب الجسم وينعم في الدار الثانية تبعاً للروح ، حيث تكون هي المسلطة عليه [1] .

٧) الأجسام والأرواح والبرزخ :

فليس من غرضنا هنا إلا أن نثبت حياة الأرواح ، وإنما جاء ذكر الأجسام عرضاً واستطراداً ، فالنتيجة العلمية القطعية لما قدمنا ، والنتيجة الاعتقادية اليقينية كذلك ، في جميع الأديان السماوية ، أن النَّاس في الدنيا والآخرة كما هم في البرزخ أحياء حياة كاملة ، لها مقوماتها وآثارها ، وما الموت إلا انتقال من حال إلى حال خير منها (لمن صلح) ، واستبدال دار بدار أوسع وأكرم ، إذ ما من دين سماوي إلا قام على دعامتين :

الأولى : التوحيد ، ومقتضياته من العبادة والرياضة والأخلاق .

الثانية : الحياة بعد الموت ، مع ما فيها من الجزاء ومقتضيات ذلك وأسبابه .

---

(١) وفي الحديث : « **ما من عبد يمر بقبر عبد فيلقي عليه السلام إلا رد عليه السَّلام وعرفه** » (تأمل !!) .

٨) نصوص الكتاب والسنة
على حياة البرزخ وأسرار عالمه :

قال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ، ولا مخصص قطعي الدلالة ، ولا مقتضى لقصر الحكم البرزخي على المجاهدين بالسيف وحدهم طمعاً في فضل الله ورحمته ، وسبيل الله : كل ما أمر به ونهى عنه ، ومنه جهاد النفس ، فما جرى على روح فهو يجري على غيرها ، مع اختلاف الحال والجزاء بما يناسب كل روح لاشتراك الحقيقة الروحية ومقتضاها بين الجميع .

فالشهداء ومن والاهم عند ربهم يرزقون ، والأشقياء ومن جاراهم عنده كذلك يؤاخذون ، وفيهم قال تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ، أي في البرزخ بدليل قوله بعد ذلك : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ، وعليه قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وقد استقصى الاستدلال عقلاً ونقلاً في هذا المقام ، إمام السنة «الفخر الرازي» رضي الله عنه في تفسير : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وتفسير : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ وتفسير : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ، وغير ذلك .

ووافقه كل من وليه من ثقات المفسرين إلى الألوسي ومن بعده ، كما تكفل الغزالي والمناوي وابن القيم وغيرهم بتبيين حقائق عذاب البرزخ

ونعيمه بالآيات والأحاديث ، فليراجع . وقد أثبتوا جميعاً تصرف الأرواح الصَّالحة بعد الموت بإذن الله ، أي استخدامه تعالى إياها فيما شاء على ما جرى في علمه القديم ، حتَّى استأهلت أن تكون من (المدبرات أمراً) مع الملائكة ، واستحقت شرف الإقسام بها في كتابه العزيز .

٩) إطلاق لفظ الروح ومعناه والإسراء :

قال بعض شيوخنا : إننا إذا لم نشأ أن نلتزم القول بأن الروح في بعض الآيات هو « جبريل » أو غيره من الملائكة ، جاز لنا والله أعلم أن نقول : إنّ الروح في مثل قوله تعالى : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا** ﴾ هي أرواح خاصة رجال الله المقربين ، وكثيراً ما تجد أن السياق ومفاهيم صحاح الآثار على ترجيح القول بذلك في بعض الآيات التي ذكرت فيها الروح والملائكة .

أمَّا أحاديث المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في حياة البرزخ ، فشيء جم لمزيد وفير ، حسبك منها حديث الإسراء في المتن والسند ، وقد رواه بألفاظه وطرقه جميع رجال الحديث[١] ؛ وأثبتوا فيه أن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم صَلَّى إماماً بأرواح الأنبياء مجتمعة لتكريمه في المسجد الأقصى ، وناب عنهم جده إبراهيم عليه السَّلام في خطبة التشريف بين يديه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ورد عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم خطبته بما هو منصوص في مظانه من الكتب .

---

(١) وأخذوا به فيما عدا الشيخ عبد الجليل عيسى ، وقلة نادرة من سابقيه ولاحقيه غفر الله لهم ، وقد استوفى أحاديث الإسراء تخريجاً الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في شرحه على مسند الإمام أحمد .

ثُمَّ التقى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بعد عروجه إلى السموات العلى بأرواح من شاء الله من الأنبياء يتعبدون ، وكان له معهم حديث منصوص ، كما حدث بينه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وبين موسى في شأن الصلوات الخمس ، وكما رأى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أرواح أمته في صورة الأسْوِدَة [1] أي الجماعات المختلفة ، ولو لم يكن في الموضوع إلا هذا الحديث مضافاً إلى الآيات السوابق لكان أساساً لا ينقض لتحقيق القول بحياة الموتى في البرزخ ، وعملها فيه .

١٠) أدلة أخرى على حياة البرزخ :

ثُمَّ : ألا ترى كيف شرع لنا أن نادي الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في صلاتنا أثناء السَّلام عليه في التشهد نداء الأحياء الحاضرين ، نقول : «السَّلام عليك أيها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته » ، ثُمَّ نوجه السَّلام بعد ذلك إلينا وإلى عباد الله الصالحين أحياءً وأمواتاً جميعاً إطلاقاً .

كما أمرنا النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أن نخاطب الموتى كذلك خطاب الأحياء الحاضرين إذا نحن زرناهم فنلقي عليهم السَّلام وندعوا لهم ، ونبلغهم أننا سنلحق بهم ، تذكيراً لنا وتأنيساً لهم ، أي أننا نحدثهم في قبورهم حديث من يزور بيوت الأحياء من إخوانه ، كل ذلك ثابت في حديث (مسلم) من طريق سليمان بن بريدة ومن طريق عائشة ، وأخرجه الترمذي من طريق ابن عبَّاس ، كما أخرجه أصحاب السنن والمسانيد والجوامع والمستدركات ، وما ذلك إلا لكي يتأكد في قلوبنا تمام الإيمان بحياة البرزخ الرُّوحية بعد الموت .

---

(١) الأسودة بوزن (أمثلة) جمع سواد بمعنى الجموع والطوائف .

وقد ثبت ثبوتاً يقينياً من طرق شتى : أنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم رغب الأمة في الصَّلاة عليه ، وأخبر أنَّ الصَّلاة تبلغه حيثما كان المُصَلِّي عليه [1] ، ومقتضى هذا أن تكون حياته في برزخه وقبره حياة عملية إحاطية جامعة ، ليست مجرد تعطل وانتظار ليوم النشور .

وروى النسائي وأحمد ومسلم عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : **حياة موسى في قبره قائماً يصلي** [2] .

وروى البيهقي وأبو ليلى في مسنده ، من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون** »[3] .

قال ابن النجار : « أي بأذان وإقامة » .

وعليه ما رواه السيوطي في الجامع الصغير وحسنه .

قال العزيزي : وتمامه عند مخرجه الطبراني وهو في هذا المعنى .

قال الزرقاني في المواهب والقسطلاني والرملي وعليش وغيرهم : إن

---

(١) أخرج أبو داود في سننه (٤٨٤٢) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦٧) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **صَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم** » . وله شواهد .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد والبيهقي وأبو يعلى وابن حبان . وانظر كتاب حياة الأنبياء للإمام البيهقي .

(٣) رواه البيهقي في « حياة الأنبياء » ، وابن عدي في « الكامل » ، والبزار ، وأبو نعيم في « تاريخ أصفهان » ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، وأبو يعلى ، وصححه المناوي ، وقال عنه الكتاني في « نظم المتناثر » : متواتر .

الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون [1] ويصومون ويحجون ويعتمرون ويستكثرون من الصالحات نافلة غير مفروضة ، ويثابون على ذلك طرداً لقانون العدل الإلهي ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

وقد سبق تكرير تقرير أن ما ثبت للنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، فقد ثبت كذلك للموتى (إلا عند ورود الخصوصية) . . وقد نقل علماؤنا موافقة السلف لجميع ذلك ، ومنهم : ابن عباس وقتادة والحسن وعمر بن عبيد ، حتَّى واصل بن عطاء المعتزلي وأتباعه ، والجبائي ومن وليهم ، وجمهرة المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين بلا خلاف . . ولم ينقل مطلقاً عن فرقة إسلامية مهما انفردت بمذهب وعقيدة أنها أنكرت حياة البرزخ وأسرار عالمه العظيم .

١١) مزيد من الأحاديث :

وقد روى البخاري ومسلم « **أن الميت إذا دفن ، وتولى عنه أصحابه ، يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه** » .

وإذا قيل : إن هذا يكون قبل السؤال .

قلنا : ويكون كذلك بعده لصريح الآيات النازلة في فرعون بسورة غافر ، ثم لتحقيق الوعد بحصول النعيم أو العذاب في الخبر الثابت القائل : « **القبر إمَّا روضة من رياض الجنّة ، أو حفرة من حفر النّار** » ، ولتصديق

---

(١) روى الحافظ الدارمي في سننه ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : « لمّا كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ثلاثاً ، ولم يقم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلاّ بهمهمة يسمعها من قبر النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم » .

الحديث الصحيح من شقه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم للجريدة ووضعها على القبر رجاء التخفيف عن صاحبيه اللذين كانا يعذبان .

ومن توصية الصحابة أن يقف المشيعون على القبر مسافة نحر جزور ، لعل ذلك أن يخفف عنه .

وجاء في الصحيحين وغيرهما بألفاظ شتى ، عن أبي طلحة رضي الله عنه : أنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم أمر بقتلى المشركين في بدر فألقوا في قليب (وهو بئر غير مبنية) فجاء النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، فوقف عليهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ثم قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؛ فإنِّي وجدت ما وعدني ربي حقاً** » ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفوا ؟ ؛ فقال الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : «**والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع لي منهم** » . وهذا الحديث الصحيح قد فصل الأمر بما لا يحتاج إلى تفصيل .

وخَرَّج السيوطي عن ابن أبي الدنيا في « كتاب القبور » ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أن النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتَّى يقوم** » .

وخَرَّجَ البيهقي في الشعب عن أبي هريرة ، وروى مثله ابن عبدالبر رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إذا مَرَّ الرجل بقبر يعرفه فسَلَّم عليه رد عليه السَّلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسَلَّم عليه رد عليه السَّلام** » .

قال الحافظ السيوطي : أخرج الحارث بن أسامة في مسنده عن جابر

رضي الله عنه ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **أحسنوا أكفان موتاكم أي ألزموا بها السُنّة فإنَّهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم** » .

وبه أخذ صاحب كنز الأسرار ومن بعده .

١٢) ومزيد أيضاً من الأحاديث :

وفي الأربعين الطائية عن النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا** » ، وهذا بالطبع والجبلة من حيث أن الروح لا تزال تحتفظ بجميع خصائصها واتجاهاتها .

وروى الديلمي عن عائشة رضي الله عنها ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **إنَّ الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته** »[1] .

قلت : وهذا بالطبع يقتضي أنه يسرّه في قبره ما يسرّه في بيته ، فهو إذن في برزخه يعلم فيرضى أو يغضب ، ويؤيده ما في فتح الباري ، وحسنه ابن حجر وغيره ، قال النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **والذي نفس محمد بيده إن أحدكم ليبلى فيستعبر له صواحبه ، فيا عباد الله لا تعذبوا أمواتكم** » .

وفي هذا الحديث تقرير صريح لاتصال الميت بالحي وتأثره بحالته حُزناً

---

(١) وروى أحمد في مسنده بإسناد صححه الحافظ في فتح الباري (٣/ ١٧٨) أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم رأى رجلاً قد اتكأ على قبر فقال له : « **لا تؤذ صاحب القبر** » ، وأخرجه الطحاوي في معاني الآثار (١/ ٢٩٦) من حديث ابن عمرو ابن حزم بلفظ : رآني رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم على قبر ؛ فقال : « **انزل عن القبر ، لا تؤذ صاحب القبر ولا يُؤذيك** » .

وفرحاً ، ويؤيده دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه الذي يقول فيه : « **اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن أعمل عملاً تخزي به أخوالي** »[1] .

وروى ابن عدي ، أنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال بعد أن قتل سيدنا جعفر رضي الله عنه : « **عرفت جعفراً في رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر** »[2] ، وبيشة بلد باليمن .

ومقتضى هذا الخبر : أن من الأرواح ما يرتقي بإذن الله حتَّى يبلغ رتبة الملائكة فيعمل عملهم ، كما تقرر ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ ، وهو ليس ببعيد ، فمن قبل ارتقى إبليس ، وهو من الجن ، حتَّى صار مع الملائكة ؛ فارتقاء الأرواح في البرزخ أولى وأجدر ، لا محالة ، عدلاً وفضلاً من الغفور الرحيم .

وروى ابن المبارك عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قال : « **تعرض**

---

(١) الأثر أورده ابن القيم في كتاب : (الروح) ، وابن رجب في (أهوال القبور) ، والسيوطي في غير كتاب له ، وعزوه إلى ابن أبي الدنيا ، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (المنامات) بسنده إلى بلال بن أبي الدرداء ، قال : كنت أسمع أبا الدرداء ، وهو ساجد يقول : « اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك أن يمقتني خالي ابن رواحة إذا لقيته » ، وعن أبي الدرداء : « **إن أعمالكم تعرض على موتاكم ؛ فيسرّون ، و يُساؤون** » .

(٢) رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ٢٤٣) عن عليٍّ باللفظ المذكور ، ورواه الطبري في تاريخه (٢/ ١٥١) : عن عبدالله بن أبي بكر ولفظه : لما أتي رسول الله مصاب جعفر قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (قد مر جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم يريدون بيشة أرضا ظاهرا) . وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز له بالضعف (فيض القدير ٤/ ٣١٤) .

أعمالكم على الموتى ، فإن رأوا حسناً استبشروا ، وإن رأوا سوءً قالوا : **اللَّهُمَّ راجع بهم »**[1] أي أنهم يجعلون من أنفسهم وسائل إلى الله ، مستشفعين في شئون الأحياء ممن يهمهم أمرهم .

وهو شبيه بقوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ؛ حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ، ومماتي خير لكم تعرض على أعمالكم ، فما كان من خير حمدت الله وما كان من شر استغفرت لكم** »[2] ، هذا الحديث أورده في الجامع الصغير عن أنس ، ورواه الحارث بن أسامة في مسنده من حديث أنس أيضاً ، ورواه ابن سعد في طبقاته عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً ، ورجاله ثقات ، قال الحافظ العراقي : ورواه البزار من حديث ابن مسعود ، ورجاله رجال الصحيح إلا واحداً أخرج له مسلم ووثقه ابن معين ... إلخ .

قلنا : وهو بعد هذا معتضد بما في بابه من الحديث لفظاً ومعنى ، وهو بذلك مع تعدد طرقه قد أخذ فعلاً درجة الحسن الصريح والقوة في الحكم الأخير ، ولا اعتبار إطلاقاً لمن لم يعجبه هذا الحديث الشريف .

١٣) ومزيد ثالث من الأحاديث :

وأخرج الترمذي والبيهقي وغيرهما عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما

---

(١) رواه ابن المبارك في (الزهد) موقوفاً عن أبي أيوب رضي الله عنه بسند حسن ، وأورده مرفوعاً من طريق سلام الطويل ، ورواه ابن أبي الدنيا في (المنامات) .

(٢) استوفى شيخنا الإمام الرائد تخريج وشرح هذا الحديث في كتابه « الإفهام والإفحام ، قضايا الوسيلة والقبور » فراجعه .

قال : ضرب بعض أصحاب النَّبيِّ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتَّى ختمها ؛ فأتى الصحابيُّ النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فأخبره ، فقال النَّبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هي المانعة ، هي المنجية ، تنجيه من عذاب القبر** » .

قال صاحب المشارق : قد صَحَّ في الأحاديث وروايات الثقات العينية أن الأموات يقرءون القرآن في قبورهم إذا كانوا من أهله في الدنيا ، ومن مات محباً له ولم يتم حفظه ربما سخر الله له من تمم حفظه له .

نقول : ومثل ذلك قد جاء عن طالب العلم ، فهو في حكم صاحب القرآن ، ويكون قرآنه وعلمه مما يتنعم به هناك ، وفي الحديث دلالة كبرى على أنَّ حياة البرزخ حياة سمو وارتقاء وعمل ، لا حياة حبس وعطلة وخمود .

وعلى الجملة ؛ فقد روى أبو نُعَيْم وغيره كما نقل الشعراني وآخرون عن سعيد بن جبير : أن الأموات تأتيهم أخبار الأحياء فيسرون بها أو يحزنون لها ، وإنهم ليسألون الروح القادم عن أهليهم وذويهم كما يسأل الحبيب عن حبيبه .

قلنا : وهذا على التحقيق شأن الأرواح المقيدة التي لم يؤذن لها في الانطلاق لقصور عملها وقلة زادها ، ومع ذلك لا يحرمها الله فضل العلم بما يهمها من حال أهلها « فضلاً منه ونعمة » .

١٤) انطلاق الأرواح من عصر الخميس إلى السبت :

وقد نقل الإمام السيوطي في كتاب البشرى : قال اليافعي ما معناه : إنَّ جميع الأرواح (أي المؤمنة والكافرة والطائعة والعاصية) يؤذن لها فتنطلق ما شاء الله خصوصاً من عصر الخميس إلى صبح السبت .

قلت : وهو من قول : القرطبي ، والضحاك ، ومحمد بن واسع ، والأمير ، وغيرهم[١] . .

ونقل عن أسئلة الداودي : أنها تنطلق كذلك يوم الإثنين ، لكرامته على الله .

نقول : أمَّا كيف تنطلق أرواح الكفار والعصاة ؛ فلعلَّ أن لهم من الحسنات العامة في الحياة الدنيا ما يقتضي التخفيف عنهم بعض الشيء بهذا الانطلاق ، فضلاً من الله وعدلاً كالمخترعين لمصالح البشرية من الأديان الأخرى وعلمائهم في الطب والهندسة والكيمياء والصيدلة ، أو يكون عمل خيراً - بشكل ما - يعلمه الله .

وفي تذكرة القرطبي : أن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم سئل عن عمه أبي طالب فقال : « **هو في ضحضاح من النَّار** » أي أنَّه يعذب عذاباً خفيفاً لسابقة حسناته في خدمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ؛

---

(١) ويرى آخرون أن أرواح المؤمنين هي التي يؤذن لها في الانطلاق فقط ، وأمّا أرواح الكافرين ، فهي محبوسة في سجين ، مشغولة بما هي فيه من عذاب ، وهو ما ذهب إليه الإمام مالك والسيوطي وابن القيم ، ورواه الطبراني في مراسيل عمرو بن حبيب ، ورواه ابن المبارك في الزهد عن سلمان الفارسي ، ورواه ابن أبي الدنيا عن الإمام عليّ كرم الله وجهه .

فالمدار إذن في العذاب والنعيم والسجن والانطلاق على الإذن الإلهي وليس على القوانين البشرية ، عدلاً وفضلاً ، لا وجوباً عليه .

قال ابن القيم : الأحاديث والأخبار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور ، وسمع كلامه ، وأنس به ورد عليه ، قال : وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم و أنه لا توقيت في ذلك » . انتهى .

نقول : والوجه أن التوقيت خاص بفئة ، والانطلاق التام خاص بفئة أخرى ، فلا تعارض حينئذ ، ثم إن القبور هي أمكنة التلاقي عرفاً من حيث أنها على الأغلب خزانة الهيكل البشري بعد الموت ، وهي كذلك مستقر الاعتبار ؛ فإذا هي درست أو لم يكن للميت قبر ، أو قام هناك مانع من الزيارة ، أمكن الاتصال بالروح في كل زمان ومكان .

وذلك أن مذهب مالك وجماعة من المحققين أن الأرواح (أي المطلقة) تسرح حيث شاءت ، أمَّا غيرها فقد أثبت العلم الحديث وأيده العارفون بالله أن الأرواح جميعاً تحس حركة الفكر في الإنسان إذا توجه لها بقلبه كما لو ناداها بلسانه سواء بسواء ، بلا قيد بالمكان ولا بالزمان ولا بالحركة ، وتلك من أخص مميزاته .

وهذا هو أبو العَبَّاس المرسي رضي الله عنه يقول : « **لو غاب عني رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم طرفة عين ما عددت نفسي من المؤمنين**» .

وأولئك هم أئمتنا الصوفية ، لا يعتبرون الرجل عندهم في ديوان الرجال إلا إذا بلغ مرتبة الصلة بالنَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم في كل أمر يهمه من شأن دينه أو دنياه .

وثبت يقيناً أن أصحاب المقامات منهم قد استفتوا الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فيما اختلفوا فيه من مراتب الحديث ، وصَحَّحُوا عليه ما اختلط عليهم من مبهمات الأحكام .

وهذا غير حكم المحترفين والكذابين وأدعياء التصوف ؛ فليس يفرق بين الحي والميت إلا المطرود المحجوب ، وإلا أحياء الأجسام أموات القلوب ، وقد تحرر من قبل أنه لا وجه لقصر هذا الحكم على الأنبياء والشهداء ، ولا على نوع بذاته من الأموات ، بل هو عام في كل من رضي الله عنه بما هو أهله .

١٥) وظيفة الجسم والروح :

أمَّا نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾[١] ، فقد تعين أن يكون مراده خصوص هذه الجثث والرمم والهياكل المحبوسة في القبور ، ولا علاقة له بعالم الروح وأسراره التي قدمنا بعضها لمن هم أهل للتسامي والترفع والرُّوحانية .

وقد كررنا أن الأجساد بحقيقتها الجمادية لا تسمع ، مستقلة بذاتها عن أرواحها قط ، والمعنى أنَّ هؤلاء الطغاة لا يهتدون من عمايتهم إلا بإذن الله

---

(١) سئل السيوطي رحمه الله ، عن هاتين الآيتين ، مع أحاديث إثبات سماع الموتى في القبور ، كيف الجمع بينهما ؟ ؛ فأجاب نظماً رحمه الله :

سماع موتى كلام الخلق معتقد ... جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى ... لا يقبلون ولا يصغون للأدب
فالنفي جاء على معنى المجاز فخذ ... واجمع به بين ذا مع هذه تصب

كما لا تسمع جثث المقبورين كلام النَّاس إلا إذا أشرقت عليها أنوار الأرواح ، وعلى هذا يقاس الحكم في كل آية على هذا المعنى .

أمَّا الروح نفسها فإنَّها استقلالاً بذاتها وبمقتضى خلقها وتكوينها تسمع وترى وتحس وتدرك بطريقة ذاتية غير إرادية ، وهي كذلك تعمل ما شاء الله لا ما شاءت ، وليس يفقدها ذلك أنها نقلت من دار إلى دار ؛ بل هي هناك أقوى وأقدر ، وأنفذ وأمهر ، لانقطاعها عن العلائق المادية ، وتخففها من أثقال التكاليف والقبور والحجب البشرية ، وذلك في إشارة قوله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **الدنيا سجن المؤمن** »[1] ، وقوله تعالى عن الكفار : ﴿يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ، وكان يأسهم من إخوانهم باعتقادهم أن الموت عدم محض ، ونستغفر الله .

١٦) خاتمة :

أمَّا بعد :

إنَّ هذه الأدلة والآثار ، وإن اختلفت رتبها فإنه يشد بعضها بعضاً ويعضده ، ويؤيده ويؤكده ، ويشرح مبهمه ويفصل إجماله ، وينصرف إليه حتَّى لا توجد بعدئذ لمعترض أو منكر ثغرة ، يغالط النَّاس في ذلك منها على الإطلاق ، وهي متفقة على صحة القدر المشترك بينها . وهو أن للموتى حياة برزخية جامعة ذات علم وعمل وسمو وتصرف وصلة لم

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ، والطبراني والحاكم عن سلمان الفارسي ، والبزار عن ابن عمر ، وغيرهم .

تنقطع بشئون الدنيا على النظام الذي قضاه الله وقدره ، وعلى حد ما جاء في الأثر : « **هذا قضاء الله يدفع قضاء الله ، وهذا قدر الله يعالج قدر الله** » شأن الدعاء والقضاء والمرض والدواء ، ونستغفرالله ونتوب إليه .

*** وصلي الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم ***

وكتبه ابتغاء رضوان الله ونفع المسلمين، والتحقيق التاريخى الملزم

المفتقر إليه تعالى وحده

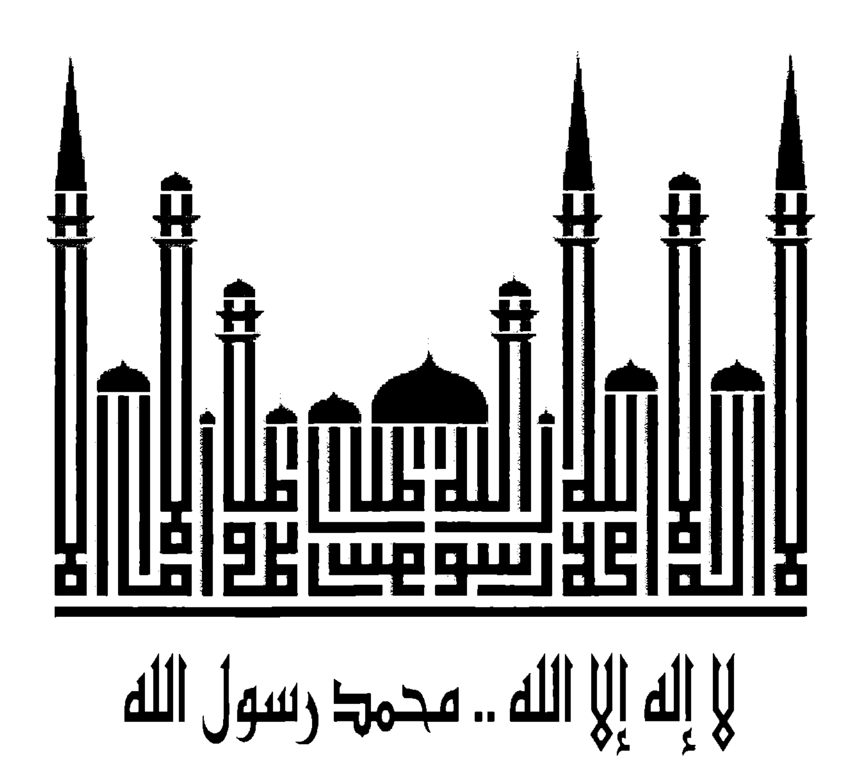
محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل بن عليّ الشّاذلي

رائد العشيرة المحمدية ، وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

---

* تمت بحمد الله (**الطبعة الثانية**) من هذا الكتاب (**حياة الأرواح بعد الموت**) لفضيلة الأستاذ الإمام السيد **محمد** زكي **إبراهيم** رائد العشيرة المحمدية فى شهر جمادى الآخر (١٤٢٤ هـ) ، الموافق شهر أغسطس (٢٠٠٣ م) . . اعتنى بها وقام على إخراجها : الأستاذ / **محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** تلميذ الإمام الرائد ومن خريجي الأزهر ، والله وليّ التوفيق .



تعريف موجز بفضيلة الإمام الرائد

محمد زكي إبراهيم

صادر عن أمانة الدعوة

تعريف موجز بفضيلة الإمام الرائد
محمد زكى إبراهيم رضى الله عنه
رائد العشيرة ، وشيخ الطريقة المحمدية ، وصاحب مجلة المسلم
ومؤسس « الصحوة الصوفية المعاصرة »
صادر عن أمانة الدعوة
بـ (العشيرة والطريقة) المحمدية
بعد المراجعة والتكملة

(١)

هو : العالم ، الموسوعى ، الداعية ، القطب ، المجاهد ، الكاتب ، الخطيب ، الشاعر ، المحاضر ، المعتصم بالله « السيد محمد زكى إبراهيم » وكنيته : « أبو البركات » ، ولقبه : « زكى الدين » ، وقد وُلِد ببيت الأسرة ببولاق بمصر ، ووالده القطب الشريف الحسينى « السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلى » ، ووالدته الشريفة الحسنية « السيدة الزهراء فاطمة النبوية » بنت القطب الأكبر الشيخ « محمود أبو عليان الشاذلى » ، وله ولدان وبنت ، وكلهم متزوج وله أولاد وبنات .

وهو خريج الأزهر ويجيد عدة لغات ، وكان مفتشاً للتعليم بوزارة التربية والتعليم ، ثم أستاذاً بالدراسات العليا والمعهد العالى لتدريب الأئمة والوعاظ بالأوقاف ، ثم عميداً لمعهد « إعداد الدعاة » قبل أن تضمه إليها وزارة الأوقاف بعد أن أنشأته العشيرة ، وتخرج فيه كثير من أشرف الدعاة بأطراف العالم الإسلامى .

وترجم لـ « إقبال » عن الفارسية ، وللشاعر الألمانى « هاينى رش هاينى » ، ولغيره من شعراء أوربا وفارس ، وقد نشر أكثر ذلك بمجلة «أبولو» التى كان يشارك فى الإشراف عليها أمير الشعراء « أحمد شوقى » وفى غيرها من المجلات الأدبية الكبرى السابقة ، كمجلة « النهضة الفكرية» ومجلتى الفجر والإخوان وغير ذلك .

(٢)

وهو رائد العشيرة المحمدية ، ومؤسسها ، ومؤسس مجلة المسلم « المجلة الصوفية الأولى فى العالم الإسلامى » ، ومؤسس معهد إعداد الدعاة « أول معهد شعبى صوفى من نوعه » ، ومؤسس الطريقة المحمدية الشاذلية ، ومجدد مسجد ومشهد المشايخ بقايتباى ، ومراقد مسجد أهل الله ببرقوق ، ومجدد ساحات أبى عليان بالصعيد ، ومؤسس المجمع المحمدى بمنشية ناصر والضويقة « الدويقة » ، والحرفيين ، والساحة المحمدية بحميثرة ، ثم كان عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، واللجنة الدينية العليا بمحافظة القاهرة ، والمؤتمر العالمى للسيرة والسنة ، ومؤتمر التبليغ والدعوة العالمى ، وبعض المجامع العلمية بالبلاد العربية والإسلامية وله مكتبته النادرة ، العامرة بأمهات الكتب القيمة والنادرة ، القديمة والحديثة ، مطبوعة ومخطوطة ، وكان له الفضل فى تجديد مسجد (آل ملك) والحاقة بمسجد العدوى بساحة الإمام الحسين رضى الله عنه .

(٣)

وقد أهداه الرئيس جمال عبدالناصر « وشاح الرواد الأوائل ونوط التكريم » وأهداه الرئيس السادات « نوط الامتياز الذهبى » من الطبقة الأولى ، وأهداه الرئيس حسنى مبارك « وسام العلوم والفنون » المخصص لكبار العلماء والأدباء ، ثم أهداه « نوط الامتياز الذهبى » من الطبقة الأولى أيضاً ، وأهداه الرئيس اليمنى عبد الله السلال « وشاح اليمن والخنجر » .

وأهدته محافظة القاهرة ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، وبعض المؤسسات الكبرى ، عدداً كثيراً من شهادات التقدير والأوسمة ، ذات القيمة المعنوية ، كما كان مؤسساً لـ (مؤتمر الهيئات والجمعيات الدينية للعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية) ، باشتراك أخيه فى الله « شيخ الأزهر » الدكتور عبدالحليم محمود ، والأستاذ الشيخ حسنين مخلوف عميد الإفتاء ، وعضوية جمهرة رؤساء وعلماء وممثلى الجماعات الإسلامية الرسمية والشعبية بمصر ، الذى انعقد فى الثمانينيات لثلاثة أيام ، وهو أول مؤتمر من نوعه تشترك فيه الهيئات الحكومية ، والجمعيات الإسلامية .

كما أسس (المؤتمر الصوفى العالمى) ، و (مؤتمر المرأة المسلمة) الذى عقد فى أوائل الخمسينيات واشتركت فيه الجماعات الإسلامية ، وكان له صداه فى العالم كله ، وكان من أقدم مؤسسى جمعية الإخوان المسلمين ، ثم تركها مع الدكتور المرحوم إبراهيم حسن وطائفة من خيرة الرجال .

(٤)

كما كان أميناً ورائداً دينياً لـ (جماعات الشبان المسلمين العالمية) ، و(المؤتمر القرآنى) برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى وعضواً باللجنة ، و(الهيئة العليا للدعوة بالأزهر) برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، وكان خبيراً باللجنتين التاريخيتين لإصلاح التصوف برئاسة السيد وزير الداخلية ، ثم برئاسة الشيخ الباقورى وزير الأوقاف وقتئذ « رحمه الله » ، وعلى مجهود هاتين اللجنتين صدرت اللائحة الصوفية الحالية ، وقد كان له عليها عدة مآخذ لولا أنها كانت الخطوة الأولى فى سبيل إصلاح التصوف بمصر ، وتعتبر نواة لما بعدها .

كما كان عضواً إدارياً عاملاً فى أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية ، واجتماعية ، وثقافية ، عامة وخاصة ، رسمية وشعبية ، بمصر والخارج ، منها : « جماعة أبولو » للشعراء بدعوة المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء .

كما اشتغل فترة بالصحافة والنشاط النقابى للمعلمين ، كل هذا رغم امتحانه الدائم بالأمراض الشديدة ، والمواجع المستمرة ، وبرغم ما يبذل بكل السخاء ، وبالغ الجود ، من ماله الخاص فى سبيل الدعوة والإسلام بلا مَن ولا أذى ولا إعلان ولا إشارة .

وله مشاركته الكبرى فى تجديد المسجد الحالى لمولانا الإمام أبى الحسن الشاذلى بحميثرة ، وتطهير مولده السنوى تمهيداً لما هو أفضل إن شاء الله .

(٥)

وقد شارك فى الإعداد لحرب عام ١٩٧٣م هو وتلاميذه ، وكبار أعضاء العشيرة والطريقة بأعمال التعبئة والتوعية والإعداد ، حتى كان يبيت الليالى ذوات العدد مع جنود الجبهة على البحر الأحمر مع أخيه فى الله زعيم السويس الشعبى الصوفى الشيخ حافظ سلامة ، وزميله فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، وخاصة العلماء ، وكم تعرض ومن معه للأخطار الداهمة ، وواجه الأسر والقتل بين بورسعيد والإسماعيلية والسويس أمام الهجمات اليهودية ، وذلك وراثة عن جده الإمام الحسين بن الإمام علىّ ، فى حروب شمال إفريقيا وأواسط آسيا ، وعن شيخه أبى الحسن الشاذلى فى موقعة المنصورة أمام الصليبيين وغيره من الصوفية السابقين الجامعين بين واجب الدنيا والدين .

ولا بد أن نشير هنا إلى فرع العشيرة والطريقة بالسويس الذى قام بالبطولات الفدائية ، وبالمشاركة الإيجابية الدائمة فى الكفاح ضد اليهود منذ حرب ١٩٤٨ حتى جاء نصر الله تحت إشراف الأخ الشيخ المهدى عبدالوهاب عميد العشيرة بالسويس ومؤسس مسجد أهل الذكر بالأربعين .

ولشيخنا عشرات من مؤلفاته النادرة الكثيرة الدقيقة فى التصوف الإسلامى ، والدفاع العلمى عنه ، وبيان أصيله من دخيله ، ثم مؤلفاته فى بقية العلوم الإسلامية ، والآداب ، والشعر ، والاجتماع ، والمعارف العامة .

وله نشاطه الدينى بالإذاعة والتليفزيون ، والجرائد والمجلات بمصر وغيرها ، وله خطبه ومحاضراته ، ودروسه ، وفتاويه ، المخطوطة والمسجلة على الكاسيت ، وغيره بالمساجد ، والنوادى ، والأحفال ، وغيرها ، « ولاتزال » ، خصوصاً دروسه المشهودة بمسجد مشايخنا بقايتباى فى ليالى الخميس وبعد صلاة الجمعة ، والمواسم الإسلاميةالتى يحتفل بها المحمديون من خيرة الرجال وشريفات النساء .

وهو يكافح التطرف والتشدد ، بقدر ما يكافح التخريف والتحريف ، والتظاهر والرياء والضعف ، داعياً إلى الوسطية والسماحة ، والحب والسلام ، والعلم والعلاقة بالله ، والتقريب بين طوائف المسلمين على أساس الربانية القرآنية مكافحاً الجمود والجحود ، والتخلف والتعصب ، والتطرف والإرهاب ، والتخريب والعمالة ومتخذاً المبدأ الصوفى الشرعى طريقة للخدمة الإسلامية الجامعة .

(٦)

وله دعوته العلمية الثائرة القوية العملية إلى « الصحوة الصوفية الناهضة » ، وإلى تحرير التصوف وتطهيره وإدماجه فى الحياة الجادة ، على طريق الكتاب والسنة قولاً وعملاً ، ثم دعوته إلى « الجامعة الصوفية العالمية » كنواة للتجمع الإسلامى ، بداية من الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية ، ودعوته إلى إنشاء « دائرة المعارف الصوفية التاريخية » ، و(بيت الصوفية الجامع) للمكتبة ، والمستشفى ، والفندق ، وقاعة الاحتفالات ، و(معهد الدراسات الصوفية) ، و (المركز العلمى

الصوفى) ، والمطبعة والمجلة ، والجريدة ، وكافة المنافع ، و « المؤتمر الصوفى العالمى السنوى » الذى عقد فى دورته الأولى فى الأربعينيات لثلاثة أيام ، بمصر « وقد تبنت الجماهيرية الليبية عقد دورته عام ١٩٩٦م » .

ومع كل هذا لم يقبل مشيخة الطرق الصوفية ، ولا عضوية مجلسها الأعلى إيثاراً لحريته فى دعوة الإصلاح الصوفى ، والمذهبى ، وغيره ، ووقوفاً مع رأيه الخاص فى كل ذلك وقوة الحركة والتجديد على الأساس الشرعى ولروحى الصحيح ، ولكل هذا تتلمذ عليه كبار الصفوة من كبار رجال العلم والأدب والإدارة ، وطلاب الحقيقة والدار الآخرة .

(٧)

وكل ذلك كان بالتعاون الكامل ، مع شقيقه ونائبه وأمين سره ورفيق جهاده العارف بالله السيد محمد وهبى إبراهيم « رحمه الله تعالى رحمة واسعة » حامل نوط الامتياز الذهبى ، ومسئول إدارة العشيرة والطريقة بجميع الأنشطة ، والمؤسسات المحمدية بالمدن والأقاليم ، وبمشاركة العارف بالله السيد أبى التقى أحمد خليل رضى الله عنه وتقبل الله منهم جميعاً ، ورحم الله أخانا السيد أبا التقى ، ورفع درجته عنده بما قدم لدعوة العشيرة والطريقة من جهد وعمل دائم حتى لقى الله رب العالمين ، ونستغفر الله ونتوب إليه .

(٨)

هذا ، وقد قطع شيخنا مدارج السلوك الصوفى على يد والده ، وأتمّ مسيرة « الأسماء السبعة » ، ثم « الثلاث عشرة » ، ثم « التسعة

والتسعين» ، حتى انتهى إلى « الاسم المفرد والأعظم » ، ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات ، ومارس العلوم الفلكية والروحية ، ونقّحها ، وأجرى الله على يديه الكرامات ، وتتلمذ عليه كبار القوم ، والسادة من الشباب ، والعلماء ، والأدباء ، وقد أسلم على يديه عدد من القساوسة ، والشمامسة ، وغيرهم ، وزارته الوفود « ولاتزال » والشخصيات الكبرى من أطراف الوطن الإسلامى طلباً للسلوك الصحيح والإجازة بمروياته فى الحديث الشريف عن أشياخه ؛ فهو عَلَم الصوفية ، وعالم الحديث ، ومفتيهم ، وقطب وقته ، ومجدد عصره ، وحامى حمى التصوف الإسلامى الحق والنهضة الروحية الرفيعة فى نواحى الحياة لا محالة ، وقد لاقى فى سبيل دعوته ما لا يوصف من أنواع الأذى البالغ مادياً وأدبياً فى شخصه وعمله ووظيفته وخصوصياته وعمومياته ، وهو سعيد مستمر صامد حتى يلقى الله مجاهداً راضياً مرضياً إن شاء الله ، شأن آبائه وأجداده فى خدمة الدين والوطن .

وقد ألزمته الأمراض الاعتكاف عدة سنين ، ولكنه لم يفتر قط عن كافة أنشطة الدعوة بكل مشاقها ، وتضحياتها الكبرى ، وبكل ما بقى له من جهد وطاقة فى الله مع مرضه الدائم الطويل منذ سنين ، وكما عانى من أعداد الصوفية بما لم يخطر على بال ، كذلك عانى من أدعياء التصوف ، الرسميين الذين حكموا بفصله من الصوفية لأول مرة فى التاريخ ، حتى رُفع الأمر إلى مجلس الدولة ؛ فحكم له لأول مرة فى التاريخ الصوفى الرسمى أشرف حكم وأصدقه ، بالإضافة إلى ما ينظره القضاء العادى فيما بينه وبين المتمسلفة سواء منهم الحمقى والمأجورين ، حتى تدخل فيه فضيلة

الإمـام شـيخ الأزهر الشـريـف ، فضـيـلة الشـيخ جـاد الحق ، ورئيس لجنة الفتـوى فضـيلة الشيخ عطيـة صـقـر ، وطـائفة من المسئـولين وبعض كـبـار الرجال ﴿ والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾ ، وكذلك حكم له بفضل الله .

وقد تلقى شيخنا الطريقة الناصرية الشاذلية عن والده ، وتأكيداً لنسب الطريقة تلقى شيخنا الطريقة الناصرية الشـاذلية الشـريفة عن الزعيم المغربى الكبير السيد اليمنى الناصرى وأخيه السيد المكى الناصرى ، أيام إقامتهما بمصر فى بداية الثورة المغربية ، كما تلقّاها عن السيد الأمير عبد الكريم الخطابى مدة إقامته بمصر أيضاً « رحم الله الجميع » ، ولا تزال الصلة قائمة والحمد لله مع السيد محمد المختار الناصرى سفير المغرب بالمؤتمر الإسلامى والسيد محمد الفاتح الناصرى مندوب المغرب بالجامعة العربية ، رضى الله عن الجميع . (وهنا ننصح بمراجعة أنساب الطريقة برسالة (البداية) ، ففيها بحمد الله الكفاية) .

نفعنا الله ونفع الإسلام والتصوف بشيخنا وبعلومه ، وربانيته ، ووفقنا إلى الاقتداء به ، والثبات على طريقته ، وخدمة دعوته ، بفضله تعالى ونعمته ، ونستغفر الله ونتوب إليه ، والحمد لله رب العالمين .

صدر عن

(أمانة الدعوة بالعشيرة والطريقة المحمدية)

بمسجد المشايخ ، بقايتباى ، بالقاهرة

فى أوائل ذى الحجة ، عام ألف وأربعمائة وسبعة عشر من الهجرة النبوية ، بعد المراجعة والتكملة الضرورية

الفهرست

الباب الثانى عشر : ذرية الإمام جعفر الصادق